المقالات والتقارير الصحفية

أصول إعدادها وكتابتها

تأليف

الدكتور محمد فريد محمود عزت

١٤١٨هـ - ١٩٩٨م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

يغطى مسار هذا الكتاب ، حسب خطته الموضوعة ، فنين اثنين فقط ، من فنون المادة الصحفية وهما : فن المقال وأهم أنواعه .. وفن التقرير الصحفى وأهم أنواعة ... وذلك تلبية لاحتياجات ، ومفردات المنهج الدراسى فى مادة التحرير الصحفى ، للسنة الرابعة بقسم الإعلام التربوى ، فى كليات التربية النوعية ، والذى أقوم حاليا بتدريسه فى بعض تلك الكليات .....

وقد راعيت تناول هذين الفنين بطريقة ميسرة ، تتفق مع مستوى طلاب هذا التخصص ، وتكفى لسد احتياجاتهم الدراسية فى هذا المجال ... وكان الاعتماد بصفة خاصة على عدد من المراجع الأساسية ، وفى مقدمتها: كتاب (المدخل فى فن التحرير الصحفى) للأستاذ الدكتور عبد اللطيف حمزة . وكتاب (دراسات فى الفن الصحفى) للأستاذ الدكتور ابراهيم امام . وكتاب (فن الكتابة الصحفية) للأستاذ الدكتور فاروق أبو زيد ، بالأضافة الى عدد آخر من المراجع الثانوية ... كما تم دعم فصول الكتاب المختلفة بالنماذج التطبيقية المناسبة ، من كتابات بعض كبار الكتاب والصحفيين القدامى والجدد ، نقلا من الجرائد والمجلات ، وبعض الكتب التى جمعت فيها كتابات بعضهم ..

وحسب الخطة الموضوعة اشتمل الكتاب على بابين رئيسيين : الباب الأول بعنوان (فن المقال وأهم أنواعه) ، وتضمن خمسة فصول : الفصل الأول بعنوان (تمهيد حول المقال وأقسامه) ... والفصل الثانى بعنوان (المقال الأدبى وأنواعه) ، والفصل الثالث بعنوان (المقال العلمى وأنواعه)

و الفصل الرابع بعنوان (المقال الصحفى وأنواعه) والفصل الخامس بعنوان (الإسمية واللا إسميه فى الصحافة) ..

وكان الباب الثانى بعنوان (فن التقرير الصحفى وأهم أنواعه) ، واشتمل على أربعة فصول : الفصل السادس بعنوان (مفهوم التقرير الصحفى وكتابته) .. والفصل السابع بعنوان (التقرير الاخبارى) والفصل الثامن بعنوان (التقرير الحى) . والفصل التاسع : بعنوان (تقرير عرض الشخصيات) .

وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يحقق هذا الكتاب الغرض منه ، ويستفيد منه الطلاب الموضوع من أجلهم ... والله تعالى من وراء القصد ....

مدينة نصر : الخميس : ٢ رمضان ١٤١٨ هـ
أول يناير ١٩٩٨ م

د/محمد فريد محمود عزت

الباب الأول

فن المقال وأهم أنواعه

الفصل الأول : تمهيد حول المقال وأقسامه .

الفصل الثانى : المقال الأدبى وأنواعه .

الفصل الثالث : المقال العلمى وأنواعه .

الفصل الرابع : المقال الصحفى وأنواعه .

الفصل الخامس: الاسمية واللا اسميه فى الصحافه .

الفصل الأول

تمهيد حول المقال واقسامه

يطلق الانجليز على المقال إسم (محاولة - Essay) أى أنها شيء غير مكتمل يشبه المذكرات الخاصة ، والخواطر المتناثرة ، وعلى القارىء تكميل ما بالمقال من نقص .. ويقول معجم لاروس : " المقال اسم يطلق على الكتابات التى لايدّعى أصحابها التعمق فى بحثها ، أو الاحاطة التامة فى معالجتها . ذلك أن كلمة (مقال - Essay) ذاتها تعنى (محاولة - Epreuve) أو خبرة (Experience) أو (تطبيقاً مبدئياً - Premiere application) أو (تجربة أولية - Premiere tentative) .... "

وعرّفه قاموس أكسفورد فقال : " المقال هو انشاء كتابى معتدل الطول فى موضوع ما ، وهو دائما يعوزه الصقل ومن هنا يبدو أحيانا أنه غير مفهوم ، ولامنظم "(١)

ويعرف الدكتور صمويل جونسون (١٧٠٩ - ١٧٨٤) المقالة بأنها : " نزوة عقلية لاينبغى أن يكون لها ضابط من نظام وهى قطعة لاتجرى على نسق معلوم ، ولم يتم هضمها فى نفس كاتبها . وليس الانشاء المنظم من المقالة الأدبية فى شيء " .

وقال البعض إن المقال فكرة ينقلها الكاتب من البيئة المحيطة به ، ويتأثر بها ، ويعبر عنها بطريقة ما ، حظها من النظام قليل ، وحاجتها إلى الترتيب والتمحيص والتدقيق أقل . ذلك أن الكاتب لايقصد إلى التعبير بالمنطق الشكلى

---

(١) نقلا عن كتاب عبد اللطيف حمزه / المدخل فى فن التحرير الصحفى (القاهرة - دار الفكر العربى - الطبعة الربعة ١٩٦٨) ص ٢٢٦ و ٢٢٧ وكذلك كتاب ابراهيم امام / دراسات فى الفن الصحفى (القاهرة - مكتبة الانجلو المصرية ١٩٧٢) ص ١٧٩

الجامد ، وانما بالمنطق النفسي الانساني . فالمقال يعرض فيه الكاتب على قرائه فكرة ، أو اتجاها . كما يعرض لموضوع من الموضوعات التي يزجي بها وقت الفراغ مع بعض الجلساء[1].

هذه التعريفات السابقة وأمثالها ، إن صدقت على المقال في طوره الأول ، فهي لاتصدق عليه اليوم ، بعد أن تفوق كتابه في احكام نسجه ، واتقان تاليفه كما أن المقال بمرور الأيام واختلاف الكتاب ، أصبح عملا منظماً ، يتطلب مزيدا من إحكام الصنعة ، وضبط التصميم ، والاتزان ، والنضج ، والهدوء ، وعدم الاسراف في عرض العواطف عرضاً مثيراً ، إلا أن المقال مع هذا لايبلغ مبلغ البحث المتعمق .

أقسام المقال الثلاثة:

وبعض الذين كتبوا عن المقال ، نظروا إليه من زاوية الأسلوب ، أو الصيغة قبل غيرها . ويذهبون إلى تقسيم المقال إلى ثلاثة أقسام رئيسية على ضوء المستويات الثلاثة التي تستخدم في الكتابة وهي[2]:

المقال الأدبي .... والمقال العلمي ..... والمقال الصحفي ......

فالمقال الأدبي : هو الذي يقف فيه الأدباء للتعبير عن عواطفهم ، ومشاعرهم الوجدانية ، وتجاربهم الذاتية الانسانية بوجه عام تجاه مواقف خاصة ، أو مواقف عامه ، ولهم في هذا التعبير طرائق شتى تختلف باختلاف الأشخاص ، واختلاف العصور ، واختلاف البيئات .

وينقسم المقال الأدبي إلى عدة أنواع ، منها على سبيل المثال : المقال الوصفي أو العرضي ، والمقال النقدي ، والمقال الغزالي ، والمقال

---

(١) المرجع الثاني السابق ص ١٧٩ - ١٨٠ .

(٢) المدخل في فن التحرير الصحفي / مرجع سابق ص ٢٢٢ - ٢٢٤ وكذلك كتاب فاروق أبو زيد / فن الكتابة الصحفية (القاهرة - دار المامون للطباعة والنشر ١٩٨١) ص ١٨٠ و ١٨١ .

الكاريكاتورى ، والمقال القصصى ، والمقال الذى على شكل مذكرات أو اعترافات ، والمقال الذى على شكل رسائل بين الكاتب وقرائة ، والمقال الذى على شكل خواطر وتأملات .

والمقال العلمي ، هو الذى يقف فيه العلماء ليعبروا عن الحقائق العلمية ، من خلال منهج علمي يقوم على الموضوعية المطلقة ، سواء كان ذلك في العلوم الكونيةأو التاريخية ، أو الأدبية . وهم فى هذا التعبير يلتزمون لغة تمتاز بالوضوح ، واستخدام الألفاظ التى تكون على قدر المعانى ، واصطناع المصطلحات التى اتفق عليها أهل كل علم من هذه العلوم .

وللمقال العلمى كذلك أنواع تختلف باختلاف المادة العلمية التى يخوض فيها الكاتب : فمقال فى مادة التاريخ ، وآخر فى مادة الطب ، وثالث فى مادة الفلسفة ، ورابع فى مادة الأدب من الناحية الوصفية وليس الانشائية وهكذا ، غير أنه يشترط فى المقال العلمى اذا أريد نشره فى صحيفة ، أن يبذل المحرر جهداً فى تبسيطه للقارىء ، وبغير هذا لاتكون للصحيفة حاجة الى نشره .

أما المقال الصحفي : فهو وسط بين المقال الأدبى ، والمقال العلمى ..... ففيه شيء من ذاتية الكاتب الأدبى ، وفيه شيء من موضوعية العالم .. وهو أيضا على المستوى العملي ، الذى يقف فيه الصحفي ليفسر للقراء أخبار البيئة التى يعيشون فيها ، والبيئات التى يتصلون بها أثناء نقلها ، وبعد نقلها والتعليق عليها ، والصحفى فى سبيل هذه الغاية يستخدم لغة يفهمها القراء ، ولايشترط فيها مايشترط فى لغة الأدب من خيال أوجمال ، أو مايشترط فى لغة العلم من دقة بالغة فى تحديد معانى الألفاظ .

وللمقال الصحفى هو الآخر أنواع مختلفة ، أخذت تتطور حتى صار كل منها يشكل فنا صحفيا مستقلا بذاته ، ومنها : المقال الافتتاحى ، والعمود

الصحفى ، واليوميات ، والمقال التحليلى ، والمقال النقدى .

إلا أنه بالرغم من ذلك ، ليس فى الاستطاعة الفصل فصلاً تاماً بين هذه الأقسام الرئيسية الثلاثة التى هى : المقال الأدبى ، والمقال العلمى ، والمقال الصحفى ، والسبب فى ذلك أنها تتلاقى فى كثير من الأحيان ، وتدع الباحث المدقق فى حيرة .. خذ لذلك مثلا مقــال النقد ، فانه يعتبر ذاتياً وموضوعياً فى وقت معاً ، أو بعبارة أخرى يعتبر فناً وعلماً فى آن واحد، له مـــــن الفن ذاتيته ، وله من العلم موضوعيته .

فالنقد علم بمعنى أن له أصولا وقواعد تنبغى مراعاتها ، ولايستطيع الناقد أن يتجاهلها بحال من الأحوال . والنقد فن بمعنى أن صاحبه فى استطاعته أن يبنى نقده على ذوقه الخاص ، وشعوره الخاص نحو القطعة الأدبية أو الفنية التى يتعرض لها بالنقد ، ويزنـــــها بميزانه ويطبق عليها أصوله .... فماذا نسمى المقال النقدى اذن ؟هل نسميه مقالاً أدبياً صرفاً ؟ أم نسميه مقالاً علمياً بحتاً ؟ أم ننظر اليه على أنه مزاج من المقالين ؟ ...

ويمثل هذه الطريقة فى الواقع تتلاقى فنون المقال على اختلافها ، ويتداخل بعضها فى بعض ، إلى الحد الذى تصعب معه التفرقة بينها تفرقة لاتقبل الشك (١)

وفى مجال المقال الأدبى النقدى ، ظهرت فصول كثيرة فى الصحف ، جمعت فيما بعد فى كتب . ومنها على سبيل المثال : حصاد الهشيم لإبراهيم عبد القادر المازنى .. وساعات بين الكتب ، ومطالعات فى الكتب والحياة ، وشعراء مصر فى الجيل الماضى لعباس محمود العقاد .. وحديث الأربعاء وحافظ وشوقى للدكتور طه حسين ... وثـــورة الادب

---

(١) المرجع الأول السابق ص ٣٢٤ .

للدكتور محمد حسين هيكل .. والمتأمل في هذه الفصول التي اشتملت عليها تلك الكتب ، يمكنه اعتبارها من المقال الأدبي ، ويمكنه اعتبارها كذلك من المقال النقدي وهو على صواب في كلتا الحالتين[1] .

كيف يكتب المقال ؟

والمقال يكتب على هيئة الهرم المعتدل .. ويتألف من ثلاثة أجزاء هي : المقدمة ، والصلب ، والخاتمة . . وقبل هذه الأجزاء الثلاثة يأتي عنوان المقال وذلك على النحو التالي :

(١) المقدمة ، تشتمل على مدخل أو زاوية يمهد بها الكاتب لموضوع المقال ، بهدف تهيئة ذهن القارىء ، وتذكيره بالقضية أو المشكلة موضوع المقال .. وهذه المقدمة لها أهمية بالغة ، فهي التي تجذب القارىء فيمضي في القراءة اذا كانت جيدة ومشوقة ، وهي كذلك التي تصده فيقف عن القراءة اذا كانت رديئة وغير جيدة .

(٢) وصلب المقال ، وهو الجزء الذي يحتوي على المادة الجوهرية في المقال ، وتفاصيل الحدث أو القضية التي يطرحها الكاتب ، والأدلة والشواهد والحجج ، والبراهين المنطقية التي تؤيد وجهة نظر الكاتب وتقنع القارىء وتشبع رغبته ..

(٣) خاتمة المقال ، وينبغي ألا تقل عن أهمية المقدمة ، باعتبارها آخر مايبقى منطبعاً في ذهن القارىء بعد الانتهاء من القراءة ، ولابد أن تكون قوية محكمة واضحة غير مسرفة في الطول حتى لاينعدم تأثيرها . وأخيرا فإن الخاتمة يتوقف عليها مدى اقتناع القارىء أو عدم اقتناعة بموضوع المقال .

---

(١) نفس المرجع السابق ص ٢٢٨ .

(٤) وقبل كل تلك الأجزاء الثلاثة السابقة يأتى عنوان المقال ، ويجب العناية به ، وأن يكون زاخراً بالحياة ، قادراً على التصوير ، مليئا بالتعبير ، غنياً بعنصر الجذب والتشويق ، مناسباً لجو موضوع المقال ، وبذلك يضمن الكاتب كسب اهتمام القارىء واقناعه بأهمية المقال من اللحظة الأولى

ونكتفى بهذا القدر من التمهيد حول المقال لننتقل بعد ذلك الى الحديث بالتفصيل عن كل من هذه الأقسام الثلاثة الرئيسية وهى : المقال الأدبى .. والمقال العلمى .. والمقال الصحفى ، وذلك فى الفصول الثلاثة التالية بمباحثها المختلفة .

* * * * * *

* * *

* *

الفصــــل الثـــــانى

المقـــال الأدبـــى وأنواعــه

ازدهر المقال الأدبي بأنواعه المختلفة في الصحافة المصرية ازدهاراً كبيراً في وقت النهضة الفكرية التي سادت مصر في الفترة الواقعة بين عامي ١٩٢٢ و ١٩٤٢ أي على وجه التقريب في فتره مابين الحربين العالميتين الأولى والثانية

ففي تلك الفترة نعمت مصر بشئ من الاستقرار المادي ، والاستقرار الاجتماعي ، أتاحا للشعب المصري ، أو الطبقة المستنيرة منه ، أن تقرأ وتتذوق وتستمتع بألوان فكرية أدبية شتى . وفي تلك الفترة أيضا أنجبت مصر خير أدبائها في الواقع ، ومنهم على سبيل المثال : أمين الرافعي ، ومصطفى صادق الرافعي ، ومصطفى لطفي المنفلوطي ، وعبد القادر حمزه وتوفيق دياب ، وعباس محمود العقاد ، و الدكتور طه حسين ، والدكتور محمد حسين هيكل ، وابراهيم عبد القادر المازني ، وزكي مبارك ، وأحمد حسن الزيات ، وأحمد أمين ، ومحمود تيمور ، وتوفيق الحكيم ، وعبد العزيز البشري ، وفكري أباظه ، وأحمد زكي ، ومحمد فريد أبوحديد ... وغيرهم[1].

ولقد كتب هؤلاء الفصول الأدبية الممتعة في الصحف المصرية .. وقدموا للقراء خلاصة طيبة للفكر الأدبي المصري ، وتوزعت على أنواع عديدة من المقالات الأدبية ، منها : المقال القصصي ... ومقال الاعترافات .... ومقال الخواطر والتأملات .... والمقال الكاريكاتوري .... والمقال النزالي ....

ونتناول كل نوع من هذه الأنواع في مبحث مستقل من المباحث الخمسة التالية :

---

(١) المدخل في فن التحرير الصحفي ، مرجع سابق ص ٢٢٨

المبحث الأول

المقال القصصى

يعتبر الأديب الصحفى المعروف ابراهيم عبد القادر المازنى (*) ، من أقدر كتاب مصر فى هذا اللون من ألوان المقال الأدبى .. وهو كاتب جم التواضع ، خفيف الروح فى الكتابة ، ضاحك من كل شيء حتى من نفسه .. وكان يتغلب على كآبته الأصلية بالضحك ، وأسلوبه طراز فريد ، يتميز بدقة تعبيره وواقعيته .. وقد ظهر تواضعه الجم فى اللغة التى كان يكتب بها المقال ، وفى طريقة عرضه على القراء .. وتم جمع مقالاته فى عدة مجموعات منها : (حصاد الهشيم ١٩٢٤) و (صندوق الدنيا ١٩٢٩) و (ابراهيم الكاتب ١٩٣١) و (خيوط العنكبوت ١٩٣٥) و (فى الطريق ١٩٣٦) و (قبض الريح) و (من النافذة) و (ع الماشى) ... الخ .

وقد اشتهر المازنى بكتابة الأقصوصة ، وهى مايطلق عليها اسم (المقال القصصى) والتى امتلأت بها الصحف المصرية فى الفترة الواقعة بين عامى ١٩٢٢ و ١٩٤٢ أى فى فترة مابين الحربين العالميتين الأولى والثانية على وجه التقريب حيث سعدت مصر حينئذ بألوان فكرية وأدبية شتى ، وازدهر الأدب خلالها ازدهاراً عظيما .. وبالرغم من أن المازنى قد سبقه فى كتابة الأقصوصة ، وجرى معه فى ميدانها كثيرون من أمثال : محمود تيمور ، وجبران خليل جبران ، واسماعيل أدهم ، وغيرهم ، إلا أن أحداً من هؤلاء لم يرزق موهبة المازنى فى عذوبة الكلام ، وحلاوة الفكاهة ، وشعبية العبارة ،

(*) وهو أديب صحفى ولد بالقاهرة عام ١٨٨٩ ومات بها عام ١٩٤٩ وتخرج فى مدرسة المعلمين العليا ، وأقبل على قراءة كتب الأدب العربى القديم ، وأتقن الانجليزية وقرأ كثيراً فى آدابها . واشتغل بالتعليم زمنا ، وأقبل فى مطلع حياته الأدبية على نظم الشعر فاصدر جزأين من ديوانه (١٩١٤ - ١٩١٧) ولم يلبث أن انصرف عن الشعر والتعليم واتجه الى الكتابة فى الصحف فوجد اداته الأدبية الحقة فى المقال (راجع الموسوعة العربية الميسرة - القاهرة - دار الشعب ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر - الطبعة الثانية ١٩٧٢ ص ١٦٢١) .

مع المحافظة التامة في الوقت نفسه على عربيتها ، وان ظل انتاجه القصصي يحمل طابع الحديث الشخصي الذى تتميز به مقالاته (١)

ومع أن ابراهيم عبد القادر المازنى كان من أكثر الكتاب المتحدثين عن نفسه وعن بيئته ، وعن صلته بأهله وبالناس ، إلا أن توفيق الحكيم يقول عنــــه :

" الويل كل الويل لمن يؤرخ للمازني ، فإن الكذب هبة من هباته .. ذلك أن قدرة المازني في الخيال والاختراع واختلاط حقه بباطله ، قد أسدلت حجاباً كثيفاً على وجهه الحقيقي " (٢)

ورد المازني على مقال توفيق الحكيم مفسراً هذا الكذب بأنــــــــــــــــه (الصدق الفني) حيث قال : " وليس الصدق عندي – وأحسب الأستاذ توفيق الحكيم مثلي – أن يروى الكاتب قصة وقعت كلها بجملتها وتفصيلها بلا نقص ولازيادة ، فما لهذا قيمة ، ولاهو من الأدب الجدير بهذا الاسم ، وانما المعـــول الصدق والكذب على طريقة العرض وأسلوب التناول والاخلاص في التعبير والتصوير . ولا وزن لكون القصة مما وقع للكاتب ، أو لسواه أو مما تخيل ، وقد يأخذ الكاتب بعض الوقائع فيضيف إليه ، أو ينقص منه ، ويبنى قصته مما جرب وعرف وتخيل أيضا ، ولامفر من هذا المزج بين الحقيقة والخيال .

---

(١) المدخل في فن التحرير الصحفي / مرجع سابق ص ٢٢٨ و ٢٣٤ وكذلك الموسوعة العربية الميسرة مرجع سابق ص ١٦٢١ .

(٢) نعمات أحمد فؤاد / أدب المازني ص ٤٤ نقلا عن مجلة الثقافة بتاريخ ١١ /٤/ ١٩٣٩ .

وسنه الحياة واحدة فى خلق الحيوان ، وخلق الفكرة أو الاحساس ، أو الخيال ، وهذه السنة هى التوليد " (١)

ومعنى ذلك باختصار - كما يقول عبد اللطيف حمزه(٢) - أن الواقعية عند الفنان هى الحياة التى حوله مضافة إليها شخصية هذا الفنان نفسه ، أو هى الحياة كما تعكسها مرآة هذا الفنان بالشكل الذى يراه . فلا ينبغى أن ننتظر من الكاتب الواقعى أن يجعل نفسه آله لاتحس ولاتشعر ، أو أن يصور لنا الحياة تصويرا فوتوغرافياً ، كما لاينبغى لنا أن ننتظر منه ألا يقص علينا غير ماوقع بالفعل ، فليس هذا هو المقصود بالواقعية فى الأدب ، وحسبنا منه إذن أن يقنعنا بأن هذه الحوادث التى قصها علينا ممكنة الوقوع ، وأن هذه الشخصيات التى تحدث عنها من الجائز أن توجد فى الحياة .

نموذج مقال قصصى :

وفيما يلى نقدم مثالا لمقال قصصى بقلم ابراهيم عبد القادر المازنى من بين المقالات القصصية التى جمعها فى كتابه (صندوق الدنيا) وعنوانه " حلاق القرية " (٣) وفيه يقول " :

وقعت لى هذه الحادثه فى الريف منذ سنوات عديدة قبل أن تتغلغل المدينة إلى أقصى قراه ، وكنت أنا الجانى على نفس فيها ، فقد عرض مضيفى أن أستعمل موساه فابيت ، وقلت مادام أن للقرية حلاقاً فعلى به ، فحذرنى مضيفى وأنذرنى ووعظنى .. ولكنى ركبت رأسى ، وأصررت أن يجئ الحلاق . فجاء بعد بضع ساعات يحمل ماظنته فى أول الأمر " مخلاة شعير " وسلم وقعد ، وشرع يحيينى ويحادثنى حتى شككت فى أمره ، واعتقدت أن الحلاق شخص آخر ، وأن هذا الجالس أمامى ليس

---

(١) مجلة الثقافة بتاريخ ١٦ / ٥ / ١٩٣٩ .

(٢) المدخل فى فن التحرير الصحفى / مرجع سابق ص ٢٣٥ و ٢٣٦ .

(٣) صندوق الدنيا (القاهرة - دار الترقى للطبع والنشر ١٩٢٩) ص ٧١ .

أم لابد أن يضرب الرمل والحصى أولا ؟ ويحسب الطالع قبل أن يباشر العمل ؟ فلم يفهم ماأقول ، وأولاني صدغاً كث الشعر وقال " هيه " فظننته أصم ، وصحت به " أ . ر يد . أن أ . ح . ل . ق " فسره صياحي جداً ، وضحك كثيراً ، وأقبل علي " مخلاته " فأخرج منها مقصاً كبيراً ، فدنوت من أذنه وسألته : هل في القرية فيل ؟ فقال : فيل . لماذا ؟ فأشرت الى المقص ، فضحك وقال : هذا مقص حمير ولامؤاخذه . فقلت : ولماذا تجيئني بمقص حمير ؟ أحماراً تراني ؟ .

ويظهر أن معاشرة الحمير بلدتْ إحساسه ، فانه لم يعتذر لى ، ولاعبأ بسؤالى شيئاً ، ثم أخرج "موسى " من طراز المقص ، و "مكنة " من هذا القبيل أيضا ، فعجبت له : لماذا يجيء إليّ بكل أدوات الحمير؟وسألته عن ذلك فقال : إن الله مع الصابرين . وبعد أن افرغ مخلاته كلها انتقى أصغر الأدوات حجما وأصغرها هو أكبر مارأيت في حياتي . ثم أقبل علي وقال : تفضل . .قلت : ماذا تعنى ؟ قال : اجلس على الأرض . قلت : ولماذا بالله ؟ قال : الا تريد أن تحلق ؟ قلت : ألا يمكن أن أحلق وأنا قاعد على الكرسى ؟ قال : وأنا ؟ قلت في سرى : وأنت تذهب الى جنهم وبئس المصير !! .

وهبطت إلى الأرض كما أمر ، ففتح موسى كالمبرد ، فقلت : إن وجهي ليس حديدا ياهذا . قال لاتخف ان شاء الله ولكى خفت باذن الله ! ولاسيما حين شرع يقول : بسم الله ، الله اكبر .. كانما كنت خروفاً ، وبصق في كفه ، ثم شحذ الموسى على بطن راحته ، ثم جذب رأسي ، فذعرت ، ونفرت ، ووليت هاربا إلى أقصى الغرفة : فقال لى : ماذا ؟ قلت : ماذا ؟ اتريد أن تحلق لى بمبرد ، ومن غير صابون ؟ قال : ماذا يخيفك ؟ قلت : يخيفني ؟ لقد دعوتك لتحلق لى لحيتى ، لالترد لى شعرها . قال : ياافندى لاتخف ، ثم قرأ من الكتاب الكريم : " فلما ذهب عن ابراهيم الروع وجاءته البشرى " إلى آخر الآية الشريفة وأظنه أراد أن يرقيني بها . فيا لها من حلاقة لاتكون إلا برقية !!

وأسلمت أمري لله ، وعدت فقعدت أمامه ، فنهض على ركبتيه ، وتناول رأسي بين كفيه ، وأمال صدغي إليه ، ثم وضع ركبته على فخذى ، ولف ذراعه حلول عنقي ، فصار فمي مدفوناً في صدره ، فصجت - أوعلى الأصح - جاهدت أريد الصياح لعل أحداً يسمعنى فينجدنى ، غير أن طيات ثوبه كانت في فمي ، أما رائحة الثوب فبحسب القارىء أن يعلم أنها أفقدتني الوعي .

ولاأطيل على القارىء ، فقد أهوى الرجل بموساه على وجهي ، فسلخ قطعة من جلدى ، فردني الألم إلى الحياة ، وآتاني القوة الكافية للصراخ على الرغم من الكمامة ، ووثبت أريد الباب ، ولكنه كان على كبر سنه أسرع منى ، ومايدريني لعله كان يتوقع ذلك ، وعسى أن تكون المرانه قد علمته أن يكون يقظاً لأمثال هـــذه

المحاولات ، فردنى بقوة ساعده ، فتشهدت ، وتذكرت قول المتنبى :

(وإذا لم يكن من الموت بد . . فمن العجز أن تموت جبانا) .. كلا ! سأسدل الستار على هذا المنظر الذى يقف له جلدى ، على الرغم من كر السنين الطويلة ، ثم جاء هذا السفاح بطشت يغرق فيه كبش ، ووضعه تحت ذقنى ، وصب ماءه على وجهى ، وفى صدرى ، وعلى ظهرى ، ليغسل الدم الذكى الذى أراقه . وأخرج من " مخلاته " منشفة هى " بممسحة " الأرض اشبه ، فاعتذرت وأخرجت منديلى ، وسبقته إلى وجهى . فهى معركة لايزال بجلدى منها ندوب وآثار . " انتهى المقال .

خصائص المقال القصصى :

ومن دراسة فن المقال القصصى عند المازنى ، يمكن استخلاص عدة خصائص وسمات يعتمد عليها ومنها مايلى . [1]

أولا : الاتساع فى الخيال ، وهو ماأسماه توفيق الحكيم (الكذب الحقيقى) وماسماه المازنى (الصدق الفنى) ، فليس من الضرورى أن تكون الصورة كاملة الأجزاء فى الواقع الملموس من الحياة ، لأن الكاتب المبدع يستطيع بفنه وابداعه ، وتصوره وخياله ، أن يكمل مابهذه الصورة من نقص ، أو يحذف مابها من زيادة ، على حد قول المازنى .

ثانيا : انتزاع الفكاهة من الوقائع التى يرويها الكاتب ، ولو كانت من الوقائع التافهة فى ذاتها ، وهكذا يستطيع المازنى أن يستهوينا دائما بقدرته على التصوير ، وبراعته فى انتزاع الفكاهة من الحياة بجميع صورها وأشكالها ، وبما فى هذه الحياة من جد وهزل ، ومافيها من أشياء قيمة وأخرى مهمة .

ثالثا : استعمال اللغة التى تصور الواقع ، أو التى تشتق منه فى أغلب الأحيان ، مادامت هذه الأقاصيص ، أو المقالات القصصية قطعة من الحياة الواقعية ، كما أراد لها الكاتب أن تكون كذلك ... من أجل هذا حرص ابراهيم عبد القادر المازنى على أن يختزن فى ذهنه مئات الذكريات ، وألا يترك واحدة منها فى الماضى أو الحاضر تفلت من ذاكرته . ذلك أنه مطالب على الدوام بأن يمد هذه الصحيفة أو تلك

---

(١) المدخل فى فن التحرير الصحفى / مرجع سابق ص ٢٣٩ - ٢٤١

بالمقال القصصي الذى تعوده منه القراء وفى ذلك يقول المازنى أيضا "وان كتبت فى الأسبوع مقالين ، فجملة ذلك فى العام يبلغ المائة ، وكل مائه مقال تملأ ثلاثة كتب ، فسيكون لى أذن بعد عشرة أعوام - اذا ظللت هكذا - ثلاثون كتابا ، خلاف ماأخرجت قبل ذلك . والبلاء والداء العياء أن تكتب مرة مقالة فكاهية ، والطامة الكبرى أن تكون المقالة جيدة وأن تكون الفكاهة فيها بارعة ، فلا راحة لك بعد هذا أبدا ، لأن الناس يظلون ينتظرون منك بعد ذلك أن تطرفهم بالفكاهات فى كل مقال آخر ، فإن أخطأوا عندك مايطلبون من الفكاهة فالويل لك ، وأنت عندهم ضعيف لاتحسن أن تكتب ، أو غير موفق فيما تحاول حتى ولو كنت تكتب ، والناس معذورون ، فإن وطأة الحياة ثقيلة ، ومادمت قد عودتهم أن تسليهم وتضحكهم ، أو أطمعتهم وأنشأت فى نفوسهم الأمل فى هذا فماذا تريد أن تتوقع ؟ .

رابعا : التهويل فى وصف الأشياء ، وهو نوع من الكذب الذى ذكره توفيق الحكيم ، ومعناه عند البلاغيين كمعنى الذى يقول : أعذب الشعر أكذبه ، أى أمعنه فى التخيل . فحقيبة الحلاق (مخلاة شعير) ومقصه (مقص حمير) وموساه (مبرد) وحلاقته نفسها لاتكون إلا برقية من الرقى . وهكذا .. فالمبالغة إذن أساس من الأسس التى يبنى عليها أقصوصته دائما .. ومقالاته القصصية كانت فى حقيقة أمرها خير مايصور البيئة المصرية ، والدعابة المصرية ، والشخصية المصرية ، ومبنية على الشكوى وعلى الشك فى الحياة وعلى عدم الثقة فيها والاستخفاف بها وغير ذلك من السمات العامة .

* * * * * * * * * * *

نموذج آخر :

قدمنا فيما سبق نموذجاً كاملا من المقال القصصي للمازني الذى كتب مئات المقالات المشابهة وتم جمعها فى كتب عديدة سبق ذكرها .. ومنه يتضح أن أتفه الحوادث فى نظر الناس يصلح أن يكون مادة أدبية رائعة تروق جميع الناس ، متى تناولها كاتب قدير يحيلها الى مادة جديرة بالنشر فى صحيفة ..

وفيما يلى نقدم نموذجا آخر لكاتب حديث من الكتاب الساخرين وهـــــو (يوسف عوف) يعرض فيه بعض هموم الشباب ومشكلاتهم فى عدم وجود وظائف لهم ، لذلك يسافرون الى الخارج ، وهناك يقابلون المشكلات والصعاب ، يعرضها الكاتب (يوسف عوف) فى أسلوب ساخر ، وخيال واسع وينتزع الفكاهة من الوقائع التى يرويها ، كما يستعمل فيه اللغة الى تصور الواقع وتشتق منه باعتبارها قطعة من الحياة الواقعية . وهذا النموذج من مجلة الشباب بعنوان (و .. هوبا .. على أوربا) (1) وقد جاء فيه : حسنين : مالها الشغلة دى ياعادل ؟ موش أحسن مالنت قاعد عاطل كده ؟؟ عادل : جرى إيه ياحسنين ؟! هو أنا كنت باخد بكالوريوس تجارة عشان أجى عا الأخر واشتغل كاتب حسابات عند المعلم شفتورة الجزار ؟!

- وفيها ايه ؟! موش شغلة شريفة ؟!
- بس موش أد المقام
- واذا كانت هى دى اللى موجودة حاليا
- ماتلزمنيش
- طيب ماأنا زيك بكالوريوس تجارة برضه ، وباشتغل بياع فى بوتيك مدام وزه !!!
- انت شىء وانا شىء
- بكرة تندم ياعادل . ....

****

أحمد : هو مفيش أى شغلة عاجباك ياعادل يا ابنى ؟!

عادل : معقول يابابا . على أخر الزمن أشتغل ضابط أمن فى شركة ؟!

مهدية : وماله يابنى ... بس بيعينوك ضابط أمن برتبة كبيرة .. لـــــواء عا الأقل ...

أحمد : لواء إيه يامهدية ... ضباط الأمن كلهم رتبة واحدة ياولية ..

عادل : من غير ولاديورة ياماما .. مهدية " تشهق " وتهزأ نفسك ليه ؟؟ .. بلاش منها الشغلة دى خالص ..

أحمد : يعنى عاجبك قعدتك جنبك فى البيت .

مهدية : يعنى هى لقمته اللى حاتزود ؟!

---

(1) مجلة الشباب العدد (٢١٤) بتاريخ مايو ١٩٩٥ ص ٤١ .

سحر : (تدخل من باب الشقة حامله خطابا فى يدها) عادل جواب باسمك لقيته فى صندوق البوسته .

عادل : (يفض الخطاب بسرعة ويتصفحة فيشرق وجهه) ده من حسن فوقى فى المانيا .

سحر: صحيح !؟ كاتب لك ايه !؟ عادل بيقول لى انه لقى لى شغلة حلوة أوى فى دوسلدورف ..

أحمد : يظهر حسن فوقى صاحبك ده له حيثية كبيرة هناك .

عادل : امال ايه .. ده بيشتغل من زمان فى الأمن الغذائى بتاع المانيا

سحر : مبروك ياعادل ... مهدية - تزغرد .

* * * * *

** يسافر عادل الى المانيا وقد امتلأ قلبه بالأمل ويستقبله صديقة حسن ويدعوه للأقامة عنده مؤقتا فى حجرته الضيقة لحين استلامه العمل .. ويكتشف عادل أن الحجرة مشتركة بين ثلاثة من الشباب المصرى المهاجر .... ثم يكتشف أن صديقه حسن خبير الأمن الغذائى فى المانيا ، يعمل مرمطونا فى مطبخ أحد المطاعم حيث يقوم بغسل المواعين والأطباق ومساعدة الشيف والطباخين فيساله وهو يضع يده على قلبه :-

وياترى ايه هى الوظيفة اللى انت حاجزها لى ياحسن !؟

- شغلانه زى الفل

- أهو كده بليت ريقى .

- بالليل بعد ما الناس ما تنام .. حاتكنس الشوارع وتغسلها بالميه والصابون لحاد ماتبقى زى الفل

* لايجد عادل مجالا للرفض ويضطر لقبول هذا العمل حتى لا يضطر للعودة الى مصر وقفاه يقمر عيش ويشمت فيه الكثيرون ..

سحر تفض الخطاب الذى وصل من المانيا بسرعة وتتصفحه بينما الأب والأم " أحمد ومهدية " ينتظران فى لهفة :

مهدية : هيه !؟ ... هو كويس ؟ !

سحر : أيوه ياماما ... واستلم شغله أول ماوصل .

أحمد : اشتغل ايه هناك .

سحر : موش عارفة .. لكن باين عليها شغلة مهمة أوى .

أحمد : ايه هى ؟

سحر : كاتب انه بيقوم بتنظيف أوربا كلها من الأوحال اللى غرقانة فيها لكى يعود اليها وجهها الناصع مرة أخرى .

أحمد : يهتف " ربنا يحميك يابنى . . اهو كده ووريهم اخنا مين ... زغرتى ياولية ...

مهدية " تزغرد " .

* * * *

** عائد مهنة الكناس تكفي بالكاد طعام وإقامة عادل .. ولكن قبل أن يمر عليه فيها شهران ، تقوم فى المانيا حركة تنادى بالتخلص من العمالة الأجنبية خاصة الجنس الأصفر والأتراك والعرب والأفريكان وتعتدى الجماعات النازية الجديدة على حياتهم ويطاردونهم حتى الحدود .

* يهرب عادل مع أفواج الهاربين ويتجه الى هولندا حيث يلتحق بأحد الأوتيلات فى وظيفة عامل مصعد .. فى مصر تقرأ سحر خطاب عادل على والديها :

سحر تقرأ " ولست فى حل من الافصاح عن طبيعة عملى الجديد حاليا ... ولكن يكفى أن تعرفوا أنى أساعد الناس فى الصعود الى الطبقات العليا وانه لولاى لظلوا فى اماكنهم بأسفل " .

أحمد : " يهتف " الله اكبر ... تحيا مصر .

مهدية تزغرد .

* * * * *

** تمتد حركة طرد العمالة الأجنبية الى امستردام أيضا فيهرب عادل مع الهاربين الى باريس .

سحر : تقرأ خطاب عادل من باريس

سحر : بابا ماما .. عارفين عادل بيشتغل ايه دلوقتى !!

مهدية : أيه ؟

سحر : فى الصحافة .

أحمد : الواد فى بحر كام شهر بس حط أوروبا كلها فى جيبة ...

مهدية : طيب مايشخشخ جيبه ده ويبعث لنا حاجة .. ده مفيش ولا حتى هدية صغيرة بعتها لاخته سحر

أحمد : هدية ايه ياولية ... كفاية إنه عرفهم احنا مين .. فراعنة بصحيح .. " فى اعجاب " يابن الإيه بقى الصحافة مرة واحدة !!

* فى باريس نجد عادل ينتقل بين محطات مترو الأنفاق حيث يبيع الصحف !!

* * * * *

** تشتد حركة ضرب وقتل وطرد العمالة الأجنبية من كل أوروبا وإحلال عمالة بديلة لها من دول أوروبا الشرقية بعد تحررها وانتشار البطالة بها .. وتستمر مطاردة الشرطة والأهالى للعمال الأجانب من دولة الى دولة حتى يخلون أوروبا منهم تماما ..

* يصل عادل الى مصر فجأة فيتقابل بالأحضان والفرح والحب ويحدثهم - وهو رافع الرأس - عن سبب حضوره المفاجىء الى مصر فيقول .

عادل - أخر حاجة بقى عملتها هناك ... مثلت فيلم أكشن ... حركة ... كله مطاردات ... البوليس والأهالى كانوا بيطاردونى جوه الفيلم والمعجبين والمعجبات بقوا يطاردونى فى الشوارع بره الفيلم ... وفضلوا دول ودول يطاردونى لحاد مصر .

سحر - " فى إعجاب " ياحبيبى ياأبية

أحمد : " يهتف " رفعت راس مصر .

مهدية : " تزغرد "

عادل - ينفجر فجأة بالبكاء ..

أحمد بتعيط ليه ؟!

عادل - صعبان على حسنين وبقية الشلة .. ياريتهم كانوا معايا هناك . ياترى عاملين ايه دلوقتى .

سحر - خدوا قرض من صندوق التنمية الاجتماعى وعاملين مشروع صغير للتغليف والتعليب .

عادل - غلابه ... بس لازم اشتغل معاهم عشان أساعدهم .

أحمد - وتسيب أوروبا .

سحر - حايحتاسوا هناك من غيرك . عادل : خليهم يتربوا شوية .

أحمد هو ده ابنى .. هى دى مصر .

مهدية " تزغرد " .

* * * * *

وبعد ذلك ننتقل الى الحديث عن نوع آخر من أنواع المقال الأدبى وهو المقال الخاص بالاعترافات . وذلك فى المبحث التالى ....

* * * *

* * *

* *

*

المبحث الثانى
مقال الاعترافات

بالنسبة للمقال الذى على شكل منكرات أو اعترفات ، يوجد على سبيل المثال كتاب (الأيام) للدكتور طه حسين ، وكتاب (حياتى) لأحمد أمين ، وكتاب (عالم القيود والسدود) لعباس العقاد ، وكذلك (منكرات مدمن على الحشيش) لطبيب اسمه (الجريدنى) نشرها على هيئة مقالات فى مجلة الهلال بدون توقيع

وفى الحقيقة لم يبلغ أحد من هؤلاء الكتاب الأفذاذ فى هذا الفن من فنون المقال الأدبى ، بعض مابلغة الدكتور طه حسين (*) فى كتابه المعروف (الأيام) الذى جاء صورة نابضة بالحياة ، زاخرة بالمعانى ، رسمها كاتب قدير عرف بغزارة العاطفة ، وجمال التصوير ، وعذوبة العبارة .

وكتاب (الأيام) فضلا عن كونه جاء صورة للقرية المصرية بمافيها ومن عليها ، فانه جاء كذلك فى الوقت نفسه صورة رائعة لكفاح شاب فقد البصر منذ الصغر ، ولكنه ناضل فى حياته حتى أصبح ملء السمع ، وملء البصر ٠٠٠٠ وأصل هذا الكتاب كان عبارة عن عدد من المقالات نشرت تباعا على هيئة فصول فى مجلة الهلال عام ١٩٣٦ فأقبل القراء على قراءتها بشغف شديد ، وحين انتهى طه حسين من وصف طفولته ، وصدر من شبابه ، أشاروا عليه بأن يجميع هذه الفصول فى كتاب ، فجمعها باسم (الأيام) الذى تم ترجمته فيما بعد الى عدد غير قليل من اللغات الأجنبية ، ووجد أصحاب هذه اللغات فى قراءته أضعاف اللذة التى وجدها أصحاب العربية . ويمتاز كتاب (الأيام) بأمور شتى يمكن تلخيصها فى عبارة واحدة ، وهى أنه واقعى فى تصويره ، وان لم يكن واقعيا فى طريقة تعبيره . . .

(*) طه حسين كاتب وباحث أدبى ، لقب بعميد الأدب العربى ، وقد ولد عام ١٨٨٩ فى احدى قرى مركز مغاغة بصعيد مصر . وفقد بصره طفلا فوجه الى الكتاب ثم الأزهر ثم اتصل بأحمد لطفى السيد . وانتظم فى الجامعة الأهلية ، ثم سافر فى بعثة إلى فرنسا ، وبعد عودته حاضر فى الجامعة الأهلية ، ولما أنشئت الجامعة المصرية عام ١٩٢٥ عين أستاذا بها ثم أصبح عميداً لكلية الآداب . وكتب فى المجلات الأدبية ونشر مقالات سياسية فى صحف الوفد فى أثناء حكم اسماعيل صدقى ، وتولى منصب مدير جامعة الاسكندرية ، فوزيرا للمعارف فرئيس اللجنة الثقافية للجامعات العربية . وانتاجه الأدبى ضخم متنوع يشمل دراسات أدبية منها : (ذكرى أبى العلاء) نال به الدكتوراه من الجامعة المصرية القديمة عام ١٩١٤ و (ابن خلدون وفلسفته الاجتماعية) نال به الدكتوراه من السربون (الترجمة العربية ١٩٢٥) و (حديث الأربعاء) و (فى الأدب الجاهلى) و (حافظ وشوقى) و (مع المتنبى) و (خصام ونقد) ٠٠٠ الخ ودراسات فى التاريخ السياسى والاجتماعى لصدر الاسلام : (الفتنة الكبرى) وأخرى فى أصول الحضارة الغربية وتيارات الأدب الغربى المعاصر .. كما يشمل قصصا فنيا مستمدا من كتب السيرة : (على هامش السيرة) وقصصا حديثا يدور معظمة فى بيئة الصعيد : (دعاء الكروان) و (شجرة البؤس) وقد صاغ انتاجه القصصى صياغة فنية تجمع بين البساطة والفخامة والوضوح (الموسوعة العربية الميسرة ص ١١٦٤)

فالكتاب واقعي في تصويره ، بمعنى أن الدكتور طه حسين وصف به حياته في الريف المصرى أصدق مايكون الوصف ، وصور الحياة في هذا الريف المصرى أدق مايكون التصوير ، فلا تكلف في تزويق الحديث ، ولاجنوح الى اختراع الحوادث ، ولارغبة في اخفاء الحقائق عن عين القارىء .. غير أن الكتاب ليس واقعيا من حيث الأسلوب الكتابي أو طريقة التعبير.. ذلك أن طه حسين يأبى على شخصياته القصصية في (الأيام) إلا أن تنطق اللغة العربية الفصيحة .. ومع ذلك لايحس القارىء بأن في اللغة الفصيحة التي يجريها الكاتب على ألسنة أشخاصه شيئاً من الفضاضة أو التكلف الذى يقلل تقليلا واضحاً من صفة الواقعية ، وليس كل كاتب من الكتاب قادراً على ذلك في الواقع ، اذ أن طواعية اللغة لاتتيسر عادة إلا للعارفين بها والقادرين عليها .(١)

نموذج من كتاب الأيام :

وفيما يلى نقدم نموذجا يشتمل على بعض صفحات من كتاب (الأيام) التى كان قد نشرها طه حسين على هيئة مقالات في مجلة الهلال كما سبق ايضاحه ... يقول طه حسين :

" .. على أن صبينا لم يلبث أن أضاف إلى هذه الألوان من العلم لونا آخر جديداً هو (علم السحر والطلاسم) ، فقد كان باعة الكتب يتنقلون في القرى والمدن بخليط من الأسفار ، لعله أصدق مثل لعقيدة الريف في ذلك العهد . كانوا يحملون في حقائبهم : مناقب الصالحين ، وأخبار الفتوح والغزوات ، وقصه القط والفار ، وحوار السلك والوابور ، وشمس المعارف الكبرى في السحر ، وكتاباً آخر لست أدرى كيف يسمى ، ولكنه كان يعرف بكتاب (الديربى) ثم أوراداً مختلفة ، ثم قصص المولد النبوى ، ثم مجموعات من الشعر الصوفي ، ثم كتبا في الوعظ والارشاد ، وأخرى في المحاضرات وعجائب الأخبار ، ثم قصص الأبطال من الهلاليين والزناتيين وعنتره والظاهر بيبرس ، وسيف بن ذى يزن ، ثم القرآن الكريم مع هذا كله .

" وكان الناس يشترون هذه الكتب كلها ، ويلتهمون مافيها التهاماً . وكانت عقليتهم تتكون من خلاصتها كما تتكون أجسامهم من خلاصه مايأكلون ويشربون .

" وكان من القصص التى تكثر في أيدى الصبيان ، يحملها إليهم باعة الكتب ، قصة اقتطعت من ألف ليلة وليلة وتعرف بقصة (حسن البصرى) وفي هذه القصة أخبار ذلك المجوسى الذى كان يحول النحاس ذهباً ، وأخبار ذلك القصر الذى كان يقوم من وراء الجبل على أعمدة شاهقة في الهواء ، وتقيم فيه بنات سبع من بنات الجن ، والذى أوى إليه حسن البصرى ، ثم أخبار حسن هذا ، وماكان من رحلته الطويلة

---

(١) المدخل في فن التحرير الصحفي / مرجع سابق ص ٢٤٢ ، ٢٤٣ .

لشاقة إلى دور الجن .

" وبين هذه الأخبار خبر ملأ الصبي إعجابا ، وهو أن قضيبا أهدى إلى حسن البصري في بعض رحلته ، وكان من خواص هذا القضيب أن تضرب به الأرض فتنشق ويخرج منها تسعة نفر يأتمرون بأمر صاحب القضيب - وهم بالطبع من الجن - أقوياء ، خفاف ، يطيرون أو يعدون ، ويحملون الأثقال ، ويأتون من عجيب الأمر ما لاحد له .

"فتن الصبي بهذه العصا ، ورغب في أن يظفر بها رغبة شديدة قوية ، أرّقتْ ليله ، ونغّصتْ يومه ، فاخذ يقرأ كتب السحر والتصوف ، يتلمس عند السحرة والمتصوفين وسيله تمكنه من هذه العصا .

" وكان له قريب صبي مثله يرافقه إلى الكتاب ، فكان أشد منه كلفاً بهذه العصا ، وماهي إلا أن جَدّ الصبيّان في البحث ، حتى انتهيا إلى وسيلة يسيرة تمكنهما مما يريدان ، وجداها في كتاب (الديربي) . وهي أن يخلو الفتى إلى نفسه - وقد تطهر- ووضع بين يديه ناراً ومقداراً من الطيب ، ثم يأخذ الفتى في ترديد هذا الاسم من أسماء الله (ياللطيف ، يالطيف) ملقياً في النار شيئا من الطيب من حين إلى حين . ويمضي في ترديد هذه الكلمة ، وتحريق الطيب حتى تدور به الأرض ، وينشق أمامه خادم من الجن موكل بهذا الاسم من أسماء الله فيطلب إليه مايريد ، والحاجة مقضية من غير شك .

" ظفر الصبيان بهذه الوسيلة ، فاعتزما أن يستخدماها ، وماهي إلا أن اشتريا ضروباً من الطيب ، وخلا صبينا إلى نفسه في (المنظرة) فأغلق بابها من دونه ، ووضع بين يديه قطعاً من النار ، وأخذ يلقي فيها الطيب ، ويردد (يالطيف ، يالطيف) وطال به هذا ، وهو ينتظر أن تدور به الأرض ، وتنشق له الحائط ، ويمثل الخادم بين يديه ، ولكن شيئاً من ذلك لم يكن .

" وهنا تحول صبينا الساحر المتصوف إلى نصاب !!

" خرج من (المنظرة) مضطرباً ، ويمسك رأسه بيديه ، ولايكاد لسانه ينطق بحرف واحد . فتلقاه صاحبه الصبي يسأله : هل لقي الخادم ؟ وهل طلب إليه العصا ؟ وصاحبنا لايجيب إلا مضطربا " ، مرتجفاً تصطك أسنانه اصطكاكاً حتى روع رفيقه الصبي . وبعد لأي أخذ صاحبنا يهدأ ، ويجيب في ألفاظ متقطعة ، وبصوت متهدج : " لقد دارت بي الأرض ، وكدت أسقط ، وانشقت الحائط ، وسمعت صوتاً ملأ الحجرة من جميع نواحيها ، ثم أغمي عليّ ، ثم أفقت وخرجت مسرعاً ."

" سمع الصبي هذا فامتلأ فرحاً وإعجاباً بصاحبه وقال له : هون عليك ، فقد أصابك الرعب ، وملك عليك الخوف أمرك ، فلنبحثن في الكتاب عن شيء يؤمنك ، ويشجعك على أن تثبت للخادم ، وتطلب منه ماتشاء !! .

" واستأنفا البحث في الكتاب ، وانتهى بهما البحث إلى أن صاحب الخلوة يجب أن يُصلي ركعتين قبل أن يجلس إلى النار ، ويأخذ في ترديد هذا الاسم ، وكذلك فعل الصبي من غده ، وأخذ يلقي الطيب في النار ويردد دعاء (اللطيف) ينتظر أن تدور به الأرض ، وينشق له الحائط ، ويمثل الخادم بين يديه ، ولكن شيئاً من ذلك لم يكن . وخرج الصبي إلى صاحبه هادئاً مطمئناً ، فأخبره أن قد دارت الأرض ، وانشق الحائط ، ومثل الخادم بين يديه ، وسمع منه حاجته ، ولكنه لم يشأ أن يجيبه إليها حتى يمرن على هذه الخلوة ، ويكثر من الصلاة وإطلاق البخور ، وذكر اسم الله ، وضرب له موعداً لقضاء هذه الحاجة شهراً كاملاً يأتي فيه هذا الأمر في نظام ، فإن فسد هذا النظام فلابد من استئناف الأمر شهراً كاملاً آخر .

" وصدق الصبى صاحبة ، وأخذ يلح عليه فى كل يوم أن يخلو إلى النار ويردد الدعاء وأخذ الصبى يستغل من صاحبه هذا الضعف ، ويكلفه ماشاء من مشقة وعناء . فان ابى أو أظهر الاباء ، أعلن إليه صاحبه أنه لن يخلو إلى النار ، ولن يدعو (اللطيف) ولن يلتمس العصا ، فيذعن اذعاناً سريعاً " انتهى النموذج .

على هذا النحو أخذ (طه حسين) يقص تاريخ حياته ، ويكتبه فصولا على شكل مقالات يبعث بها الى مجلة الهلال .. وكان أسلوب هذه المقالات التى على شكل اعتراف متأثرة بالمدرسة الجاحظية فى الكتابة ، وهى مدرسة ذات خصائص فنية معروفة من أهمها : الإسهاب ، والاستطراد ، واتساع العبارة ، وجذب القارىء وسحبه بلطف ومهارة .. ثم هى مدرسة تعنى كذلك بالمقابلات بين الألفاظ بعضها ببعض من جهة ، وبين المعانى بعضها ببعض كذلك من جهة أخرى . ولعل أهم ماتمتاز به المدرسة الجاحظية فوق هذا كله أمران : أولهما قدرة هذه المدرسة على أن تؤدى أفخم المعانى بأيسر الألفاظ .. وثانيهما عنايتها الظاهرة بجرس اللفظ ، وموسيقى العبارة ، وتقطيع الكلام قطعاً متوازنة ، تستطيع أن تقف عند كل واحدة منها وتستشعر الراحة فى هذا الوقوف .

ويظهر أن السبب فى شيوع هذه الصفة الأخيرة فى أسلوب طه حسين - بوجه خاص - هوتعلمه منذ نعومة أظفاره تجويد القرآن الكريم ، ثم اعتماده منذ ريعان شبابه وحتى آخر حياته فى تحرير مقالاته على الاملاء ..

كما يتميز أسلوب طه حسين بصفات جعلت منه صحفياً ناجحاً إلى جانب أنه عالم وأديب ... ومن الصفات التى أعانته على النجاح فى ميدان الصحافة ، صفة السهولة فى التعبير ، والأسلوب الموسيقى العزب المتموج ، والواقعية فى التصوير والايناس خلال الحديث ، حتى ليشعر القارىء لمقال من مقالات الاعتراف لطه حسين انه أنمايجلس الى صديق ، ويستمع الى بعض إخوانه يدور معه حيث يدور ، ويدخل معه فى شجون من الحديث لايحب أن يصل الى نهايتها [1]

* * * * *

(١) للدخل فى فن التحرير الصحفى / مرجع سابق ص ٢٤٤ و ٢٤٥ .

نموذج آخر حديث :

ان كتابة مقال الاعترافات لايتطلب من كاتبه - فى الواقع - اكثر من الهدوء النفسى فترة ما ، وإستيحاء الماضى البعيد أو القريب ، وتصوير مايوحى به هذا الماضى تصويراً يعين على تفهم النفس البشرية من حيث هى ، ويعكس فى الوقت ذاته صورة للمجتمع الذى أحاط بالصحفى أو الأديب فى فترة من فترات الحياة البعيدة أو القريبة ... ونقدم فيما يلى نموذجاً آخر لمقال الاعتراف بقلم الكاتب الصحفى صلاح منتصر بعنوان (عشت وشفت وحكايات عمر / فى طريق الوهم) (١)

حيث يستوحى فيه الكاتب من ماضيه بعض وقائع من حياته كان هو طرفاً فيها .وكان شاهد عيان اشترك فى الحدث بنفسه ، فكان وحده القادر على أن يمد القراء بهذه الحقائق التى تثير الاهتمام ، وتوجههم وترشدهم .

من أ سوء الاشياء ان يصاب الإنسان بمرض لايجد الطب علاجا له .. ومع مرور الوقت تتدهور حالة المريض بينما الذين حوله من محبيه لايعرفون ماذا يفعلون . ورغم آلاف الأدوية التى تملأ أرفف الصيدليات والابحاث والدراسات العديدة جدا وملايين الأطباء فى كل العالم ، إلا أن هناك أمراضا يقف الطب أمامها عاجزا . وأهم هذه الأمراض وأكثرها شيوعا تلك المتعلقة بالأعصاب والمخ .. وهؤلاء بعد أن يدوخوا على الاطباء المتخصصين ويعجزوا ، يبدأون جولة أخرى مع تجار الوهم وباعة الأمل الكاذب ..

مازلت اذكر جيدا هذه الأيام التى عشتها عندما اكتشفت تعثر العلم أمام مرض زوجتى الأولى رحمها الله .. ورغم كل دراساتى وقراءاتى ومدرسة العلم التى أنتمى إليها ، إلا أننى مثل أى ريفى جاهل ساذج وجدت نفسى مستسلما للتجول فى شارع العلاج بالأرواح والمغناطيس والأحجبة ، والأطباق المكتوبة بالألوان نضعها على حافة النافذة عند الفجر لتستقبل قطرات الندى فتشربها ! وفى هذا الطريق الطويل الذى سرت فيه اكتشفت أننى لست وحدى وأن هناك كثيرين جدا من كل جنسيات العالم سبقونى إلى السير فيه .

وشعار هذا الطريق هو ما الذى سوف تخسره ؟ وألا يجوز أن تجد فيه الشفاء ؟ .

كانت أول تجربة لنا فى القلعة فى أحد البيوت الفقيرة التى استقبلنا صاحبها بعد أن تركنا ننتظر أكثر من ساعة ثم بعد أن قام بفحص المريضة زوجتى استراحت ملامح وجهه ، فماذا تكون هذه الحالة أمام حالات أشد وأقسى جلست مكانها وقد شفيت وأصبحت تسابق جياد السباق فى الحركة والقفز !

كلام جميل وكلام مطمئن وكل ماعلينا أن نحضر له بعد ثلاثة أيام ٢١ طبقا نتركها له ثم نعود بعد يومين لنأخذها بعد أن يكون قد نقشها بالرسوم الملونة وعلينا مساء كل يوم أن نخرج الطبق من النافذة ونتركه فى مكان يستقبل فيه قطرات الفجر ثم بعد ساعة من الفجر وقبل الشروق نأخذ الطبق بما عليه من ضباب وتقطر فيه بضع قطرات تمسح بها اللون الذى فى الطبق ثم تتناوله زوجتى ٢١ يوما ونحن نصحوا مبكرين

(١) مجلة الشباب العدد (٢٢٤) بتاريخ مارس ١٩٩٦ ص ٢١ .

تلحق باطباق الفجر وتتجرع زوجتى الماء الملون وبالطبع بلا فائدة . وجاءنا عميد الاطباء الروحانيين أو هكذا كان يسمى نفسه .. شخصية غريبة من أحد الأقطار العربية وكانت إعلاناته منتشرة فى المجلات وبسبب عملى الصحفى فإنه قرر أن يكرمنى ويوفدنى إلى مندوبه فى القاهرة وهى سيدة اكتشفت انها زوجة استاذ شهير فى كلية الأقتصاد توفاه الله ... وذهبنا ورقدت زوجتى على ظهرها فى منتصف الحجرة وجلست أنا فى جانب منها واستأذنتنا صاحبة البيت السيدة الشابة أن تطفىء الانوار لأن الروح لاتاتى إلا فى الظلام .. وبدأت تقرأ وتقول كلاما بعضه غير مفهوم .. وسمعنا طرقا فقالت : تفضلى .. ولأن الحجرة التى جلسنا فيها كان لها باب واحد أجلس أنا خلفه فقد كان المقصود ان نعرف ان الروح لم تدخل من الباب وإنما من أى جدار (١) .

كان الظلام شديدا وكان صوت الدكتورة فاطمة رفيقا وهى تكرر للروح أن تتفضل بالدخول .. وفوجئت باصابع تطرق على كتفى ... وكدت أتجمد من الخوف ولكننى تماسكت حتى لاأفزع زوجتى .. وسمعت صوت الدكتورة فاطمة وهى تقول : بعد أذنك مش دى المريضة ده جوزها .. والمريضة نايمة فى وسط الحجرة .. لو سمحتى تكشفى عليها وتقولى لنا العلاج .. وقالت لى زوجتى فيما بعد إنها شعرت بيد تلمسها وتمسك بجبينها .. وبعد دقيقتين أو أكثر قليلا .. انسحبت الروح ..

ولم أتمن فى حياتى أن أقوم بمغامرة كما تمنيت فى هذه اللحظات .. فقد كنت على وشك أن أمد يدى إلى مفتاح النور وأضىء الحجرة وأكشف عملية النصب التى بدأت أشعر بها .. ولكننى تحملت ، بل وأكثر من ذلك صدقت أن هناك روحا دخلت من الحائط وأخطأت طريقها إلى المريضة ثم بعد أن تم تنبيهها استدركت خطأها .. وكانت وصفة أخرى من عدة خلطات من الأعشاب .. وتحملتها زوجتى بصبر وبهدوء واستمسكت أنا بالصمت وماقلته كان يدخل فى مجال محاولة الإيحاء إلى زوجتى بأن كل ماحدث كان حقيقة ، فالمهم هو المريض .. ومن يدرى ربما كان الإيحاء هو العلاج ؟ .. هكذا قلت لنفسى .. ولهذا كان مهما رغم عدم إيمانى بما يحدث أن أحاول الظهور فى صورة المقتنع المؤمن به وأن أنقل اقتناعى وأيمانى إلى الطرف الأخر ..

ومضت شهور أخرى قبل أن ننتقل إلى طبيب أخر.. من أطباء هذا السوق الطويل .. وفى شارع خلوصى بشبرا بدأت سيارتنا تتوقف كل ليله .. وكانت وصفة أخرى من عدة خلطات من الأعشاب .. وتحملتها زوجتى بصبر وبهدوء واستمسكت أنا بالصمت وماقلته كان يدخل فى مجال محاولة الإيحاء إلى زوجتى بأن كل ماحدث كان حقيقة ، فالمهم هو المريض .. ومن يدرى ربما كان الإيحاء هو العلاج ؟ .. هكذا قلت لنفسى .. ولهذا كان مهما رغم عدم إيمانى بما يحدث أن أحاول الظهور فى صورة المقتنع المؤمن به وأن أنقل اقتناعى وأيمانى إلى الطرف الأخر ..

ومضت شهور أخرى قبل أن ننتقل إلى طبيب أخر.. من أطباء هذا السوق الطويل .. وفى شارع خلوصى بشبرا بدأت سيارتنا تتوقف كل ليله .. وكانت وصفة أخرى من عدة خلطات من الأعشاب .. وتحملتها زوجتى بصبر وبهدوء واستمسكت أنا بالصمت وماقلته كان يدخل فى مجال محاولة الإيحاء إلى

كان العلاج هذه المرة مختلفا.. فالمريضة تجلس ساعة بينما تقوم الدكتورة بقراءة آيات القرآن ... كلام الله فمن يكره ...

و٤٠ جلسة .. صحيح انها بدأت بساعة وانتهت بخمس دقائق ولكننا كنا حريصين عليها ..

ولم أحسب يوما مادفعناه .. فقد كان الهدف أغلى كثيرا من أى مال .. ولكننا دفعنا بلا مقابل .. بل على العكس لم يتوقف الخط البيانى عن التدهور ..

ولأن مصر لاتكفى فقد ذهبنا إلى الفلبين .. وكانت سمعه طبيبها فيليبى قد ذاعت وانتشرت واستطعنا عن طريق مدير مكتب شركة مصرللطيران فى مانيلا - رحمه الله - أن نحصل على موعد لزيارة فيليبى .. واكتشفنا أن له ٣ عيادات أشهرها غرفة فى أحد الفنادق .. وكانت مفاجأة أن نجد هذا الجمع الغفير من كل انحاء العالم الذين كانوا فى الانتظار .. ناس من كل انحاء العالم الذين كانوا فى الانتظار .. من أمريكا ومن السويد ومن استراليا ومن فرنسا .. ناس على " كراسى " بعجل ، وناس لايتحركون وقد حملهم أهلوهم .. كلهم جاءوا بحثا عن الأمل عند فيليبى .. ودخلنا على فيليبى وكنت انتظر أن أقابل رجلا عجوزا كبيرا ولكننى وجدته شابا صغيرا ... وبدون أن يضيع وقته طلب إلى زوجتى أن تنام ليجرى لها عملية ! وقال لى مدير مكتب مصر للطيران الذى صحبنى وهو يبشرنى : ابسط ياعم .. عملية .. وقلت نخرج إذن ولكنه أشار إلينا بالجلوس .. وانتظرت أن يدخل مساعد أو طبيب بنج .. ولكنه بسرعه بالغة أخذ يضغط على جبينها ثم بحركة ساحرة بالغة الغرابة وجدته يشد قطعة من اللحم وكأنه يستخرجها من فتحه فتحها فى جبين زوجتى .. وقال لى بلغته ولكننى فهمت المقصود : شايف .. تراجعت وتماسكت ... ورفض فيليبى ان يتقاضى أجرا ولكن بعد الضغط عليه قبل ١٥٠ دولارا فقط ..

هكذا .. عمليه بدون بنج وبدون مشرط وبدون فتح وبدون ألم وعينى عينك أمامنا ..

وسألتنى زوجتى : هل هناك جرح مفتوح مكان مااستخرج قطع اللحم السوداء .. ونظرت ووجدت بقعة صغيرة حمراء ..وقد اختفت بعد يومين لكن الآلام لم تختف .. وكما فى بعض قرارات النيابة ظل الحال على ماهو عليه إن لم يكن أسوأ قليلا .. وعدنا من الفلبين إلى الشارع الطويل .. شارع أطباء الوهم وتجار الأمل الكاذب ....

ورغم ماتعلمناه فإننا لم نتوقف عن مواصلة السير فى الطريق ، ومن واحد إلى آخر .. ولو امتد العمر بزوجتى لما توقفنا ... .

وعندما أسمع عن زبائن هؤلاء الباعة أعذرهم فقد مررت بالتجربة مثلهم وعانيت مايعانونه ... ورغم أننا كنا نعرف أنه لافائدة فقد كنا على استعداد أن نصدق ..

بصرف النظر عن التعليم وعن الثقافة والإيمان بالعلم فإن الإنسان لايتخلى عن العجز بالأمل ... ويكون على استعداد للهبوط من قمة .. العلم الذى وصل إليه لتناول جرعة الأمل من يد جاهل ومدع ... ولهذا ستظل سوق الأوهام عامرة بالزبائن ومليئة أيضا بالنصابين والمحتالين الذين تتركز قدراتهم فى طريقة بيع هذه الأوهام وترويجها [انتهى المقال] .

* * * *

ويتضح لنا من هذا المقال الذى كتبه (صلاح منتصر) أنه يدور حول حادث أقرب إلى الواقع ، ومكتوب بأسلوب موثوق به ، لأن الكاتب يعترف فيه بأنه بالرغم من كل دراساته وقراءاته ومدرسة العلم التى ينتمى اليها ، الا أنه " مثل أى ريفى جاهل ساذج وجدت نفسى فى شارع العلاج بالأرواح والمغناطيس والأحجية ، والأطباق المكتوبة بالألوان نضعها على حافة النافذة عند الفجر لتستقبل قطرات الندى فتشربها " زوجته الأول التى تعثر العلم أمام مرضها .. كما تعرض المقال لكشف بعض حالات غريبة من حالات المجتمع ووضع شاذ من أوضاعه ، على اقتناع أن ذلك يعود بالفائدة على القارىء ويساعده فى حياته الخاصة على عدم الوقوع فى مثل تلك الأخطاء ، لأن القارىء غالبا مايقتدى بكاتب هذا النوع من المقالات فى طريقة تغلبه على هذه الصعاب .

وفوق ذلك يحقق هذا المقال بعض وظائف الصحافة ومنها : الاعلام ، والتسلية ، والارشاد بطريقة غير مباشرة .

وأخيرا .. فان فى هذه الأسباب وأمثالها مايجعل (مقال الاعتراف) من المواد الصحفية الهامة التى تجذب القراء فى الوقت الحاضر ... وهكذا أصبح للمقال الأدبى الذى على شكل اعترافات ، مكان مرموق فى الصحافة الحديثة ، كما أصبح مادة لاتستغنى عنها هذه الصحافة .

* * *

وننتقل فى المبحث التالى للحديث عن نوع آخر من أنواع المقالات الأدبية وهو الخاص بالمقال الذى على شكل الخواطر والتأملات .

* * *

المبحث الثالث
مقال الخواطر والتأملات

نبغ فى هذا النوع من المقالات الأدبية كثير من الكتاب القدامي والحاليين .. ولذلك نجد الصحف بنوعيها الرئيسيين من الجرائد والمجلات تحفل بالكثير من مقالات الخواطر والتأملات ... وربما كان فى مقدمة هؤلاء الكتاب جميعا فى هذا المجال الكاتب (أحمد أمين)(*)الذى كتب مقالات كثيرة فى باب الخواطر والتأملات نشر بعضها فى مجلة (الثقافة) ، وبعضها فى مجلة (الرسالة) ، وبعضها فى مجلة (الهلال) وجمع كل هذه المقالات فى كتاب له بعنوان (فيض الخاطر) صدر فى أجزاء متتابعة قبيل وفاته فى عام ١٩٥٤ والى جانب هذا الكتاب سيل آخر من الكتب لكتاب أخرين لاسبيل لحصرها أو الالمام بها (١) .

وقد وصف أحمد أمين الكاتب الدقيق لهذا النوع من المقالات الأدبية فقال :

" إنه الكاتب الذى يسمع حفيف الأشجار ، ودبيب النمل ، ويرى دقيق الأشياء فى الظلمة ، ويرى قلوب الناس فى أعينهم ، ودخائلهم فى صفحات وجوهم . وقد يرى بأذنه ، ويسمع بعينه . وقد يرى مالايراه الناس ، ويسمع مالايسمع الناس ، وقد يدرك الجمال بتفاصيله ، كما يدرك القبح بتفاصيله ، حتى كأنه قد منح من الحواس مالم يمنحه سائر الناس ، وكأن حواسه ليست خمساً

(*) باحث أدبى ولد بالقاهرة عام ١٨٨٧ وتوفى عام ١٩٥٤ ودرس فى الأزهر ومدرسة القضاء الشرعى . وتولى القضاء الشرعى مدة ثم انتقل إلى التدريس فى كلية الآداب بالجامعة المصرية (جامعة القاهرة) ثم انتخب عميداً لها وعين عضوا بالمجمع اللغوى . واتجه أولا الى الفلسفة فكتب (الاخلاق عام ١٩٢٣) ثم عنى بدراسة تاريخ الحياة العقلية فى الاسلام فأصدر أهم كتبه : فجر الاسلام وضحى الاسلام (ثلاثة أجزاء) وظهر الاسلام (أربعة أجزاء) .. (راجع الموسوعة العربية الميسرة ، مرجع سابق ص ٦٠) .

(١) المدخل فى فن التحرير الصحفى / مرجع سابق ص ٢٢٩ و ٢٦١ و ٢٦٢ .

وإنما هى خمسون أو خمسمائه أو ماشئت.[1]

وهذا الوصف للكاتب الدقيق ينطبق على الكاتب (أحمد أمين) كما ينطبق على غيره من كتاب مقالات الخواطر والتأملات ، الذين يميلون دائماً إلى وصف الحياة الواقعية ، كما تبدو لأعينهم ، وكما تفهمهـــــا عقولهم ، لايغيب عن علمهم شيء من دقائق هذه الحياة ، ولاتفوتهم همسة من همساتها .

ومعنى ذلك أن موضوع مقالات الخواطر والتأملات ، هو كل شيء فى المجتمع ذلك أن الكاتب لهذا النوع من المقالات ، هو من أستطاع أن يجد من كل شيء موضوعا يجيد فيه ، ويستقطب اعجاب القراء ، ومن استطاع أن يجد من كل شيء نواة يؤلف حولها مايصلح لها حتى يخرج موضوعه منسقاً تنسيقاً يبهر السامع والقارىء . وهو فى تأليفه قد يضم الشيء إلى إلفه وقد يضمه الى نقيضه ، وقد يصل به الكلام فى الذرة إلى الكلام فى الشمس ولكن القارىء لايشعر بأى مفارقة ، ولايشعر بأى انفكاك بين أجزاء الكلام ، ويسير مع الكاتب كأنه فى حلم لذيذ أو قصة محبوكة [2]

ونقدم فيما يلى - على سبيل المثال - نموذجاً لمقال من مقالات الخواطر والتأملات من كتاب (فيض الخاطر) بقلم أحمد أمين بعنوان (سلطة الآباء) .. والمقال فى نقد المجتمع الحديث ... يقول الكاتب فى بداية مقاله :

" رحم الله زماناً كان الأب فيه الآمر الناهى ، والحاكم المطلق ، والملك غير المتوج .. ينادى فيتسابق كل من فى البيت إلى ندائه ، ويشير فاشارته أمر ، وطاعته غنم .. تحدثه الزوجة فى خفر وحياء ، ويحدثه الابن فى إكبار واجلال ، ويرى من سوء الأدب أن يرفع إليه بصره ، أو يرد عليه قوله ، أو يراجعه فى رأى ، أو يجادله فى أمر .. أما البنت فاذا حدثها لف الحياء رأسها ، وغض الخجل طرفها ، قليلة الكلام ، متحفظة الضحك ، خافضة الصوت ، تتوهم أنها أخطأت فى التافه من الأمر فيندى جبينها ويصبغ الخجل وجهها ، واذا جاء حديث الزوج والزواج فإلى أمها التحدث لا إلى أبيها ، وبالتلويح والتلميح لا بالتصريح ، والأمر الى الأب فيما يقبل وفيما يرفض ، وفيما يفعل " .. ومضى الكاتب فى مقاله على هذا النحو ثم قال " لقد ودعنا ذلك الزمن بخيره وشره ، وحلوه ومره ، واستقبلنا زماناً صار فيه الأبناء آباء " .

ثم يقدم الكاتب بعد ذلك عددا من النماذج التى لايرضى عنها الآباء بحال من الأحوال ، بل انهم يرون

(1) فيض الخاطر - الجزء الاول ص ١٧٩ و ١٨٠ .
(2) نفس المرجع السابق ص ١٧٩ .

فيها الخطر كل الخطر على كيان المجتمع وعلى حياة الأسر . وأنظر اليه يقول : " قالت الخطيبة لخطيبها : الناس أحرار ، وأنا انسان وأنت انسان . فإن اعتززتَ بالكسب اعتززت بالاتفاق ، وإن اعتززتَ بالرجولة ، اعتززتَ بالأنوثة ، وان اعتززتَ بأى شيء فأنا أعتز بمثله وبخير منه . فأنا وأنت شريكان : لاسيد وأمه ، ولا ملك ومملوك ، لى كل الحقوق التى لك ، وقد يكون بعض الواجبات التى عليك .. يمكنك ان تحصل على المال و عليّ الاتفاق ، ولك السلطان التام فى اختيار طرق التحصيل ، ولى الخيار التام فى وجوه التبديد ، وأنت للبيت والبيت لى . وأن كان لك أم فقد شبعت سلطة فى الماضى أيام كانت زوجة فلاحق لها أن تنعم بسلطانها وسلطان غيرها ، فليس لها الحق إلا أن تأكل ، كما ليس لك الحق فى أن تحبها فالحب كله للزوجة ، انما لك أن ترحمها ...

وبعد ذلك يقول الكاتب " ورأى الرجل أن الأحكام قاسية ، والشروط فادحة ، وهام يبحث بين الممدنات عمن ترضى به زوجاً على الشروط القديمة فأعياه البحث .. ومضى الكاتب الى أن يقول : " تم الزواج وفرحت الزوجة بالظفر ، فغالت فى الطلب ، وابتدعت كل يوم مطلباً جديداً ، وأرادت أن تنتقم لأمهاتها من آبائه فى شخصه ، فطالما أطعن ، وطالما خضعن . فليطع دائما ، وليخضع دائما جزاءً وفاقاً على ماجنى آباؤه وأجداده .. قالت : إن رقصتَ رقصت ، فذلك حقك وحقى ، قال : نعم . قالت : بل إن لم ترقص رقصت لأنك إن أضعت حقك لم أضع حقى . وان خاللتَ خاللتَ ، فالجزاء من جنس العمل ، بل ان لم تخالل ربما خاللتَ ، لأن حياة الزوجية البحتة قد يعتريها الركود والسأم والملل ...

فصرخ الرجل ، ولف الغضب وجهه ، وحاول أن ينكل بها فتراجعت وسحبت مطلبها الأخير ، ورأت من الحكمة أن تتريث بعض الشيء حتى يبلع ريقه من أثر الصدمة الأولى ، ويستعد للصدمة الثانية ، فان لم يسعفها الزمان أوصت بناتها بشروطها الجديدة ..

قالت : وسيكون أول ماأوصى به ابنتى أن تأخذ قياس خطيبها ، ثم يكون من أول جهازها أن تفصل له برذعة ولجاماً على قدره ، فتضع البرذعة عليه ، وتركبه اذا شاءت ، وتشكمه باللجام اذا حاول أن يتحرك يميناً أو شمالا على غير رغبتها .

وشاء الله أن يرزقا بنين وبنات .... وقد رأوا أن الأم لاتجل الأب فلم يُجلوه ، ولم تعره كبير التفات فلم يعيروه ، ورأوها تبذر فى مال الأب فبذروا ، ورأوها حرة التصرف فتحرروا ، ورأوها تخرج من البيت من غير اذن الأب فخرجوا خروجها ، وتعود إلى البيت متى شاءت ففعلوا فعلها ......

وقال الأبناء لأبيهم : اننا مخلوقون لزمان غير زمانك فاخضع لحكم الزمان ، وقد نشأنا فى زمن الحرية

في الآراء ، والحرية في الأعمال ، والحرية في التصرف ، لاكما نشأت في جو من الطاعة والقيد والأسر والتقاليد ، فمحال أن يسع ثوبك الضيق أبداننا ، وتقاليدك العتيقة البالية نفوسنا .

قال : نعم . قالوا : وأنت الذي سمحت لنا بادىء ذي بدء أن نغشى دور السينما والتمثيل ، وأن نسمع الاغاني البلدية ، وأن نشهد المراقص الاوربية ، فاذا أقررت المقدمة فلا تهرب من النتيجة ، فأنت الذي عودنا الا نضع للبيت (ميزانية) لأنك تعطي راتبك لأمنا تنفق منه من غير حساب ، فان انتهى في نصف الشهر طلبت منك أن تقترض ، فاقترضت ، وأن تشتري مالا حاجة لنا به ... فاشتريت .. فليس لك أن تطالبنا بالاقتصاد في الجدول الصغير ، والنهر الكبير ليس له ضابط .... قال نعم . قالوا : وقد اضعت سيادتك على أمنا ، فلم تفرض سيادتك علينا ؟ وهي أم الحاضر ، وأنت أبو الماضي ، ونحن رجال المستقبل .... قال : نعم وقالت البنات لأبيهن : ياأبانا الذي ليس في السماء : رقصت أمنا فرقصنا وشربت أمنا فشربنا ، وشربت سراً فلتسمح لنا بحكم تقدم الزمان أن نشرب جهراً . ورأينا في روايات السينما والتمثيل حبا فأحببنا ، ورأينا عرياً في الشواطىء فتعرينا ، وتزوجت أمنا باذن أبيها ، فلنتزوج نحن باذننا .

قال : نعم : قلن : وقد أوصتنا أمنا أن نركب الزوج ، ولكننا أمام مشكلة يشغلنا حلها ، فاننا نرى شباب اليوم متمردين لايخضعون خضوعك ، ولايستسلمون استسلامك ..

ياأبانا : هل البيت ضرورة من ضرورات الحياة ؟ أليس نظام الأسرة نظاماً عتيقاً من آثار القرون الوسطى؟ قال : نعم . قلن : على كل حال يصح أن نجرب جيل النساء الجديد مع جيل الرجال الجديد ، فان وقع ماخشينا عشنا أحرارا وعاشوا أحراراً ، وطالبنا بتسهيل الطلاق ، ويهدم المحاكم الشرعية على رؤوس أصحابها .

قال الأب ؟ وماذا تفعلن بما ترزقن من أبناء وبنات ؟ قلن : لك الله ياأبانا !! إنك لاتزال تفكر بعقل جدنا وجدتنا ، ولقد كنت أنت وأبوك وجدك تحملون أنفسكم عناءً كبيراً في الأولاد ، وتضحون بانفسكم وأموالكم في سبيلهم ، وتعيشون لهم لا لكم ، أما عقليتنا نحن أهل الجيل الحاضر ، فأن نعيش لأنفسنا لا لغيرنا لقد ضحك عليكم الدين والأخلاق ففهمتم أن الواجب هو كل شيء ، وكشفنا نحن اللعبة ففهمنا أن اللذة هي كل شيء ، فنحن نمنع النسل ، فاذا جاء قسراً فليعش كما يشاء القدر .....

قال الأب : وأمر المال كيف يدبر ؟ كيف تعشن أنتن وأولاد كن اذا كان طلاق وكان فراق ؟ قلن : هذا ظل آخر طريف من ظلال تفكيرك ، دع هذا ياأبانا ، والبركة أخيراً فيك .

أما بعد ، فقد خلا الأب يوماً إلى نفسه ، وأجال النظر في يومه وأمسه ، فبكى على أطلال سلطتها المنهارة ، وعزته الزائلة .. ..

كانت تلك تأملات وخواطر خطرت لكاتب المقال (أحمد أمين) في النماذج الحديثة للحياة .... وقد بنى الكاتب مقاله على الموازنه بين حياة الأسرة في الجيل القديم ، وحياة الأسرة في الجيل الجديد ، وهدفه من ذلك - بطبيعة الحال - أن يحذر من الأخطار الناجمة عن المبالغة في التجديد الذى ينخدع به الجيل الجديد .

* * * *

نموذج من الكتابات الحديثة

وفيما يلى نقدم نموذجاً آخر لمقال خواطر وتأملات للكاتب (يوسف عوف) بعنوان (م الأول عشان الحبايب) (١) وهو مقال ساخر حول تلاعب اسرائيل وتعنتها ، في مفاوضاتها وعلاقاتها مع الدول العربية وخاصة فلسطين ويصور الواقع المعاش بالفعل . وفيما يلى نص المقال ...

** بعد ضغوط عنيفة تقبل حكومة حزب العمل بإسرائيل قرارى مجلس الامن رقم ٢٤٢ ، ٣٣٨ بعد تفسيرهما تفسيرا مفتوحا فيتحول القراران إلى ٣٤٢ و ٢٣٨ .

* يسقط حزب العمل ويتسلم الليكود الحكم ... ويبدأ التفاوض مع العرب بحضور منسق المناظر الأمريكى .. ويرفض الليكود تنفيذ القرارات .

فلسطين - ليه يامستر بيجين ... دى قرارات دولية أصدرها مجلس الأمن ووافقت عليها جولدا مائير .

اسرائيل - مجلس الأمن على عينى وراسى ياحبيبى ... والمفروض إن قراراته ملزمة لجولدا مائير .
فلسطين : ماتت .

اسرائيل - والحى ابقى من الميت . نبتدى بقى من الأول على ميه بيضة ... وصافى يالبن حليب ياقشطة
فلسطين (غاضبا) : إحنا لسه حانعيده من تانى ؟! .

---

(١) مجلة الشباب / العدد رقم (٢٣٢) بتاريخ نوفمبر ١٩٩٦ ص ٤٦

امريكا - (هامسا) خده على اد عقله . خليك انت الكبير / وافق عشان ماتوقفشى المراكب السايرة فلسطين - طيب والاتفاقات اللى فاتت ؟ أمريكا - حاتوصلوا لاحسن منها .. دانتو بينكم سلام دلوقتى وبقيتوا حبايب ... م الأول عشان الحبايب .

* وتبدأ مفاوضات من الصفر مع حزب الليكود وفيها يتنازل الفلسطينيين عن بعض حقوقهم فى ٢٤٢ و ٣٣٨ حتى لايوقفوا المراكب السايرة إلى أن يصلوا إلى صيغة مدريد ... وفى انتظار التنفيذ .

* أثناء هذا يذهب الليكود ويأتى حزب العمل إلى السلطة .. وتبدأ الاجتماعات بين الجانبين الفلسطينى والإسرائيلى فى وجود منسق المناظر الأمريكى لتنفيذ اتفاق مدريد .

رابين - هاهاها مدريد ده ايه ياحبيبى ؟

أبو عمار - ده الاتفاق اللى تم مع شامير ..

رابين - يبقى شامير ملزوم بتنفيذه فورا . أبو عمار - بس شامير موش فى السلطـة دلوقتى ؟!

رابين - براقو عليك ... إحنا ولاد النهارده ..إنسى بقى ونبتدى على ميه بيضه ... وصافى يالبن حليب ياقشطة ...

أبو عمار - أنا أرفض المبدأ ده .

رابين - وبعد ماترفض ... حاتعمل ايه ؟!

ابو عمار - ولاحاجة .

روسى - مااحنا عارفين (هامسا) خده على أد عقله ... خليك انت الكبير ..

وافق عشان ماتوقفش المراكب السايره .

أبو عمار - بس المراكب كده وقفت فى وسط البحر .

روسى - موش ممكن تقف مادام انتو الاثنين عاوزين السلام .. دانتو ولاد عم وحبايب . يالللا يالللا ... م الاول عشان الحبايب .

* وتبدأ المفاوضات من الصفر مرة اخرى بين أبو عمار من ناحية وبيريز ورابين من ناحية أخرى فى وجود متعهد التنسيق والتزويق (دنيس روس) وهى مفاوضات عسيرة متبعثرة وفيها يتنازل ابو عمار عن بعض ماتضمنه اتفاق مدريد حتى لايوقف المراكب السايرة ويصل الجميع إلى اتفاق أوسلو (١) وأوسلو (٢) ويبدأ الاستعداد للتنفيذ .. عندئذ يسقط حزب العمل ويتولى الليكود السلطة بقيادة نيتانياهو .

بيبى - (بلهجة استفزازية قاطعة) يكون فى علمكم .. كده من قصره ... مفيش أوسلو ..

أبو عمار - ده اتفاق وقعه رابين ..

بيبى (يسلك اذنه) بتقول جامدين إحنا فعلا جامدين ..

أبو عمار : رابين موش جامدين

بيبى - بنيامين مين ؟! ماهو أنا بنيامين

أبو عمار - زميل شيمون بيريز

بيبى - لا ماياحبش الجميز

روسى - (صائحا فى أذن نيتانياهو) بيقول لك رابين وبيريز ..

بيبى أأأأأه .. قصدك ايزاك رابين وشيمون بيريز ٠٠٠ أنا سمعت الاسمين دول قبل كده انت عرفت اللى حصل لهم ياعينى ؟؟ الاولانى راح فى السما .... والثانى راح فى الباى باى

أبو عمار - يعنى إيه ؟

بيبى - يعنى إتنسى ٠٠٠ إحنا ولاد النهاردة ... نبتدى بالحلاوة كده على ميه بيضة .. وصافى يالبن حليب ياقشة أبو عمار - (يلتفت لروسى محدثا) هيه !!

أخده على أد عقله برضه ..

روسى - لا ... خدنا احنا الاثنين على أد عقلك ..

أبو عمار - فى شرع مين اللى بيحصل ده ..

روسى - خليك انت الكبير ومشى المراكب السايره ... ده بالذات ولد مراهق طايش ومنفوخ حبتين ٠٠٠٠ بس انا متأكد إنكم حاتوصلوا لحل مادام انتو الاثنين عاوزين السلام إيش حال إن ماكنتوش ولاد عم ..

بيبى - وحبايب ... دانا مرة سلمت عليه ..

روسى - يبقى م الأول عشان الحبايب .

* مرة ثالثة تبدأ المفاوضات من الصفر عشان الحبايب ٠٠٠ وتسير متعثرة جدا ويتم فيها ابتزاز أبو عمار حتى يقدم مزيدا من التنازلات لكى لايوقف المراكب السايرة .. ويأتى الدور على التنفيذ .

* فى هذه الأثناء يثور المجتمع الاسرائيلى ومؤيدو السلام بقيادة جماعة (السلام الأن) ضد سياسة نيتانياهو التى يسمع من خلالها دقات طبول الحرب وهدير المدافع ٠٠ وتطرح الثقة به فى الكنيست فيسقط سقوطا مدويا وتجرى انتخابات جديدة يفوز بها حزب العمل ويتولى السلطة .

أبو عمار - الحمد لله .. غار فى ستين داهية ..

روسى - (يغمز له بعينه) هو احنا بنلعب ؟! ماتتصورش القلق اللى كان عامله الراجل ده لكلينتون والإدارة الأمريكية هناك .

* ويبدأ أول اجتماع بين بيريز وعرفات الذى لايكتم فرحته الشديدة فيرحب ببيريز ويضمه إليه ويحتضنه بقوة ويقبله قبلة ثلاثية .

أبو عمار - ياهلا بالعمل وبيريز ..... ياهلا بالناس الكمل الحلوة ..

بيريز - وحشتنا أبو عمار

روسى - أنا النهاردة أسعد إنسان فى الوجود لأنى حسيت إن المجهود الجبار اللى بذلته أمريكا طول السنين اللى فاتت دى فى الضغط على أسرائيل لتقديم تنازلات أثمر أخيرا وهو اللى وصلنا للنتيجة الحلوة دى .

أبو عمار - انت بتقول فيها ٠٠ هات بوسة انت راخر هات (يقبله قبلة ثلاثية) .

روسى - شوف مستر بيريز - إحنا عشان موش عاوزين نضيع وقتك أو نحرجك قدام الناخبين اللى إدولك أصواتهم موش حانطلب منك العودة لأوسلو (١) وأوسلو(٢) .

أبو عمار - تمام ... إحنا حانريحك ونقول لك إحنا وصلنا لحاد فين مع مستر نيتانياهو ... يعنى حانجيب من الآخر عشان ننفذ بقى .

بيريز - (يصيح فجأة) نعم نعم !! آخر مين ياروح أمك إنت وهو !! أنا مالى ومال نيتانياهو ... أنسى

ياحبيبى .. إحنا ولاد النهاردة نبتدى بقى على ميه بيضة .
واقرا الصفحة م الأول عشان الحبايب

* * * *

ثم ننتقل بعد ذلك الى الحديث عن نوع آخر من أنواع المقالات الأدبيـــــية وهو المقال الكاريكاتورى • وهذا هو موضوع المبحث التالى .....

* * * * *

المبحث الرابع
المقال الكاريكاتوري

ماهو المقال الكاريكاتوري ؟ ..

الاجابة يقدمها الدكتور عبد اللطيف حمزه [1] فيذكر أن هذا النوع من المقالات يقوم في جملته على التماس العيوب الرئيسية في شخص ما ، وترك القلم بعرضها عرضا كاريكاتوريا ، يزيد في تشويهها مايرد على ذهن الكاتب في أثناء كتابته من ضروب التشبيه ، ومايحضره من فنون التمثيل ، ولايزال الكاتب يتوسع في الموضوع عن طريق التوليد للمعاني من جهة ، وايراد النكت البارعة من جهة ثانية ، حتى تستكمل عنده الصورة القلمية الكاريكاتورية كل عناصر الاضحاك والسخرية ، والتندر بالشخص الذي هو موضوع هذه الصورة بالذات

عناصر القلم الكاريكاتوري :

ويحصر الدكتور حمزة في اجابته عناصر القلم الكاريكاتوري في أربعة عناصر هي :

أولا : **عنصر التجسيم للعيوب** ، أو المسخ لصورة الشخص الذي هو موضوع الكاريكاتور .. فالرجل ذو الأنف الكبير يبدو بقلم الكاتب كأن وجهه كله عبارة عن أنف . والرجل القصير يبدو كأنه أقصر من طفل ، والرجل البدين يظهر في شكل من البدانة والضخامة قل أن يكون له نظير في الحياة الواقعة نفسها وهكذا ..

ثانيا : **عنصر التوليد** ، وهو مايتاح للكاتب ولايتاح للرسام ، وبه يعمد الكاتب الى توليد المعاني ، واستطراد الأفكار ، وكل معنى منها يذكر بآخر ، وكل فكرة

(١) المدخل في فن التحرير الصحفي / مرجع سابق ص ٢٥٥ - ٢٥٨ .

منها توحي بأخرى ، وهكذا حتى يستنفد الكاتب كل هذه المعاني والأفكار .

ثالثا : **عنصر التندر** أو ذكر النكات التي ترد على ذهن الكاتب فى أثناء الكتابة .
وهنا تظهر براعة الكاتب فى طريقة الايراد ، بحيث تبدو كل واحدة من هذه النكات ، وكأنها لم تذكر إلا فى هذا الموضع الذى يشير إليه الكاتب بالذات ، أو كأنها لم تذكر إلا من أجل هذا الشخص الذى هو موضع السخرية والتندر .

رابعا : **عنصر التشبيه والتمثيل** : وهو العنصر الذى يستوحى فيه الكاتب خياله ، ويستعين به على عملية (المسخ) التى سبق الاشارة أليها ، وكثيراً مايتسلق الكاتب فى هذه الحالة على كلام القدماء ، وأهاجى الشعراء ، وحكايات العامة أو نحو ذلك . وأكثر من هذا وذاك أن صاحب القلم الكاريكاتورى يعتمد فى توفير هذا العنصر الأخير من عناصر الصورة على كلام القدماء ، وعلى تحويل هذا الكلام من معناه الأصلى الذى وضع له إلى المعنى الجديد الذى أراده صاحب القلم الكاريكاتورى .

ومن الأمثلة على ذلك أن الشيخ عبد العزيز البشرى فى سخريته من زيور باشا أحد رؤساء الوزارات المشهورين فى مصر قبل الثورة وكان بدينا جداً ، كان يستشهد ببيت من الشعر لأبى نواس هو (وليس على الله بمستكبر .. أن يجمع العالم فى واحد) والمعروف أن أبا نواس ذكر هذا البيت من الشعر فى معرض المدح لخليفة من خلفاء بنى العباس ، ولكـــــــــن (البشرى) ذكر هذا البيت نفسه فى معرض السخرية وإضحاك الناس من شخصية زيور باشا بسبب ضخامة جسمه .

ويقول الدكتور عبد اللطيف حمزه أيضا أن هذه العناصر الأربعة المتقدمة متى توافرت فى مقال ما ، بلغ هذا المقال كل ماقصده الكاتب من ورائه ، وفى هذه العناصر السابقة ، وفى كل عنصر منها على حدة ، مجال واسع يتنافس فيه الكتاب وأصحاب الأقلام ، ويظهر نبوغهم ، وتتجلى عبقريتهم اما فى نقد الأشخاص ، واما فى نقد الأفكار والموضوعات .

وغنى عن البيان أن (المقال الكاريكاتورى) لايزدهر إلا فى أوقات الأمن ، واستمتاع الناس بكل أنواع الحريات ، فليس من السهل على كاتب

هذا النوع من المقال أن يعرض حياته للخطر الذى يصيبـــــــــه من الشخصية المرموقة التى هى موضوع المقال الكاريكاتورى . أمــــــا فى أوقات الظلم والطغيان ، وأوقات الرقابة المفروضة على الصحف ، فان الصحافة لاتلجأ إلى القلم الكاريكاتورى بحال من الأحوال .. كما أن القلم الكاريكاتورى لايجود إلا فى فترات نهضة الأدب ، وكثيرا مايكون دليلا من دلائل هذه النهضة الأدبية فى ذاتها ، ذلك أن هذا الفن الأدبى فى ذاته يحتاج إلى قدرة أدبية من نوع خاص ، كما يحتاج الى قدر من الذكاء من نوع خاص أيضا ، ثم لاغنى له مع هذا وذاك عن قدر من الثقافة يعين الكاتب على توفير العناصر الأربعة المتقدمة للقلم الكاريكاتورى .

كذلك لايستغنى صاحب هذا الفن الأدبى عن أن تكون له صفات ذاتية يخف بها كلامه على الناس ، ومن هذه الصفات - على سبيل المثال - أن يكون ظريفاً غاية الظرف ، وأن يكون خفيف الظل فى كتاباته كأحسن ماتكون خفة الظل ، وأن يكون فى طبعه مرح ، وفى أفقه سعة وفى ذهنه ذخيرة هائلة من التجارب الانسانية التى خبر بها الناس . وهذه وتلك مواهب تخص بها الطبيعه فريقاً من الناس دون الفريق الآخر ، وفى الصحافة المجال الواسع للانتفاع الكامل بهذه الميزات أو المواهب فى الانسان .

الجاحظ ومقال الكاريكاتور :

وربما كان الجاحظ - كما يقول الدكتور عبد اللطيف حمزه[1] - أول كاتب اسلامى عالج فن (المقال الكاريكاتورى) فى تاريخ النثر العربى ولقد ترك الجاحظ أعظم رسالة أدبية كتبت فى هذا الفن وهى (رسالة التربيع والتدوير) وموضوعها هو السخرية من كاتب من كتاب الديوان اسمه (أحمد بن عبد الوهاب) كتب فيه الجاحظ هذه الرسالة التى تزيد على خمسين صفحة من القطع الكبير . وقد تفنـــــن فيها الجاحظ ألوانا كثيرة جداً من التفنن فى السخرية

---

(١) نفس المرجع السابق ص ٢٥٢ .

والنقد • ويعتبر هذا الكاتب بحق واضعا لاساس المقال الكاريكاتورى فى الأدب العربي ومنذ ظهرت الصحافة الشعبية فى مصر فى النصف الثانى من القرن الماضى – وكانت الصحافة فى ذلك الوقت مماثلة للأدب فى جمال الأسلوب – نبغ من رجال الأدب والصحافة كثيرون ، من أشهرهم فى فن الكاريكاتور ابراهيم المويلحى صاحب مصباح الشرق . وفى ذلك يقول عبد العزيز البشرى [1] " ... ولقد كان هذا من مصباح الشرق الأصل الثابت لهذا اللون من النقد – أعنى النقد الكاريكاتورى فى مصر – كما كانت صحيفة المويلحيين ، المويلحى الكبير والمويلحى الصغير ، راسمها (ابو زيد) أول ماعرف من التصوير الكاريكاتورى فى هذه البلاد .... " .

وفى القرن العشرين ، فى الفترة التى تقع بين عامى ١٩٢٢ و ١٩٤٢ ظهر المقال الكاريكاتورى على صفحات الصحف المصرية ، ونبغ فيه أدباء وصحفيون منهم : الشيخ عبد العزيز البشرى ، وكان ينشر فى مجلة السياسة الأسبوعية ... وفكرى أباظه وكان يكتب فى مجلة الهلال .. وأحمد حافظ عوض وكان ينشر فى مجلة خيال الظل .. وكاتب آخر كان يوقع بامضاء (م . هـ) فى جريدة الكشكول المصور .

نماذج لمقال الكاريكتور :

واول نموذج نقدمه عباره عن مقال كاريكاتورى بقلم الشيخ عبد العزيز البشرى (*) بعنوان (زيور باشا) [2] ... قال البشرى فى مقاله عن زيور باشا :

" أما شكله الخارجي وأوصافه الهندسية ، ورسم قطاعاته ، ومساقطه الأفقية ، فذلك كله محتاج فى وصفه وضبط مساحاته الى فن دقيق ، وهندسة بارعة .

---

(١) راجع كتاب المختار للبشرى جـ ١ص ٢٢١ وكذلك عبد اللطيف حمزة / أدب المقاله الصحفية فى مصر / الجزء الثالث ص ٦٨ و ٩٥ .

(*) عبد العزيز البشرى كاتب ولد بالقاهرة عام ١٨٨٦ وتوفى بها عام ١٩٤٣ وهو ابن الشيخ سليم البشرى شيخ الجامع الأزهر الأسبق ، وقد درس فى الأزهر وتولى القضاء الشرعى مدة ، ثم عين مراقباً ادارياً للمجمع اللغوى بالقاهرة . له أسلوب خاص فى كتابة المقالة ، يقارن بأساليب المتقدمين من أعلام الكتاب فى العصر العباسى ، ويتميز بدعابة مصقولة ، ودقة فى الوصف ، جمعت مقالاته فى عدة مجلدات (فى المرآة) وهى صور لشخصيات مشهورة عام ١٩٢٧ و (المختار)عام ١٩٣٥ و(قطوف) عام ١٩٤٧ . (راجع الموسوعة العربية الميسرة / مرجع سابق ص ٣٧٤) .

(٢) من كتاب (فى المرآة) طبعة دار الكتب المصرية عام ١٩٢٧ ص ٧ وزيور باشا هو أحد رؤساء الوزارات المصرية فى عام ١٩٢٧

" الواقع أن زبور باشا رجل – ان صح هذا التعبير – يمتاز عن سائر الناس فى كل شىء ، ولست أعنى بامتيازه فى شكله المهول طوله ، ولاعرضه ، ولابعد مداه ، فان فى الناس من هم أبدن منه وأبعد طولا وأوفر لحما ، إلا أن لكل منهم هيكلا واحداً . أما صاحبنا ، فاذا اطلعت عليه أدركت – لأول وهلة – أنه مؤلف من عدة مخلوقات ، لاتدرى كيف اتصلت ، ولاكيف تعلق بعضها ببعض ، ومنها مايدور حول نفسه ، ومنها مايدور حول غيره ، ومنها المتيبس المتحجر ، ومنها المسترخى المترهل ، وعلى كل حال فقد خرجت هضبة عالية مالت من شغافها إلى الأمام شعبة طويلة ، اطل من فوقها على الوادى رأس فيه عينان زائغتان ، طلة من يرتقب السقوط إلى قرارة ذلك المهوى السحيق .

وزبور عند الناس مجموعة متباينة متناقضة متشاكسة ، فهو عندهم كريم وبخيل ، وهو شجاع ورعديد ، وهو ذكى وغبى ، وهو طيب وخبيث ، وهو داهية وشهوانى ، وهو وطنى حريص على مصالح البلاد ، وهو مستهتر بحقوق وطنه يجود منها بالطارف والتلاد .

كل أولئك زبور ، وكل هذا قد يضيفه الناس إلي زبور ،فلا تكاد تسمعهم مجالسهم بما يأخذهم فيه من الدهشة والاستغراب ، واذا كان مما لايمكن فى الطبيعة أن يستقيم لرجل واحد ، فقد غلط الناس إذ حسبوا زبوراً رجلاً واحداً . والواقع أنه عدة رجال ، وعلى الأصح هو عدة مخلوقات ، لاتدرى – كما حدثتك – كيف اتصلت ،ولا كيف تعلق بعضها ببعض .

فاذا أدهشك التباين فى أخلاقه ، وراعك هذا التناقض فى طباعه ، فذلك لأن هذا الجرم العظيم الذى تحسبه شيئاً واحداً ، مؤلف فى الحقيقة من عدة مناطق ، لكل منها شكله ، وطبعه، وتصوره ، وحظه من التربية والتهذيب . فمنها العاقل ، ومنها الجاهل ، ومنها الحكيم ، ومنها الغر ، ومنها الكريم ، ومنها البخيل ، ومنها المصرى ، ومنها الجركسى ، ومنها الفرنسى ، ومنها الانجليزى ، ومنها المالطى ، وكل منها يجرى فى مذهبه ، ويتصرف فى الدائرة الخاصة به ، فلاعجب إذا صدر عن تلك المجموعة الزبورية كل ماترى من ضروب هذه المتناقضات !!

والظاهر أن زبور باشا – برغم حرصة على كل هذه الممتلكات الواسعة – عاجز تمام العجز عن ادارتها ، وتوليها بالمراقبة والإشراف ، ومادامت الادارة المركزية فيه قد فشلت كل هذا الفشل ، فأحرى به أن يبادر فيعلن إعطاء كل منها الحكم الذاتى . على أن تعمل مستقلة بنفسها على التدرج فى سبيل الرقى والكمال !! وحسب عقله فى هذا النظام الجديد أن يتوافر على ادارة رجليه وحدهما ، ولعله يستطيع أن يسيرهما فى طريق الأمن والسلام !!

وانى أورد عليك طائفة يسيرة تدلك على مافى هذه المجموعة الغريبة من ضروب المتناقضات ، التى تجزم منها بأن ذلك الخلق ليس شيئاً واحداً ، وانما هو فى الحقيقة عدة أشياء !!

وأن ظلماً أن يؤخذ البرىء بجريمة الآثم ، وأن عسفاً أن يعاقب البرىء بما أجرم الظالم ، فقد يكون الذى اقترف كل هذه الآثام هو كرع زبور باشا الايسر ، أو القسم الأسفل من (لغده) أو المنطقة الوسطى من فخذه اليمنى ، أو غيرها من تلك الكائنات التى تجمعت فى هيكله العظيم !! فما شأن تلك المخلوقات كلها تجر الى مواطن الاتهام ، وتعاقب بما ارتكب بعضها من الجرائم والآثام ؟؟

ان الحق والعدل ليقضيان بأن يؤلف مجلس النواب - ان شاء الله - لجنة تقوم بعمل التحقيق فى جسم صاحب الدولة ، فتسال أعضاءه عضواً عضواً ، وتحقق مع أشلائه شلواً شلواً ، حتى يفرق منها بين المحسن والمسيء ، ولايخلط فى العقوبة بين المجرم والبريء .

" ولعل العضو الوحيد المقطوع ببراءته من كل ما ارتكب من الآثام هو مخ زيور باشا ، فما أحسبه شارك ولادخل فى شيء من كل ماحصل " (انتهى المقال) .

وواضح أن هذا المقال انما قام فى جملته على التماس العيوب الرئيسية فى شخص زيور باشا ، وترك البشرى لقلمه أن يعرضها عرضاً كاريكاتوريا زاد فى تشويهها ، ما ورد على ذهن الكاتب فى اثناء كتابته من ضروب التشبيه وماحضره من فنون التمثيل ، ولازال الكاتب يتوسع في الموضوع ، عن طريق التوليد للمعانى وايراد النكت البارعة حتى استكملت الصورة القلمية الكاريكاتورية كل عناصر الاضحاك ، والسخرية ،والتندر بشخص زيور باشا . ومعروف أنه كان أحد رؤساء الوزراء المصريين المشهورين وتولى رياسة الوزاره عام ١٩٢٧ وواضح انه لولا وجود نوع من الحريات فى ذلك الوقت لما كان من السهل ان يعرض البشرى حياته للخطر الذي كان يمكن أن يصيبه من زيور باشا موضوع مقاله الكاريكاتورى ذلك . هذا علاوة على أن عبد العزيز البشري صاحب هذا الفن الأدبى الرائع ، كاتب له مواهب وصفات ذاتيه يخف بها كلامه على الناس ، كما كان ظريفا خفيف الظل فى كتاباته ، وفى طبعه مرح ، وفى أفقه سعة ، وفى ذهنه ذخيره هائلة من التجارب الانسانية التى خبر بها الناس خبرة جيدة .

نماذج من جريدة الكشكول المصور:

وعلى سبيل المثال أيضا كانت (جريدة الكشكول المصور) (*) وهى مشهورة باعتمادها على الكاريكاتور الذى يعتمد على القلم وعلى

(*) جريدة الكشكول المصور ، مجلة كاريكاتورية ساخرة صدرت فى الفترة من عام ١٩٢١ الى عام ١٩٣٤ لصاحبها سليمان فوزى وكانت تناصر اسماعيل صدقى باشا وعدلى يكن وعبد الخالق ثروت وغيرهم وتعادى حزب الوفد على وجه الخصوص (راجع للمؤلف - (جريدة الكشكول المصور) رسالة ماجستير خطية مقدمة لقسم الصحافة بكلية الآداب - جامعة القاهرة عام ١٩٧١) .

الرسم أيضـــا .. كانت هذه الصحيفــة تنـشر باباً ثابتاً تحت عـــنوان (فى المرآة) لكاتب كان يوقع بامضاء (م • هـ) • وكانت كل حلقة فيه يصاحبها رسم كاريكاتورى مصغر لوجه الشخص الذى تتناوله الحلقة ... يلى ذلك مقدمة يتناول فيها الكاتب الحديث بايجاز عن شيء عاقل أو حيوان أو طائر يرى فيه الكاتب الكثير من الشبه والصفات مما فى الشخصية التى تتناولها الحلقة ويطابق بين الطرفين ، ويوضح مدى الشبه بينهما .. ثم يأخذ بعد ذلك فى الحديث عن الشخصية التى يتناولها بأسلوب كاريكاتورى شديد الهجوم والسخرية على من يعارضهم (الكشكول المصور) من كبار الساسة والشخصيات البارزة فى زمانها ..

وأول حلقة فى هذا الباب (1) كانت عن الزعيم مصطفى النحاس (*) رئيس حزب الوفد - حينئذ -وقد جاءت الصورة الكاريكاتورية القلمية ساخرة مشوهة ، حيث كانت (الكشكول المصور) تعارض حزب الوفد معارضة شديدة ..

فهذا هو (مصطفى النحاس) الذى يستوحى كاتب المقال خياله ، فيعمد الى مسخ صورته ويشبهه بشحاذ اسمهُ (الشيخ ابراهيم) كان يراه منذ عشرين سنة يجلس عند باب زويلة " أسمر اللون ، مدغم الوجه ، متقوس الحاجبين ، عريض القفا ، له رأس كبيضة الحمامة وجبهته كحجر الطاحون ، وله عينان حائرتان كأنما تدوران على لولب ،وانف كناقوس الكنيسة ، لولا أنه أخرس ، وله

---

(1) جريدة الكشكول للصور العد (٢٦٩) الصادر بتاريخ ٩ يوليو ١٩٢٦ ص ١٤ .

(*) مصطفى النحاس : زعيم سياسي مصرى ورئيس حزب الوفد ولد عام ١٨٧٦ وتوفى بالقاهرة عام ١٩٦٥ وقد خدم القضاء المصرى مدة طويلة ثم دخل غمار السياسة وانضم الى الوفد المصرى برياسة سعد زغلول باشا بعد أن استقال منالحكومة ونفى مع سعد زغلول الى جزيرة سيشل عام ١٩٢١ وعين وزيراً للمواصلات عام ١٩٢٤ فى وزارة الشعب الأولى برياسة سعد زغلول فوزيراً بالوزارة الائتلافية عام ١٩٢٦ برياسة عدلى يكن . وعند وفاة سعد زغلول عام ١٩٢٧ خلفة فى رياسة حزب الوفد وفى رياسه مجلس النواب الائتلافى - وقد الف الوزارة فى عام ١٩٢٨ وفاوض الانجليز عام ١٩٢٩ وفشلت المفاوضات بسبب مسأله السودان . وافلح بعد ذلك فى ابرام معاهدة الزعفران عام ١٩٣٦ مع الانجليز و فيها اعترفت بريطانيا بمصر دولة مستقله ذات سيادة والغيت الامتيازات الأجنبية والف النحاس الوزارة فى اعوام : ١٩٢٨ - ١٩٣٦ - ١٩٤٢ - ١٩٥٠ واعتزل الحياة السياسية عقب ثورة يوليو ١٩٥٢ .
(الموسوعة العربية الميسرة / مرجع سابق فى ١٨٢٦) .

ذقن كقاعدة العمود ، فوقه فم يسع بفضل الله كل هذا الوجود " .

ويلتمس الكاتب عيوب وجه النحاس فيجسمها ويمسخ صورته ، فيقول : " النحاس باشا جميل الطلع إن صح أن الجمال فنون مختلفة ، وأن للأذواق فيه شرائح يلتوى بعضها على بعض . فان كان شيء من الجمال فى تناسب الأجزاء وتشاكلها ، ففى بعض الأذواق أن الجمال يسكن الى التنافر وانعدام المشاكلة ، وأى فنان سليم الذوق لايحس الجمال كله فى الجبهة العالية ، تمتد فوق الوجه المسطوح كما يمتد (التراس) أمام البناء الفخم ؟! ويبقى نوع آخر من الجمال تسعد به قوميتنا المصرية ، وينهزم أمامه دعاه (البرانيط) .. نعم جميل أن يستعصى راس النحاس باشا على البرنيطة لأن بروز جبهته ، واستطالتها من الشرق الى الغرب ، يمنعان البرنيطة أن تستقر فوق هذا الرأس الأقنب الصغير ويعمد كاتب هذا المقال الكاريكاتورى الى توليد المعانى واستطراد الأفكار حول ماضى مصطفى النحاس فيقول ساخراً متهكماً " واذا جئتم إلى الماضى ، فاحذروا أن تصيبوا جلائل ماضيه بشيء من الجهالة فتصبحوا على مافعلتم نادمين .. كان أعزه الله محامياً ، ثم سئم حرية المحاماة ، فطلب نعمة الوظائف يتخذها محبس هذه الحرية ، وكذلك النفوس الكريمة تأبى الضيم حيثما كان مهبطه ، فان مسها ضيم الحرية ، فرت الى باب من أبواب الاستعباد تطمئن إليه ، وان قعد بها ضيم الاستعباد عما تطلب من عظائم الآمال ، هربت إلى سبيل من سبل الحرية تستعين به على أمرها ، ولاتجادلوا فى أن الحرية وحدها كانت أمنية النحاس باشا يوم استقال من وظيفته فى القضاء ، ليتقلد وظيفة فى الوفد المصرى " .

وواضح فى هذا المقال الكاريكاتورى ، أن الكاتب قد استخدم العناصر الأربعة للقلم الكاريكاتورى التى سبق عرضها استخداماً جيداً حيث عمد الى تجسيم العيوب فى شخصية الزعيم مصطفى النحاس ومسخ صورته .... كما عمد الى توليد المعانى واستطراد الأفكار كلما سار فى مقاله ، وظهرت براعة الكاتب فى ايراد عناصر التندر ، وذكر النكات التى ترد على ذهنه أثناء الكتابة .. وكان لعنصر التشبيه والتمثيل مجال واسع فى هذا المقال ، حيث كان الكاتب يستوحى خياله ويستعين به فى عملية (المسخ) .. وانظر إليه عندما يشبه مصطفى النحاس . بشحاذ اسمه (الشيخ ابراهيم) كان يراه منذ عشرين سنه يجلس عند باب زويلة .. ورأس النحاس " كبيضة الحمامة وجبهته كحجر الطاحون " وأنف النحاس " كناقوس كنيسة لولا أنه أخرس " وأن له فماً " يسع بفضل الله كل هذا الوجود " .. وان جبهته بارزة " واستطالتها من الشرق الى الغرب " ... الخ .

ونكتفى بهذا القدر من الحديث عن (المقال الكاريكتورى) لننتقل الى الحديث عن نوع آخر من أنواع المقالات الأدبية ، قريب الشبه لهذا النوع الكاريكاتورى ، وهو (المقال النزالى) الذى نفرد له المبحث التالى ...

* * * * * *

المبحـــث الخامـــس

المقـــال النـــزالى

ماهو المقال النزالى ؟؟

الاجابة يقدمها الدكتور حسنين عبد القادر[1] فيقول : " ان المقال النزالى يكون لأسباب شخصية ، أو للنزاع حول فكرة ، أو مبد أ ، وفى هذا المقال نجد نزالا ، وصراعاً ، وقتالاً ، وطعنا ، وصداً لهذا الطعن . وفى العادة يكون المقال شديد اللهجة ، عنيفاً إلى أقصى حدود العنف . وكثيرا مايذهب المقال النزالى إلى السباب ، وكثيراً أيضا مايندفع الكاتب – دون أن يدرى – إلى الخروج عن تقاليد الكتابة ، أو ينسى نفسه ككاتب ، أو أديب ، أو صاحب فكرة ، حتى يصل الأمر الى أن يقطر قلمه السم الزعاف " .

ومن حق الكاتب المنازل – كما يقول الدكتور حسنين أيضا – ان يهزأ من الشخص الذى ينازله ، وأن يسخر من أفكاره ، ويهزه هزاً عنيفاً يفقده شخصيته واحترامه بين الناس .

وللنزال أسلحة ، يقدمها الدكتور حسنين كذلك . ومنها التدليل المنطقى ، بمعنى أن يكون الانسان عالماً بقواعد المنطق وطرق استخدامها ، وكيف يبدأ بالمقدمات ليصل إلى النتائج .. وبجانب هذا يجب أن يلجأ الكاتب الى وسائل التهكم ، (التنبيط) حتى ينال من الخصم بمقدار . وعندما يبدأ الكاتب فى الدخول فى ميدان النزال يجب أن يضع أمامه موضوع النزال والخصم الذى سينازله ويدرس الموقف دراسة دقيقة وافية ، ويبحث كيف كانت سيرة حياته ، وهل له فضائح يمكن استغلالها فى التشهير به والحط من قدره بين الناس .

ويقول الدكتور حسنين عبد القادر أخيراً ان المقال النزالى يجب أن يهدف أول مايهدف الى محاولة اقناع الخصم حتى يكف عن المضى فى النزال ، وفى الوقت نفسه يحاول اقناع الجمهور حتى ينضم إلى صف الكاتب ضد غريمه . ولذلك يسمح فى مثل هذه المقالات بالخروج نوعاً ما عن الحقائق .

المقال النزالى الأدبى :

والمقالات النزالية فى مصر لها طريقان هما : طريق الأدب من ناحية ، وطريق

---

(١) الصحافة كمصدر للتاريخ (القاهرة ١٩٥٨) ص١٥٩-١٦١

السياسة من ناحية ثانية ... ففى الأدب ظهرت معركة حامية الوطيس بين القديم والجديد ، وهى المعركة التى بدأت على صفحات (الجريدة) لمحررها أحمد لطفى السيد (*) ، وتناظر فيها رجلان هما : مصطفى صادق الرافعى (**) عن القديم ، وطه حسين عن الجديد .. ثم مالبثت هذه المعركة أن انتقلت إلى صحيفة (السياسة الأسبوعية) لمحررها محمد حسين هيكل (***) وأستمرت ذيول تلك المعركة سنوات بعد ذلك في الصحف المصرية الأخري

ومن النزال الأدبي كذلك تلك المعركة التي دارت رحاها مرة أخري بين الدكتور / طه حسين وعباس محمود العقاد (****) ، حول موضوع الأدب السكسوني ، تشيع فيها الدكتور طه حسين للثقافة اللاتينية ، وتشيع فيها العقاد للثقافة السكسونية وأستمر الأمر سسجالا بينهما فترة ليست بالقصيرة .

(*) احمد لطفى السيد : مفكر وفيلسوف مصرى ورائد من رواد الحركة الوطنية ، ولد فى برقين بالدقهلية عام ١٨٧٢ وتوفى بالقاهرة ١٩٦٣ وق حصل على ليسانس الحقوق عام ١٨٩٤ والتحق بخدمة القضاء واستقال عام ١٩٠٥ واشتغل بالسياسة وشارك فى تأسيس حزب الامة ، وتولى رئاسة تحرير الجريدة ١٩٠٦ الى عام ١٩١٤ حيث عاد الى خدمة القضاء . وعين مديراً لدار الكتب المصرية من عام ١٩١٥ الى عام ١٩١٨ فمديراً للجامعة المصرية عام ١٩٢٥ فوزيراً للمعارف عام ١٩٢٨، وعاد الي إدارة الجامعة عام ١٩٣٠واستقال عام ١٩٣٢ ثم عاد للمرة الثالثة مديرا للجامعة في يولية ١٩٣٨ وعين عضوابمجمع اللغة العربية عام ١٩٤٠ فرئيسا له ١٩٤٥ الي عام ١٩٦٣ ، وعين وزيرا للخارجية عام ١٩٤٦ فنائبا لرئيس الوزراءو عضوا بمجلس الشيوخ وأسهم في عدة مجامع وجمعيات علمية ونال جائزة الدولة التقديرية في العلوم الإجتماعية عام ١٩٥٨ [الموسوعة العربية الميسرة ، مرجع سابق ص ٦٢]

(**) مصطفي صادق الرافعي أديب مصري ولد عام ١٨٨٠ وتوفي عام ١٩٣٧ وقد بدأ حياته الأدبية شاعرا في مدرسة البارودي فأخرج عدة دواوين ظهر أولها عام ١٩٠٢ وتحول في الشطر الثاني من حياته الي النثر فكتب عدة كتب من نوع النثر الشعري : (حديث القمر ١٩١١) و (المساكين ١٩١٧) وله كتاب (تاريخ آداب العرب) و كـــــتاب (أعجاز القرآن) وكتب في السنوات الأخيرة من حياته مقالات في موضوعات متفرقة ينحو في بعضها النحو القصصي جمعت في (وحي القلم ١٩٣٦) ودارت بينه وبين المجددين معارك نقدية حامية كتب فيها (تحت راية القرآن ١٩٢٦) ردا علي كتاب (في الشعر الجاهلي) لطه حسين ، وكتاب (علي السفود ١٩٣٠) وهو نقد عنيف لشعر العقاد . [الموسوعة العربية الميسرة ، مرجع سابق ص ٨٥٥] .

(** #) محمد حسين هيكل : كاتب سياسي مصري ، ولد في قرية هيكل بمركز السنبلاوين بالدقهلية عام ١٨٨٨ لأسرة موسسرة وتوفي عام ١٩٥٦ وقد تخرج في مدرسسة الحقوق ، وأتم دراسته في باريس حيث حصل علي دكتوراه القانون ، واتصل إتصالا وثيقا بأحمد لطفي السيد وأنضم الي حزب الاحرار الدستوريين وتولي تحرير جريدة (السياسة) اليومية الأسبوعية وأصبح رئيسا للحزب ورئيسل لمجلس الشيوخ وولي وزارة المعارف عدة مرات وكتب في مطلع حياته الأدبيية عام ١٩١٤ رواية (زينب) وكتب سيرة (جان جاك روســــو ١٩٢١) و (تراجم مصرية وغربية ١٩٢٩) و (حياة محمد ١٩٣٥) و(الصديق أبو بكر١٩٤٢) و (الفاروق عمر ١٩٤٤) وجمع كثيراً من مقالاته النقدية وكتابه (في أوقات الفراغ ١٩٢٥) و (ثورة الأدب ١٩٣٣) [الموسوعة العربية الميسرة/ مرجع سابق في ١٩٢٩) .

(****) عباس محمود العقاد : شاعر وكاتب مصري ولد في أسوان عام ١٨٨٩ وتوفي بالقاهرة ١٩٦٤ ويعد =

المقال النزالي السياسي :

وفي الطريق الثاني من طرق النزال السياسي كثرت معارك شتي بين الأحزاب المصرية التي ظهرت بعد الحرب العالمية الأولي ، وأخذت تتزايد شيئاً فشيئاً فيما بعد ، وقد انزلقت بعض هذه المعارك السياسية أو الحزبية الي مستوي الخوض في الأشخاص والأعراض وكان من هذه الأخيرة تلك الحملات الصحفية العنيفة التي حمل فيها العقاد علي الرئيس السابق مصطفي النحاس ، وذلك منذ خرج العقاد من حزب الوفدوانضم الي حزب السعديين .

ومن الحملات الصحفية الأولي في مجال المقال النزاليفى الصحافة المصرية نجد الحملة التى اقترنت بأسم (الشيخ على يوسف) (*) صاحب جريدة (المؤيد)

= ا ن اتم تعليمه الإبتدائي عمل في وظيفة كتابية لم يلبث أن تركها واشتغل بالصحافة واقبل علي تثقيف نفسه ثقافة واسعة ، بدا انتاجه الشعري قبل الحرب الأولي وظهر ديوانه عام ١٩١٦ في اربعة أجزاء وتوالت بعد ذلك مجموعاته الشعرية بعناوين مختلفة : (وحي الأربعين) و(هدية الكروان) و (عابر سبيل) وقد اتخذ من البيئة المصرية ومشاهد الحياة العادية مصادر للألهام .. وقد غلب فن المقالة علي أنتاج العقاد النثري الأول : (الفصول) و (مطالعات في الكتب والحياة) و (مراجعات في الأداب والفنون) ثم كتب سلسلة سير لأعلام الأسلام بطريقة خاصة أشبه برسم الشخصيات (عبقرية محمد) و (عبقرية عمر) وغيرهما ورواية واحدة (سارة) و اتجه الي الفلسفة والدين (الله) و (أبليـــــــــس)

و (الفلسفة القرآنية) و في عنفوان نشاط حزب الوفد المصري كان العقاد يكتب الأفتاحيات السياسية في جرائده مثل (البلاغ) و (الجهاد) وكتب سيرة للزعيم سعد زغلول عام ١٩٣٦ وصدرت عنه عدة بحوث أهمها كتاب بقلم تلاميذه (الموسوعة العربية الميسرة مرجع سابق ص ١٢٢٠) .

(*) الشيخ على يوسف : صحفى وسياسى وقطب دينى مصرى ولد عام ١٨٦٣ وتوفى عام ١٩١٣ وقد تعلم بالأزهر ، واتصل بجمال الدين الأفغانى . وأصدر عام ١٨٨٧ جريدة الأداب بالأشتراك مع الشيخ أحمد ماضى ، وكانت تصدر أسبوعيا ثم فقدت انتظامها حتى عطلت عام ١٨٨٩ ثم انشا جريدة(المؤيد) عام ١٨٨٩ وظل يحررها ٢٣ سنة ثم تخلى عنها لاسناد منصب دينى إليه ، وقد أصدر (المؤيد الاسبوعى) فى طبعتين انجليزية وفرنسية ، وكان أول مصرى أستورد مطبعة دوارة (روتاتيف) لطبع جريدته . وأسس جمعية الهلال الأحمر ، واشتهر بقضيتى (التلغرافات) و (الزواج من ابنه السيد السادات) وله ديوان شعر بعنوانه (نسيم السحر) ومقالات مجموعة [المووعة العربية الميسرة / مرجع سابق ص ١٢٣٢] .

وفيهاشهر الشيخ قلمأعلى (اللورد كرومر)(*) جبار الاحتلال الانجليزى فـــى مصر ، وكان ذلك فى النصف الأخير من سنه ١٩٠٧ فى الفترة البسيطة السبقت سقوط كرومر عن عرش الوكالة البريطانية والفترة البسيطة التى أعقبت هذا السقوط ٠ وقد عرفت المقالات النزالية التى تألفت منها حملة (الشيخ عـــلى يوسف) ، وعددها أربع عشرة مقالة باسم مقالات (قصر الدوبارة بعد يوم الأربعاء)(١) .

وقد نشرت (جريدة الكشكول المصور) (٢) العديد من المقالات النزالية التى ينطبق عليها تمام الانطباق كل خصائص وأهداف المقال النزالى التى سبق عرضها .. ومن أهم تلك المقالات ، منازلات مع شتى صحف حزب الوفد الذى كانت تعارضه وكذلك مجلة (اللطائف المصورة) ومجلة (روز اليوسف) .

(*) اللورد كروم : هو الايرل افلين بيرنج : ادارى ودبلوماسى بريطانتى ولد عام ١٨٤١ وتوفى عام ١٩١٧ وقد خدم فى مصر ، وهو الابن التاسع لهنرى بيرنج عضو مجلس العموم البريطانى . وعين ضابطا عام ١٨٥٨ وياوراً للمندوب لسامى البريطانى للجزر الأيونية عام ١٨٦١ واميناً خاصاً لحاكم الهند العام (١٨٧٢ - ١٨٧٦) والمندوب البريطانى بصندوق الدين الذي ألفه الخديوي إسماعيل لكي يطمئن الأجانب علي أموالهم في مصر التي أقرضوها له ثم مندوب بريطانيا في المراقبة الثنائية عام ١٨٧٩ و أختير وزيرا للمالية بالهند (١٨٨٠ - ١٨٨٣) وأختارته الحكومة البريطانية عام ١٨٨٣ عقب الأحتلال البريطاني لمصر ليكون الوكيل البريطاني والقنصل العام بمصر ، بدرجة وزير مفوض في السلك الدبلوماسي . ومنذ ذلك الحين حتي أستقالته عام ١٩٠٧ كان الحاكم الحقيقي لمصر ، وكان تاريخ البلاد ابان هذه الحقبة هو تاريخ السياسة التي انتهجها . ولم يكن يعين رئيس للوزارة المصرية إلا بموافقته . وأضطرت الحكومة المصرية الي الأنصياع لمشورته باخلاء السودان - بعد فشل حملة هكس عام ١٨٨٣ وقصر التعليم في مصر على تخريج صغار الموظفين في الحكومة المصرية وأستقال في ١٠ ابريل ١٩٠٧ بعد قضية دنشواي عام ١٩٠٦ وكافاته حكومة بلاده بمبلغ خمسين الف جنيه علي أثر أستقالته ، وله كتاب (مصر الحديثة ١٩٠٨) و (الأستعمار القديم والحديث) الموسوعة العربية الميسرة مرجع سابق ص ١٤٥٧ .

(١) راجع المدخل فى فن التحرير الصحفى / مرجع سابق ص ٢٢٩ و ٢٣٠ وكذلك أدب المقالة الصحفية / مرجع سابق جـ ٤ ص ٤٦ و ٧٦ .

(٢) راجع للمؤلف (الكشكول المصور) رسالة ماجيستير مرجع سابق ص ٢٢١ - ٢٣٢ .

بين الكشكول واللطائف المصورة

وقد بدأت المنازلة بين (سليمان فوزي) صاحب جريدة الكشكول المصور وبين (أسكندر مكاريوس) صاحب مجلة اللطائف المصورة ، بأن بعث أسكندر مكاريوس الي صاحب الكشكول خطابا أنتقد فيه نشر إعلان معين ، وعلق الكشكول علي ذلك متهكما علي (أسكندر مكاريوس) الذي جعل من نسه قيما " علي الصحف التي تزاحمه " و أعرب عن سخريته من أن يتحقق للبلاد " أمنية الأستقلال التام علي يده " (١)

وهنا تبدأ المنازلة تسخن وتزداد لهجتها عنفا وترد (اللطائف المصورة) علي تهكم (الكشكول المصور) وتوضح اللطائف انها لم تطق " ان تترك حبل هذه المجلة (أى الكشكول) على غاربه لأنها تربأ بالصحافة المصرية العربية أن تستعمل أداة (وسخة) منحطة للطعن فى مشاهير رجال مصر (٢) .

ويرد (الكشكول المصور) على ذلك فيهزأ من صاحب اللطائف ويسخر منه ويأخذ فى نبش سيرته وتاريخة بغرض التشهير به ، فيذكر أن مكاربوس أفندى يخدم الاستعمار الذى تربى فى حجره وتغذى من فضله .. وأن والده سورى مسيحى من أولئك الذين هاجروا بلادهم بعد مقاتلة الوطنية " ثلاثة وثلاثين عاماً بشهادة الشهود .(٣)

وتمضى المنازلة بين المجلتين ، وتزداد عنفاً على عنف ، وتذهب إلى حد السباب عندما تذكر (اللطائف) أنها لاتطيق أن ترى البلاد تنوء " تحت بلايا صحافة مصورة قذرة " وأنه لايتفق مع مصالحها " الابقاء على طائفة من مدعى الصحافة المعروفين بسفالة أخلاقهم ودناءة آدابهم ، ونريد بهم أولئك الذئاب الذين لبسوا ثياب الحملان وظهروا بمظهر الصحافيين وأخذوا يعيثون فسادا بين

---

(١) الكشكول المصور العدد الخامس الصادر فى ٢١يونيه ١٩٢١ ص ٣

(٢) اللطائف المصورة العدد ٣٣٣ االصادر فى ٢٧ يونيه ١٩٢١ ص٦

(٣) الكشكول المصور العدد السادس الصار فى ٢٨ يونيه ١٩٢١ ص٦ و٧

طبقات هذه الأمة على صفحات وريقاتهم المصورة القذرة " [1] .

ويرد (الكشكول المصور) بعنف أشد ويزداد فى طعنه ونزاله ، وفى الوقت نفسه يبذل جهده لاقناع الجمهور حتى ينضم الى صفه ضد عزيمه ..... ثم يعلن براءته من المصريين ومن الوطنية " إن كانت تروج فى هذه البلاد دعوة أن صاحب اللطائف مصرى ابن مصرى وغيور - وهو ابن أحد أصحاب المقطم - على مصر اكثر من المصريين " [2]

وتتوقف المنازلة بين المجلتين نحو عام إلا قليلا ثم يعاود (الكشكـــول المصور) الهجوم على (اللطائف المصورة) لأن صاحبها " شرع فى نشر رواية عنوانها " قهوة العلبانين " ،ضمنها الفاظاً وعبارات قد لاتتدنى اليها أحط مومس فى عشش الترجمان وبير جمص " [3] .

ولم ترد (اللطائف المصورة) على ذلك إلى انتهزت فرصة اعتداء شخص يدعى (محمد بكرى المهندس بمصلحة المساحة) على صاحب الكشكول سليمان فوزى بضربه فى محل صولت الحلوانى بالقاهرة على مرأى ومسمع من الناس وقالت أن سليمان فوزى " كان قد ذهب ليأكل الحلوى فذاق العلقم "

ورداً على ذلك نشر (الكشكول المصور) كلمة بتوقيع (قارىء) وصف فيها نفس صاحب اللطائف بأنها " نفس منحطة بتأجج فيها نار الحقد ولظى الحسد " ووجه اليه النصح بأن يكف عن مهاجمة الكشكول فى عرينة " وليتأكد أن خيبته فى المدرسة وخروجه منها خالى الوفاض ، لاعلم ولامعرفه ، لم تكن بيد الكشكول فيحقد عليه ، بل خيبته جاءت من تحجر مخه ، وحماقته المتأصلة فى

(١) اللطائف المصور العدد ٣٣٤ بتاريخ ٤ يوليو ١٩٢١ ص ١٢ .

(٢) الكشكول المصور العدد السابع بتاريخ ٥ يوليو ١٩٢١ ص٦

(٣) الكشكول المصور العدد ٥٢ الصادر بتاريخ ١٤ مايو ١٩٢٢ ص١٣

نفسه والقاعدة العامة (أن النار تخلف رمادا) كذلك يكون خلف الدكتور صـــروف (خيبة الأمل) فلاعجب أن أنجب الدكتور جحشا اليوم ، وغداً يكون حمارا " [1] وبعد ذلك بدأت المنازلة بين المجلتين تخف حدتها شيئا فشيئا إلى ان توقفت تماما ، وأصبح كل منهما ينشر عن الآخر الانتقادات الفاترة التى لاتندرج تحت نطاق (المقالات النزالية) بصورتها السابق عرضها .

* * * * * * *

بين الكشكول وروز اليوسف :

أما ا المقالات النزالية بين صاحب (الكشكول المصور) وبين صاحبة مجـــلة (روز اليوسف) فقد كانت عديدة واستمرت فترة طويلة ، وبلغت من سلاطة اللسان من الطرفين درجة فاقت كل حد ... كما أسرفت أيما إسراف في التدخل فى الشئون الشخصية ، والتعرض للمسائل الخاصة ، والانزلاق الى نهش الأعراض والتنابذ بالألقاب ، دون مراعاة أو نظر إلى قانون الأخلاق أو الذوق العام والآداب العامة • حتى وصل الأمر الى أن محمد محمود باشا رئيس الوزراء حينئذ فى الوزارة التى ألفها فى ٢٧ يونيو ١٩٢٨ أنذر المجلتين على السواء ، بصفته وزيراً للداخلية تطبيقاً للمادتين (١٣ و ١٤) من قانون المطبوعات الصادر فى ١٩ ديسمبر ١٨٨١ " حيث أن الوزارة لاحظت فى بعض أعداد الكشكول الأخيرة اسفافاً فى المهاترة ، ونزولا فى مناهج النقد ومذاهب الخصومة يجب أن تتنزه عنهما الصحافة وهى بمكان الهادى المؤدب " [2] وكـــذلك لأن مجـــلة روز يوسف " مازالت تسن بفاحش القول ومنكر الأقاصيص ، وبالإمعان فـــى الكـــذب

---

(١) اللكشكول المصور العدد ٦٧ الصادر بتاريخ ٢٧ اغسطس ١٩٢٢ ص ١١

(٢) الكشكول المصور العدد ٢٨٠ الصادر بتاريخ ٤٢ أغسطس ١٩٢٨ ص٣

والإختلاق ، سنة مزرية بشرف الصحافة مفسدة للأخلاق والآداب " (١)

ان تلك المقالات النزالية بين (الكشكول المصور) وبين مجلة (روز اليوسف) لم تبدأ فجأة من العدم ... بل سبقتها انتقادات ومهاجمات وجهها (الكشكول المصور) الى شخص السيدة فاطمة اليوسف (روز اليوسف) عندما كانت تشتغل بالفن والتمثيل قبل أن تنشيء مجلتها (روز اليوسف) التى صدر عددها الأول فى ٢٦ أكتوبر ١٩٢٥ . وكانت تلك المجلة تعنى فى أول الأمر بالفنون والآداب ، ثم أصبحت تعتنى الى جانب ذلك بالسياسة والمسائل العامة بعد الشهور الأولى من بداية عام ١٩٢٦ وكانت سنتها الثالثة مرحلة انتقال فى تحولها من صحيفة فنية الى صحيفة سياسية (٢) .

ولقد واصل (الكشكول المصور) هجومه على (روز اليوسف) وخاصة بعد أن انضمت الى معسكر خصومة الوفديين ، وأصبحت من صحف حزب الوفد التى تدافع عنه وعن سياسته . وقد ذكر الدكتور ابراهيم عبده أن (روز اليوسف) أخذت جانب الوفد منذ مات سعد زغلول ، وولى الأمر مصطفى النحاس باشا (٣) .

وبدأت (روز اليوسف) تهاجم (الكشكول المصور) وتدافع عن نفسها ، وأخذت ترد له الصاع صاعين ، وتسقيه من نفس الكأس التى طالما سقاها منه العلقم ، وكان ذلك ابتداءً من عددها رقم (١٠٥) الصادر بتاريخ ١٠ نوفمبر ١٩٢٧ .

وفى الحق أن أحداً من خصوم (الكشكول المصور) لم يسلم من قلمه اللاذع المقذع على حد تعبير الدكتور ابراهيم عبده - حتى انبرت له (روز اليوسف) فأذاقته من معينه أشكالا وألوانا ، فاذا الصحيفة الشتّامة المبرزة فى هذا

---

(١) مجلة روز اليوسف العدد (١٤١) الصادر بتاريخ ٢٨ أغسطس ١٩٢٨ ص ٣ .

(٢) إبراهيم عبده / روز اليوسف سيرة وصحيفة (القاهرة مارس ١٩٦١) ص ٨٥ - ١٠٦ .

(٣) نفس المرجع السابق ص ١٠٧ .

لميدان ، تجرى إلى النيابة تشكو السيدة روز اليوسف [1].

وحول ذلك تتهكم (روز اليوسف) على (الكشكول المصور) وهو يشكو خصومه الى القضاء بينما له " تاريخ عريض فى الكذب والتضليل " وصفحاته " اذا لم تكن قد احمرت خجلا لكثرة ماحملت من ألفاظ الفحش (الشريف) فقد إحمرت إذن لكثرة ماسال عليها من دماء الأعراض " [2] .

وتعود (روز اليوسف) إلى الماضى تفتش فيه عن تاريخ (سليمان فوزى) صاحب الكشكول المصور ، وتخرج بطبيعة الحال عن الحقائق ساخرة متهكمة عليه لتخدم غرضها فى المنازلة ، وتشهر بخصمها ، وتحط من قدره بين الناس ، فتدعى ان سليمان فوزى كان " منذ ثمانية عشر عاماً " مجرد شماعة أدمية عند باب لطفى السيد محرر الجريدة وكل مميزاته " تجارة فى الملق والرياء والغش ، بلا رأسمال ٠٠ وبراعة لاتساجل ، وكفاءة لاتبارى ، فى صيد السمك الأحمر من الماء الرائق السلسل " [3] .

وتزيد (روز اليوسف) فى نزالها وطعنها للكشكول المصور وصاحبه ، وتشتد فى هذا الطعن والنزال ، وتكثر منه بدرجة ملحوظة ، حتى لتكاد أغلب صفحاتها تمتلىء وتفيض بالحديث عن ماضى سليمان فوزى الذى هو " ماض منتن منقيح " وحياته كلها " شلقاً على الوطنيين وبعض من لم يدفع ضريبة الكشكول من الرجعيين سواء بسواء " وأن هذا التشليق " يدر عليه الخير والبركات [4]

وتذكر (روز اليوسف) أيضا أن سليمان فوزى يظن وهو فى ظل الوزارة الحاضرة ، وهى وزارة محمد محمود باشا " أن فى وسع الكلب أن يستأسد أو يمد

---

(١) نفس المرع السابق ص ١٠٨ .

(٢) مجلة روز اليوسف العدد (١٢٤) الصادر بتاريخ ٢٤ ابريل ١٩٢٨ ص ٤ .

(٣) مجلة روز اليوسف نفس العدد ص ٦ .

(٤) مجلة روز اليوسف العدد (١٣١) الصادر بتاريخ ١٢ يونية ١٩٢٨ ص ٩ .

لسانه كما يشاء " .. وتوجه اليه القول زاجرة مهددة بالكتابة عن خروجه من دارة في بلدته منشية سلطان مركز منوف " ممزق الثياب حافي القدمين تشيعه لعنات امرأة محلولة الشعر ، ممزقة الثوب عارية النهدين .. " ثم حضوره للقاهرة الى بيت خاله في العباسية حيث اتخذه " بوابو حي الوايلي صديقاً ورفيقاً " ثم طرده من بيت خاله ، وزواجه من فتاة سمراء مليحة كانت ترقص في دار بغشاها السرور [1] .

* * * *

كان ماتقدم بعضا من كل ، وقليلا من كثير ولمحات ومقتطفات يسيرة من مقالات عديدة نازلت (روز اليوسف)بها خصمها سليمان فوزى صاحب (الكشكول المصور) والتى لاحظت عليها وزارة الداخلية كما سبق ذكره انها " مازالت تسن بفاحش القول ومنكر الأقاصيص وبالامعان في الكذب والاختلاق سنة مزرية بشرف الصحافة مفسدة للأخلاق والآداب " ثم ماذا كان على الجانب الآخر من المنازلات ... جانب (الكشكول المصور) الذى لاحظت عليه وزارة الداخلية "إ سفافاً في المهاترة ونزولا في مناهج النقد ومذاهب الخصومة " .

لقد كان لسان (الكشكول المصور) في هذه المنازلات اكثر من سليط، وقلم كاتبه يقطر السم الزعاف ... نهش في الأعراض ... تشنيع وسب مكشوف بالفاظ خارجة يندى لها الجبين .. حديث عن تاريخ روز اليوسف يريد به أن يهزها هزا عنيفاً ، ويفقدها احترام الناس لها .. وقد امتلأ (الكشكول المصور) بالكثير من مثله .. ولكن ماتضمنته تلك المقالات النزالية بالذات يعتبر غاية ماوصل اليه (الكشكول المصور) من الاسفاف في المهاترة ، والانحطاط في فاحش القول ومنكر الأقاصيص على حد قول وزارة الداخلية .

فقد نشر (الكشكول المصور) في مقالين اثنين فقط مايتضامل بجانبه كل ماكتبته عنه (روزاليوسف) في العديد من أعدادها .. فهذا (تاريخ ماأهمله

(١) مجلة روزاليوسف العدد ١٣٦ الصادر بتاريخ ٢٤ يوليه ١٩٢٨ ص٩(وراجع كذلك أعداد مجلة روزال يوسف في هذه الفترة ففيها الكثير من السباب والهجوم العنيف الموجه إلى سليمان فوزى صاحب الكشكول المصور

التاريخ / طريدة حصبيا وصحفية اليوم) [1] وعلى نفس الوتيرة ، بل واكثر ، واصل (مؤرخ) هجومه بأسلوب فاضح وألفاظ مكشوفه على (روز اليوسف) مستكملا استعراض (تاريخ ما أهمله التاريخ) ومتحدثا عن (روزه .. خادمة فى الكشف) [2] .

وهنا أمتنع عن نقل أى نصوص مماورد فى تلك المنازلات أو (المشاتمات) أو (الردح والتشليق) لأنها مخجلة ، ولا أدرى كيف لم تجد أى من الصحيفتين حرجاً فى عرضها على صفحاتها ، التى كانت تدخل كل بيت ، ويقرأها الكبار والصغار من الجنسين ... وقد تدنى النزال فيها إلى أسفل درجات الاسفاف والانحطاط ، وكل ذلك نتيجة لخصومات حزبية عمياء عقيمة ، لم يستفد منها غير أعداء البلاد من المحتلين وأذنابهم .. وقد جاءت مقالات الكشكول واللطائف السابق عرضها بجانب تلك المقالات النزالية صفراً على الشمال كما يقولون .

ومع الانتهاء من عرض المقال النزالى .. نكون قد وصلنا إلى نهاية هذا الفصل الثانى حول المقال الأدبى وأنواعه ... وننتقل بعد ذلك إلى تناول قسم (المقال العلمى) باعتباره القسم الثانى من أقسام المقال ... وهذا هو موضوع الفصل التالى .

* * * * *

* * * *

* * *

* *

*

---

(1) الكشكول المصور العدد (٣٧٥) الصادر بتاريخ ٣٠ يوليو ١٩٢٨ ص ٥ .

(2) الكشكول المصور العدد (٣٧٨) الصادر بتاريخ ١٧ اغسطس ١٩٢٨ ص ١٥ .

الفصل الثالث

المقال العلمى وأنواعه (*)

يوجد نوعان من (المقال العلمى) : نوع يكتب للمتخصصين ونوع يكتب لغير المختصصين من القراء .. والنوع الأول ينشر فى الكتاب العلمى أو المجلات العلمية التى تصدرها الهيئات والمؤسسات التى توفرت على نشر العلم .. والنوع الثانى تنشره الصحف بنوعيها من جرائد ومجلات . والأول ليس مجال دراستنا ، والثانى هو الذى يهمنا التركيز عليه فى مجال هذه الدراسة .

والمقال العلمى الذى تنشره الجرائد والمجلات العامة ، يحقق ثلاث وظائف أساسية من بين الوظائف العديدة التى تحققها الصحف وهى وظائف : التعليم والتثقيف .. والتوجيه والارشاد ، والتسلية والامتاع .. وذلك لأن الناس فى حاجة الى من يعلمهم ويثقفهم ، ويرشدهم ويوجههم ، ويسليهم ويمتعهم ، وخاصة فيما يتصل بحياتهم العقلية . وكل هذا يتم لهم من خلال المقال العلمى بأنواعه المختلفة الذى تنشره الصحف العامة . فإلى جانب المتخصصين فى مجالات العلوم المختلفة ،فانه لاغنى للمثقفين فى الأمة عن الأخذ من كل علم من العلوم الانسانية بطرف . وقد أدركت الصحافة منذ نشأتها هذه الحقيقة ، فأخذت تمد قراءها من حين لآخر بتلك الفصول العلمية المفيدة والمقالات الطريفة التى يتعلمون منها حينا ، ويتثقفون ويتسلون بها أحيانا ،

(*) اعتمدنا فى هذه الجزئية بصفة أساسية على كتاب (المدخل فى فن التحرير الصحفى ٠٠ مرجع سابق ص ٢٦٩ - ٢٨٢ وكذلك بعض المراجع الثانوية الأخرى سيتم الاشارة اليها فى موضعها مع بعض النماذج من الكتابات العلمية الصحفية ، المنشورة فى الصحف .

وترشدهم وتوجههم فى أحيان كثيرة إلى مافيه مصلحتهم وفائدتهم ..

شروط المقال العلمى :

وينبغى أن تتوافر فى المقال العلمى الذى تنشره الصحف عدة شروط منها :

أولا : الاقلال جهد المستطاع ، من المصطلحات العلمية المعروفة عند أهل هذا العلم أو ذاك من العلوم التى يتعرض لها المقال . ومعروف أن لكل علم منها العديد من المصطلحات التى يعرفها المشتغلون بهذا العلم معرفة جيدة ، وكلما جد جديد من هذه المصطلحات ، بادروا الى معرفته وأخذوا فى تداوله ... أما غيرهم من غير المتخصصين فلا علم لهم بهذه المصطلحات ، ولهذا وجب على كاتب المقال العلمى لغير المتخصصين أن يقتصد – ما أمكنه – فى ذكر هذه المصطلحات فى كتاباته .

ومع هذا ينبغى لكاتب المقال العلمى أن يدرك أن القارىء قد لايضيره أن يقرأ لفظاً علمياً غريباً عليه اذا دعت الضرورة الى استعماله فى المقالة ، ولاينبغى للكاتب العلمى فى هذه الحالة أن يعتذر عن استعمال هذا اللفظ ، ولا أن يحاول شرحه بنظرية علمية شرحاً مستفيضاً .. فله مثلا ، أن يستخدم لفظ الوحدة الحرارية ، ولكن ليس عليه أن يشرح هذه الوحدة الحرارية من الوجهة العلمية ، بل يقول مثلا : ان ثلاث قطع من السكر ، أو قطعة صغيرة من الزبد تولد مائة وحدة حرارية ، وأن الأنسان يحتاج الى مائة وحدة حرارية فى الساعة عادة ، والى مائة وستين وحدة اذا كان يقوم بعمـــــل مجهد [1] .

ثانيا : تبسيط المعلومات التى يقدمها الكاتب العلمى للقراء ، مراعاة منه لهذه الحقيقة السابق الاشارة اليها ، وهى انه انما يكتب لغير المتخصصين من القراء .. والكتاب العلميون فى مجال التبسيط درجات ، ومنهم من وهب المقدرة على شرح المادة العلمية الصعبة بطريق سهلة تعرف طريقها الى الأذهان .

ثالثا : اصطناع القوالب الأدبية – كلما أمكن ذلك – فى التعبير عن المادة العلمية .. ومن هذه القوالب – على سبيل المثال – قالب القصة ، وبها يستطيع الكاتب أن يحيل هذه المواد العلمية الجافة ، إلى قصص حية يحس

---

(١) كارل وارين / كيف تصبح صحفيا – ترجمة عبد الحميد سرايا ص ٢٦٠ .

فيها القارىء كأنها تتكلم وتتحرك ، أو كأن الحقائق العلمية ذاتها أشخاص تذهب وتجيء وتؤدى أدوارها المنوطة بها كأحسن مايكون الاداء .

رابعا : ربط المعلومات الطريفة التى يأتى بها الكاتب العلمى فى مقاله بحاجة من حاجات القراء ، أو رغبة من رغباتهم ، حتى ولو كانت هذه النزعة مجرد التأمل فى قدرة الخالق سبحانه وتعالى ، وكثيرون من القراء تحفزهم هذه النزعة إلى القراءة .

خامسا : عدم طغيان الصفة الذاتية على الصفة الموضوعية ، وإن كان ذلك لايمنع من وجود مسحة ذاتية صريحة ، تبث فى المقال شيئا من الحيوية والاشراق

فى الصحف المصرية :

ومهما يكن من شىء ففى مجال المقال العلمى تتنافس الصحف بشتى أنواعها على تثقيف القارىء بشتى صنوف المعارف العلمية . ومن أجل هذا كان للصحافة المصرية منذ نشأتها عناية كبيرة بالمقال العلمى الذى يهدف إلى تزويد القراء بالمعلومات فى شتى ألوان المعرفة .. فقد عنيت بالمقال العلمى صحف : الوقائع المصرية ، وروضة المدارس ، ووادى النيل ، وروضة الأخبار ، ويعسوب الطب ، ومصباح الشرق ، والمؤيد واللواء ، والأهرام ، والجريدة ، وغيرها .. ومازال اهتمام الصحافة المصرية مستمراً بهذا الفرع من المقالات العلمية الى الآن . . ولكن من الحق أن يقال ان من أكثر المجلات المصرية اهتماماً بالمقال العلمى كانت مجلات : المقتطف ، والهلال ، والرسالة ، والثقافة ... غير أن اكثرها تفوقاً فى هذا المجال كانت مجلة المقتطف بالذات .. ثم تليها مجلة الهلال التى انشئت عام ١٨٩٢ ، ومازالت تخدم العلم والثقافة والأدب الى اليوم ... فقد اعتادت (الهلال) أن تنشر فى كل عدد مقالا علمياً طريفاً فى مجال الموضوعات العلمية الدقيقة ، وكثيرا ماتنقل تلك المقالات اما عن كتاب معروف فى الأوساط العلمية ، وإما عن احدى المجلات الأجنبية .. وقد يكون المقال من تأليف كاتب من العلماء فى مصر أو عضو من أسرة تحريرها ..

نموذج من مجلة الهلال :

وفيما يلى نقدم نموذجا لمقال علمى بقلم الدكتور محمد رشاد الطوبى بكلية العلوم بجامعة القاهرة منشور فى مجلة (الهلال) بالعدد الخامس من المجلد الثامن والخمسين بعنوان (الأذن السحرية) وقد ربط الكاتب مقاله بالأوضاع السائدة التى تدخل فى اطار اهتمام القراء .... قال الكاتب فى مقالة :

" كلما اكفهر جو السياسة الدولية ، وتلبدت فيه الغيوم منذرة باحتمال وقوع الحرب ، نشطت السلطات المختصة فى كل دولة لتجنيد الرجال العسكريين والعلماء معاً . والواقع ان تجنيد العلماء للبحث والاختراع لايقل اهمية من الوجهة الحربية عن تجنيد العسكريين ، ومازالت معركة بريطانيا الجوية ماثلة فى الأذهان ، اذ جند الالمان مالايحصى عدده من الطائرات لكى يقضوا على انجلترا القضاء الاخير . ولكنهم لم يستطيعوا أن يكسبوا تلك المعركة رغم استعدادهم الضخم الرهيب ، وأحكامهم وضع الخطط لتنفيذه ، وماكان فشلهم غير المنتظر إلا نتيجة اختراع (الرادار) أو (الأذن السحرية) الذى استطاع الانجليز بها معرفة الطائرات المعادية قبل وصولها ، وبذلك فقدت هذه الطائرات عنصر المفاجأة .

ويضع المختصون آمالهم الآن فى جهاز (الرادار) لدرء خطر القنبلة الذرية التى ينتظر أن تكون هى السلاح الأول فى أيه حرب قادمة . وللرادار جهاز لاسلكى يبعث موجات لاسلكية قوية يسيرها بسرعة عظيمة فى اتجاه محدد ، فإذا اصطدمت هذه الموجات بجسم صلب ، كطائرة تشق عنان السماء أو باخرة تمخر عباب الماء ، أنعكست وعادت إلى الرادار ثانية ، وبمعرفة الزمن الذى استغرقته فى ذهابها وعودتها ، يعرف موقع الطائرة أو الباخرة ، وتعرف المسافة بينهما وبين محطة الرادار .

ومن المدهش أن الخفاش أو (الوطواط) سبق إلى أسلوب جهاز الرادار منذ أزمنة بعيدة ، وقام باستخدامه بنجاح عجيب قبل أن يدرك الانسان من أمره شيئاً .فالمعروف أن الخفاش يختفى بالنهار ، فإذا أقبل الليل خرج للبحث عن الغذاء ، طائراً بسرعة كبيرة فى الظلام الحالك ، دون أن يصطدم بتاتاً بالأشجار أو بالأبنية التى تعترض طريقه . وكثيراً مايخترق الغابات الكثيفة التى تمتلىء بالأشجار المتقاربة ، والأغصان المتشابكة ، فيمرق بينها مروق السهم فى سهولة وأمان .!! .

وقد كانت هذه الظاهرة العجيبة – ونعنى بها تحاشى الخفاش تلك العوائق المتقاربة وعدم اصطدامه بها – مماأثار دهشة الباحثين زمناً طويلاً ، لما ثبت من انه لايستطيع أن يراها فى الظلام ، فهو اذن لايعتمد فى تجنبها على حاسة النظر ، بل هناك – ولاشك – حاسة أخرى هى التى تنير له السبيل ، وتجنبه الاصطدام بتلك العقبات .

وقام كثير من الباحثين باجراء تجارب عدة اظهرت فى وضوح تام أن الخفاش لايعتمد على الإبصار فى طيرانه ليلا ، فقد أحضر العالم (سبالانزانى) عدداً من الخفافيش وفقأ عيونها ، ثم تركها بعد ذلك تطير فى الهواء ، فتبين له من حركتها للتزنه أنها لم تتأثر على الاطلاق بفقدها الإبصار !! ووضع بعض الباحثين خفاشاً فى غرفة كبيرة ، وثبت فى جميع ارجائها أسلاكا متقاطعة على شكل شبكة ، وعلق فى تلك الاسلاك اجراساً صغيرة تدق اذا لمس اى جسم هذه الاسلاك ، ثم اطفئت انوار الغرفة ، ووقف الباحثون فى ركن منها لايرون شيئا ، ولكنهم يسمعون ويحسون بما يجرى فيها ، وظلوا كذلك حوالى نصف ساعة والخفاش يطير من مكان إلى مكان ، متنقلا بين فتحات تلك الشبكة دون أن يمس اى جزء فيها ، وكان فى بعض الأحيان يقترب من وجوههم حتى ليحسون بحركة الهواء الذى تدفعه الأجنحة . وحينما اضيئت الأنوار انقطع الخفاش عن الطيران .

وتراجع إلى أعتم مكان فى الغرفة ،حيث قبع ساكنا لايبدى أى حراك .

وبدأ الباحثون يعللون هذه الظاهرة بشتى التعليلات ، دون أن يهتدوا إلى الدليل الكافى الذى تدعمه التجارب والمشاهدات العلمية ، وكان التعليل الذى قدمه العالم (هارتردج) سنه ١٩٢٠ أول تعليل استساغه أغلب الباحثين ، وقد رجع فيه استخدام الخفاش موجات صوتية لاتدركها أذن الانسان ، ثم أيدت الأبحاث الحديثة صحة هذا التعليل .

ولتفسير ذلك نقول : إن الأصوات المختلفة التى نسمعها تنتقل فى الهواء على صورة موجات صوتية ، ويدرك الإنسان تلك الأصوات فور وصولها إلى طبلة الأذن ، ولاتستطيع أذنه أن تدرك من الأصوات إلا ماكانت اهتزازاتها تتراوح بين ٢٠ و ٣٠ الف اهتزازة فى الثانية ، وهى تعرف " بالأصوات المسموعة " أما الموجات الصوتية التى تزيد اهتزازاتها على هذا فلا تدركها الأذن ، وقد أطلق عليها العلماء اسم " الأصوات فوق السمعية " .

وأثبت بعض العلماء الأمريكيين حديثاً أن الخفاش لايصدر الأصوات المعروفة التى نسمعها فحسب ، بل يصدر كذلك أصواتاً أخرى " فوق السمعية " كما أثبتوا أن فى استطاعته سماع تلك الأصوات التى لا تدركها أذن الإنسان ، فهو يقوم باصدار هذه الأصوات التى تنتقل فى الهواء ، حتى إذا اعترض طريقها بعض العوائق كالأشجار وغيرها انعكست كما تنعكس أشعة الشمس على سطح مرآة ، فإذا ماوقعت تلك الموجات الصوتية المنعكسة على أذنه أمكنه أن يدرك وجود تلك العوائق . ويعتمد الخفاش فى تقدير المسافة التى بينه وبين السطح الذى ينعكس منه الصوت على الزمن الذى يستغرقة الصوت فى الذهاب إلى هذا السطح والعودة منه بعد انعكاسه وهذا مايحدث تماماً فى جهاز الرادار .

" ومن بين التجارب التى أجريت لاثبات وجود تلك الأصوات الخاصة التى لانسمعها ، أنهم وضعوا " ميكروفونات " بالقرب من الخفافيش الطائرة ووصلوا هذه الميكروفونات بأجهزة دقيقة تقوم بتحويل الاهتزازات الصوتية التى لانسمعها إلى اهتزازات كهربائية يمكن ادراكها بطريقة خاصة ، فأثبتت هذه التجارب أن الخفافيش تصدر أصواتاً تتراوح بين ٣٠ و ٧٠ الف اهتزازه فى الثانية ، أى أنها فوق القدرة السمعية للأذن البشرية ، وفى الوقت نفسه قام هؤلاء العلماء الباحثون بفحص أذن الخفاش ، فظهر لهم أن لها من الميزات مايجعلها قادرة على سماع مثل تلك الأصوات .

" ويقال ان الحاسة التى يتفادى بها الخفاش جميع الحواجز التى تعترضه تتركز فى لسانه . فقد لجأ العلماء إلى قطع عصب تحت لسانه فاكتشفوا أنه يصدر أصواتاً يتعرف بها على الحواجز التى أمامه بواسطة حركات لسانه .

" من ذلك نرى أن الطبيعة قد وضعت سراً من أدق أسرارها فى مخلوق ضعيف لايكاد يعيره الانسان ماهو جدير به من تقدير واعجاب ، فقد استخدم هذه الطريقه العجيبة فى كفاحة من أجل الحياة ، وتغلب على الصعوبات التى تعترض طريقة اثناء تجواله الليلى الذى يمارسه بحثا عن الغذاء " .

* * * * *

وهكذا انتهى هذا المقال العلمى بعنوان (الأذن السحرية) فى شرح نظرية من أدق نظريات العلم . وهى نظرية (الرادار) واستخدم الكاتب فى مقاله هذا لغة سهلة تجنب فيها الاكثار من المصطلحات العلمية التى يشق فهمها على القارىء العادي ... وسرد فى سبيل ذلك طائفة صالحة من التجارب التى قام بها العلماء ، وشرح هذه التجارب بأسلوب يمتاز بالوضوح والبساطة ، كما يمتاز بربط ماأشتمل عليه من المعلومات الطريفة بحاجة من حاجات القراء ، وهى الرغبة فى السلام وغريزة من غرائزهم ، هى غريزة حب الاستطلاع ، وفى ذلك ماأغنى الكاتب عن استخدام سبيل (القصة) أو (الحوار) أو غيرها من الوسائل الأدبية التى تحيل تلك المادة الجافة الى قصص حـــــية .

المخ سنترال عظيم :

وهذا نموذج آخر لمقال علمى منشور فى الصحافة الحديثة كتبه الدكتور مصطفى محمود فى مجلة الشباب بعنوان (المخ سنترال عظيم) (١) قال فيه : من الثابت بالتشريح ان مخنا تضاعف فى الحجم والوزن فى العشرة ملايين سنة الأخيرة منذ جدنا الأول المزعوم " القرد البشرى " الذى كان يعيش فى الترنسفال منتصب القامة .. وكانت نتيجة تضخم المخ أن تضخمت الجمجمة معه على حساب الوجة الذى ظل يتضاءل فى المساحة كلما زحف المخ عليه حتى لم يعد هناك مكان لضروس العقل (لان المخ احتل مكانها) فاصبحت لاتنبت احيانا أو تنبت بصعوبة ... ومع استخدامنا للشوك والسكاكين وطهى الطعام وتفضيل المهلبيات والأماظيات التى بلا مضغ فإن أسناننا سوف تنقرض ويأكلها السوس فى المستقبل لقلة استعمالها وسوف تهبط من ٣٢ الى ٢٨ سنة ، هكذا يقول لنا العلماء إذا لم نكتشف وسيلة لصيانتها وتشغيلها .

والسؤال المثير .. هو لماذا تضخم حجم المخ ؟ .

ولنعرف الجواب لابد أن نسأل أولا .. ماهو المخ ؟.

المخ هو سنترال عظيم فيه اكثر من أربعة عشر الف مليون خط عصبى قادمة إليه من مختلف أماكن الجسد . والعصب البصرى وحده فيه مليون خط عصبى قادمة اليه من العين .. وقس على ذلك باقى الأعصاب .

وكل هذه الخطوط تلتقى فى الدماغ حيث يقوم المخ بتحليل رسائلها والرد عليها بأجوبة وأفعال فورية بالإضافة إلى هذه الخطوط نجد الاف ملايين الخطوط الاخرى التى تقوم بدور الترابط فى داخل السنترال نفسه بين مختلف المراكز حيث يقوم المخ بدور أخر هو التفكير وبالإضافة أيضا إلى ردود الفعل التى يجيب بها على كل صنوف التنبيهات .

والحواس الهامة فى المخ لها مراكز محددة وسنترالات أصغر خاصة بها . فالمركز البصرى يقع فى مؤخرة الدماغ ، ومراكز اللمس والسمع على الجانبين ، ومراكز الحركة فى المنتصف ، ومراكز التوازن أسفل الدماغ فى فصوص صغيرة خاصة بها اسمها " المخيخ " ومراكز التنفس والدورة الدموية فى أعلى الحبل الشوكى عند اتصاله بالمخ ، أما التفكير والخيال والتصور والذاكرة وإدراك المستقبل والإحساس بالكيان والتدبر والعزم والتخطيط فلها فص امامى هائل (خلف الجبهة) خاص بها ولا مثيل له فى الحيوان .

وهكذا كل نشاط له مركز خاص ، حتى العاطفة والغريزة والجنس واللذه والنوم لها مراكز .. وفى كل مركز ملايين الخلايا ساهرة كموظفى السويتش فى حالة يقظة دائمة يجيب وتستجيب لأدق الهمسات العصبية .

وفى كل لحظة تتدفق الأن ملايين الإشعارات والرسائل العصبية من الجلد والعين والاذن والأنف ومن الأحشاء ومن القلب ومن الأوعية الدموية والكبد والرئتين وكل مكان بالجسد ، حاملة المعلومات والتنبيهات إلى المخ ، هذا بالإضافة إلى خطوط الترابط الداخلية فى المخ نفسه بين المراكز المختلفة ، وهى الخطوط التى تقوم بالتنوير الضرورى بين مختلف المراكز .

---

(١) مجلة الشباب العدد (٢٢٨) بتاريخ يوليو ١٩٩٦ ص ٢٥ .

وفى نفس اللحظة تحمل ملايين الخطوط العصبية الصادرة عن المخ ردود الأفعال على هذه التنبيهات على شكل أوامر بالحركة إلى العضلات وتعليمات بالإفراز للغدد المختلفة واشارات باتخاذ إجراءات سلوكية معينه لكل عضو هذا النشاط المعقد هو عمل المخ ودوره .

ولهذا كان ازدياد حجم المخ هو الاستجابة الطبيعية لضغط العمل المتزايد عليه .. تماما كما ننشىء سنترالا كبيرا من ٨٠ الف خط بدلا من السنترال القديم ذى العشرة الاف خط نتيجة تزايد الضغط وكثرة عدد المشتركين فى منطقة السيدة زينب مثلا.

وفى بدء الخليقة حينما كان الكائن الحى خلية واحدة وكانت اغراضه بسيطة .. كانت المادة الحية ذاتها تقوم بالاستجابة فتنقبض الخلية مبتعدة عن الخطر بدون حاجة إلى جهاز عصبى . ولكن بنشأة الكائن الحى المتعدد الخلايا والوافر النشاط تخصصت بعض الخلايا فى نقل إشعارات الخطر ، وكانت هذه الخلايا هى بداية المخ .. ويتعقد الكائن الحى وتعدد وظائفة واغراضة ونشاطاته ، ازدادت الخطوط فى هذا المخ البدائى فبدأ يزداد فى الحجم (تماما كما يحدث أن تستعمل عضلات ذراعيك بإسراف فى رفع الأثقال فتتضخم هذه العضلات) .

وكانت هناك دواع كثيرة لأن يكون القرد البشرى ومن بعده الانسان اكثر اجناس الحيوان اغراضا ونشاطا ، وبالتالى لأن تكون هناك دواع أكثر لكى يتضخم ذلك الجهاز الخاص الذى يهيمن على تلك الإغراض .. فالإنسان كان أطول الحيوانات عمرا (لايفوقه فى هذا العمر إلا بعض السلاحف وبعض انواع الاشجار) وهو ايضا يمتلك أطول فترة حضانة وطفولة وشباب (بين ستين سنه متوسط عمرة يقضى آربعين سنة فى الحضانة والطفولة والشباب) وطوال هذه المدة يتعلم ويجمع الخبرات والمهارات ، وبالتالى يحتاج إلى نشاط عصبى لمزاولة هذه الخبرات وتخزينها .

ثم انفرد الإنسان بعد ذلك بنشاطات خاصة معقدة .. مثل استخدام الأدوات (منذ مليون سنة) . واختراع الكلام والتفاهم ، والحياة فى أسرة ومجتمع . واكتشاف النار وتسخيرها (منذ نصف مليون سنة) ، ثم صراع مستمر مع عصور جليدية متعاقبة منذ مليون سنة مضت إلى عشرة الاف سنة . ثم ممارســة الزراعة وتربية الحيوان . وممارسة الصناعة . والاشتغال بالعلوم والرياضيات البحتة والفنون والفلسفة (ظهر الرسم منذ ثلاثين الف سنه) . ثم أدراك الموت وما اثاره من إيحاءات ومابعثه من خيال .

كل هذه الخبرات كان معناها أن يتضخم الجهاز الخاص بها وهو المخ . ومما يدل على أهمية الخبرات وصلتها بالمخ والذكاء أن الحوت مخه اكبر من مخ الإنسان وأكثر منه تجاعيد ، ولكن مرتبة الحوت من الذكاء والعقل اقل من الإنسان بكثير لأن المسالة ليست تضخما فى المخ فقط وإنما هى تضخم مصاحب فى الخبرات والمهارات أيضا ...

والنتيجة هى انفراد الإنسان بشخصية مختلفة عن اسلافه الحيوانات .. فهو وحده الذى يستطيع أن يتصور ويتخيل ويتدبر ، وبالتالى يدرك بعدا زمنيا شاملا للماضى والحاضر والمستقبل ويسال عن الموت ومابعده ، أما اذكى القرود فإنه لايستطيع ان يتخيل ولا أن يدرك شيئا اسمه مستقبل ، وإدراكه لماضى محدود ، فهو يحزن لابنه الميت طالما انه يراه امامه ، فإذا اخذته من امامه ودفنته فإنه ينسى أمره تماما إن الذاكرة بمعناها العميق الشامل الباقى شىء لايملكه إلا الإنسان . وكانت نتيجة نمو الذاكرة عند الإنسان انه استطاع أن يختزن الخبرات والمهارات والمعارف ، ويستفيد بها فى الحكم والتقرير والسلوك .

وربما كانت وسيله المخ الى الذاكرة هى ملايين الخطوط والكابلات العصبية التى اسمها خطوط الترابط التى تربط مختلف المراكز بعضها ببعض .

وفى النهاية فإن مايهدف إليه الإنسان بأعمال المخ والفكر شىء اكثر من مجرد تكديس المعارف وتحقيق المصالح الحيوية العاجلة والتكيف مع بيئة متغيرة .. انه يهدف الى ماهو اخطر من هذه الغايات القريبة .

إنه يحاول أن يفهم . إن أرقى وظائف العقل هى محاولته الدائبة لربط الظواهر حوله فى علاقات منسقة لاستنباط القوانين الخافية وراءها ولمعرفة النظام الكامن فى الاشياء واكتشاف السبب والعله والمعنى .. وفى كلمه واحدة الفهم . أن يفهم معنى كل هذا .

ولكن التفكير للنفع قبل الفهم مازال هو الغالب ومازال يقعد بالعقل عن بلوغ اسمى اهدافه .. إننا نفكر للكسب ونفكر للحرب ونمارس ذكاءنا فى سبيل المزيد من السيطرة والنفوذ والقوة والمادية ... ولانفكر لنفهم أنفسنا وأزمتنا الحقيقية .. والنتيجة ان الانسانية تخطو إلى خرابها دون أن تدرى .

فالإنسان الذى امتلك القنبلة الذرية وربى لنفسه عضلات من فولاذ مازال طفلا أنانيا فى عواطفة وقردا بدائيا فى أخلاقة .. إنه لم يرتفع إلى مستوى القوة والمسئولية التى بلغها .

وهو لايفهم هذا لأنه لايستعمل عقله ليفهم وإنما ليربى مزيدا من القوى المادية وليقع أكثر وأكثر فى ذلك التناقض القتال بين قوته وخلقة .. وهو يقترب شيئا فشيئا من ساعة الصفر حينما لايعود الفهم مجديا .

لقد تكيفت الطيور والحشرات مع ظروفها المتغيرة واستطاعت أن تعبر العصور الجليدية فى سلام ولكننا لايبدو أننا نتكيف مع هذه القوة التى تنمو بسرعه مذهلهه فى أيدينا ، لاننا لانحاول ان نفهم أنفسنا .

وبين لحظة وأخرى قد تقع الواقعة ويفنى جنسنا فى حرب مدمرة ونصبح مجرد صفحة فى تاريخ وحفريات ينقب عنها الجنس الذى يأتى بعدنا فى ثنايا الصخور .. الايجب أن نتوقف لحظة لنحاول أن نفهم أنفسنا .." [أنتهى المقال] .

أنواع المقال العلمى :

ومثل تلك المقالات كثير من الكتابات العلمية التى يسعى فيها الكتاب الى تبسيط العلم ، وتقريبه إلى أذهان عامة القراء سعيا وراء الغاية التى تهدف اليها الصحافة وهى تثقيف القارىء بمختلف الثقافات ، وتزويده بشتى المعلومات .

وتتنوع المقالات العلمية بتنوع العلوم ذاتها وماأكثرها ، غير أن أشهر ماعنيت به الجرائد والمجلات المصرية الى الأن من أنواع المقال العلمى مايلى: ١ – المقالة النقديـــة : ومن أشهر كتابها العقاد والمازنى وطه حسين .

٢ – المقالة الفلسفية : ومن أشهر كتابها أحمد لطفى السيد ، والدكتور منصور فهمى ، والدكتور زكى نجيب محمود .

٣ – المقالة التاريخية : وهى كثيرة الورود فى الصحافة المصرية ، ولها كتاب عديدون .

٤ – المقالة العلمية : ومن أشهر كتابها الدكتور صروف ، والدكتور احمد زكى والدكتور مصطفى محمود وغيرهم .

٥ – المقالة الاجتماعية : وكتابها كثيرون أيضا فى الصحف فى الوقت الحاضر وكل ذلك تنشره المجلات أكثر مماتنشره الجرائد اليومية .

* * * * * *

وإلى هنا ينتهى حديثنا عن المقال العلمى وأنواعه .. وننتقل إلى الحديث عن القسم الثالث من أقسام المقال وهو القسم الخاص بالمقال الصحفى وأنواعه .. وهذا مانتناوله فى الفصل التالى:

* * * * * *

* * * * *

* * *

* *

*

الفصل الرابع

المقال الصحفى وأنواعه

اعتاد الباحثون فى الفن الصحفى ، على أن يشبهوا المقال الصحفى بعقل الانسان ، ومعنى ذلك أن مهمة المقال فى الصحيفة كمهمة العقل سواء بسواء .. والعقل البشرى هو القادر على تفسير المحسوسات ، وشرح المؤثرات وتحليلها ، وربط الأحداث بعضها ببعض ، ولذلك فان كاتب المقال له أن يستنبط أو يدخل فى موازنات ، ليخرج فى النهاية بالقدر من الصواب ، الذى يرشد ويوجه القراء والرأى العام الوجهة الصحيحة .

والمقال الصحفى ، هو الأداة الصحفية التى تعبر بشكل مباشر ، عن سياسة الصحيفة ، وعن آراء كتابها سواء كانوا من جهازها الصحفى أو من خارجه فى الأحداث اليومية الجارية ، وفى القضايا التى تشغل الرأى العام . يقوم المقال الصحفى بهذه المهمة من خلال شرح الأحداث الجارية ، وتفسيرها والتعليق عليها ، بما يكشف عن أبعادها ، ودلالاتها المختلفة . كذلك فانه فى بعض الحالات يمكن أن يطرح كاتب المقال فكرة جديدة ، أو تصوراً مبتكراً ، أو رؤية خاصة تشكل فى حد ذاتها قضية تشغل الرأى العام ، وخاصة اذا كانت تمس مصالح القراء ، أو تثير اهتمامهم لأى سبب من الأسباب . وبصفة عامة فان الصحافة الحديثة أصبحت موسوعية فى اهتمامها ومقالاتها ، حيث أنها تغطى السسياسة والاقتصاد والاجتماع ، والفن ، والأدب ، والثقافة، والرياضة وغيرها (١)

(١) فن الكتابة الصحفية – مرجع سابق ص ١٧٩ وكذلك دراسات فى الفن الصحفى – مرجع سابق ص ٢٠٦ .

أولا : وظائف المقال الصحفي :

مما تقدم تتضح لنا وظائف المقال الصحفي ، وهي عديدة من أهمها مايلي (١) .

(١) الاعلام : وذلك بتقديم المعلومات ، والأفكار الجديدة عن الأحـــــــدا أو القضايا ، أو المشكلات التي تشغل الرأى العام . ولكن ليس معنـــــــى ذلـك أن يكون الاعلام هو الغرض الأول من أغراض المقال الصحفي ولاينبـــغي أن يهدف الى تحقيق السبق الصحفي .

(٢) الشرح والتفسير : وذلك عن طريق شرح الأخبار ، وتفسسير الصلة التي بينها وبين الأفراد والمجتمعات ، والتعليق على هذه الأخبار بما يوضح للقراء مغزاها وأبعادها ، وجوانبها المختلفة ، وخاصة بالنسبة للقارىء العادي الذي تشرح له أموراً يصعب عليه فهمها ، لعدم امتلاكه للوقت وللقدرة الكافية لمعرفـــة التفاصيل المعقدة للحوادث اليومية .

(٣) التوجيه والارشاد : وذلك على أساس من العلم والمعرفة التامة بموضوع التوجيه ، وايراد الشواهد القوية من واقع الحياة ، ويمكن لكاتب المقال ، وخاصة فـــي الصحف الكبرى أن يوجه السياسة العامة ، لكي تتبعها دولته .

(٤) التثقيف : وذلك عن طريق نشر المعارف الأنسانية المختلفة .

(٥) الدعاية السياسية : وذلك بنشر سياسة الحكومات والأحزاب ، ومواقفها المختلفة من قضايا المجتمع .

(٦) تعبئة الجماهير : وذلك لخدمة نظام سياسي ، أو اجتماعي معين ، أو للمساهمة في التنمية الوطنية وغيرها .

(٧) تكوين الرأى العام : وذلك عن طريق التأثير على اتجاهاته سواء بالسلب أو الايجاب في القضايا المختلفة ، وحض القراء على اتخاذ قرارات مباشرة تجاه قضايا معينة .

---

(١) المرجع الأول السابق ص ١٨٠ وكذلك المدخل في فن التحرير الصحفي مرجع سابق ص ٢٨٤ .

(٨) التسلية والامتاع : وهذا الأمر تحققه المقالات الترفيهية ، أو الضاحكة ، أو االساخرة ، أو المقالات المسلية الطريفة التي تستأثر باهتمام القراء ، وتجتذب التفاتهم .

ثانيا : لغة المقال الصحفي :

والمقال الصحفي له لغته الخاصة ، ذلك الأسلوب الذى وصفه الكاتب الانجليزى ديفو بقولة : " اذا سألنى سائل عن الأسلوب الذى اكتبه ، قلت انه الذى اذا تحدثت به الى خمسة آلاف شخص ، ممن يختلفون اختلافاً عظيماً فى قواهم العقلية - عدا البله والمجانين - فأنهم يفهمون ما أقول " (١) .

وعلى ذلك فالمقال الصحفي ينبغى أن يكتب بلغة الحياة العامة ، أى لغة القارىء العادى ، التى يفهمها اكبر عدد ممكن من القراء ، مهما اختلفت أذواقهم وأفهامهم ، وبيئاتهم ، ومستوياتهم التعليمية والثقافية والاجتماعية .. وهذه اللغة تمتاز بالسهولة والبساطة والوضوح . وهذا لايعنى أن تكون لغة المقال الصحفى هى اللغة العامية ، وانما يجب أن تكون لغة عربية فصحى سليمة تمتاز بالبساطة والوضوح والايناس واللطف والرشاقة . وتبتعد عن صفات التعالى على القراء ، أو الغرابة فى الأسلوب ، أو المبالغة فى التعمق الذى لاتقبله طبيعة الصحف (٢) .

ثالثا : أنواع المقال الصحفي :

والمقال الصحفى أنواع مختلفة أخذت تتطور حتى صار كل منها يشكل فناً صحفياً مستقلا بذاته ومنها : المقال الافتتاحى ... والعمود الصحفى .. واليوميات ... والمقال التحليلى وغيرها .. ونتناول كل نوع من تلك الأنواع السابق ذكرها فى مبحث مستقل من المباحث التالية، الى جانب تخصيص مبحث أخير بعنوان (الاسمية واللا ا سميه فى الصحافة) فيما يتعلق بتوقيع الكتاب على مقالاتهم من عدمه ..

---

(١) المدخل فى فن التحرير الصحفى ، مرجع سابق ص ٢٢٣ وكذلك دراسات فى الفن الصحفى ، مرجع سابق ص ١٩٧ .

(٢) المرجع الأول السابق ص ٢٨٩ وكذلك فن الكتابة الصحفيه / مرجع سابق ص ١٨١ .

المبحـــــث الأول

المقـال الافتتاحى

Leading Article - Editorial Article

يعتبر المقال الافتتاحي أهم فنون المقال الصحفى ، وهو المقال الرئيسى للصحيفة ويطلق عليه الأنجليز والأمريكيون " Leading Article" أو " Editorial Article " .

والتعبير الأول يجوز ترجمته - كما يقول رشدى صالح [1] - بأنه " المقال القائد " أو المقال المقدم على غيره فنفس التعبير يعنى السلعة الجيدة رخيصة الثمن فتتقدم غيرها من السلع من حيث الرواج ، غير أن كلمة Lead) كاسم تجرى فى الاستعمال الصحفى بمعنى مقدمة الخبر ، أى أنها ذلك الجزء من الخبر الذى يتقدم غيره من حيث تصنيف أجزاء الخبر ، ومن حيث الدلاله عليه . وكلمة (Editorial) تنتسب الى المحرر (Editor) ، لأنه من المفترض أن رأى الصحيفة يقوله رئيس التحرير أويكتبه ، نظراً لمسئوليتة ومعرفته بسياستها وتمثيله لها .

ويقال (Editorial) هى مقال يكتبه رئيس التحرير يعبر فيه عن رأى الصحيفة ، وقد يكتبه بنفسه ، أو يكل كتابته الى غيره من كبار كتاب الصحيفة ، أو ممن يثق فيهم ، لكن تحت مسئوليته ، أو تحت مسئولية أصحاب الصحيفة . لأن الافتتاحية هى صوت الصحيفة كمؤسسة ، وهى منسوبة الى الصحيفة التى يمثل قمة تحريرها رئيس التحرير ، وهذا المقال لايوقع بأسم كاتبه حاليا ، لأنه يمثل - كما قلنا - رأى الصحيفة لا رأى كاتبه ولو كان رئيس التحرير .

---

(١) جلال الدين الحمامصى / الصحيفة المثالية (القاهرة - دار المعارف ١٩٧٢) ص ٢١٠ و ٢١١ وكذلك فن الكتابة الصحفية - مرجع سابق ص ١٨٤ .

والمقال الافتتاحي يقوم على شرح وتفسير أهم الأخبار ، والأحداث اليومية البارزة ، والتعليق عليها بما يكشف عن سياسة الصحيفة تجاه تلك الأخبار ، والأحداث ، والقضايا الجارية ، سواء على الصعيدين المحلي والعالمي . ويربط بين القراء والصحيفة من ناحية ، وبالأحداث الجارية من ناحية أخرى كما يدفع القارىء الى المشاركة فى مواجهة القضايا والمشكلات التى تهم المجتمع[1] .

ويعتمد نجاح المقال الافتتاحي الى حد كبير ، على اختيار الموضوع الذى يكون حديث الساعة ، ويهم القراء . وقد يسهل مهمة اختيار الموضوع ذلك الاجتماع الذى يعقده مجلس التحرير فى الصحيفة كل يوم ، لتحديد الموضوع المقترح للمقال الافتتاحي ، ويعهد بكتابته الى المتخصص فى ذلك المجال .. وأحيانا يتـــــرك لكاتب المقال الافتتاحي حرية اختيار الموضوع الذى يعتقد أنه اكثر أهمية بالنسبة للقراء ، بشرط ألا يتعارض مع سياسة الصحيفة [2] .

ومن ثم فان كاتب هذه المادة الصحفية ، يجب أن يكون سريعاً فى تفكيره ، سريعاً فى تعبيره عن رأى الصحيفة فى الأحداث والقضايا الهامة الجارية ، ويجب عليه دائما أن يكون واسع الاطلاع ، قادراً على ربط الحاضر بالماضى ، متصلا على الدوام بشتى الصحف والدوريات ، وعلى صلة دائمة بالصفوة المختارة من العلماء ، والأدباء ، والمفكرين فى عصره . ويمكن فى بعض الأحيان أن تكل الصحيفة الى أحد هؤلاء الصفوة المختارة كتابة المقال الافتتاحي فى المجال الذى تخصص فيه مادام يتفق مع سياستها ويعبر عن رأيها . ثم انه لاغنى لكاتب المقال الافتتاحي فى أحيان كثيرة عن " الأرشيف الصحفى " يرجع اليه كلما أراد الوقوف على الحوادث السابقة والشواهد الماضية ، ويفيد منه فى تقوية المقال . وتكون محتويات الأرشيف الصحفى فى المجال الذى يدور حوله المقال الافتتاحي ، أشبه شىء بالوثائق والشهود على صدق مايقول [3] وغالبا لاتزيد مساحة المقال الافتتاحي عن عمود ، أو

---

(١) المرجع الثانى السابق ص ١٨٣ .

(٢) محمود فهمى / الفن الصحفى فى العالم (القاهرة - دار المعارف ١٩٦٤) ص ١٣٤ .

(٣) المدخل فى فن التحرير الصحفى مرجع سابق ص ٢٩٠ و ٢٩١ .

نصف عمود ، بعد أن كان يحتل قبل الحرب العالمية الثانية مساحة صفحة كاملة ، وأحيانا اكثر عندما كانت الصحافة ماتزال صحافة رأى ، وكان فى تلك الفترة الماضية يحتل الصفحة الأولى من الجريدة ، ثم تراجع فى الصحافة المعاصرة الى الصفحات الداخلية ، وخاصة صفحة الرآى . وقد يكون فى هذا العمود مقال افتتاحى واحد حيناً ، أو مقالان أو ثلاثة حيناً آخر . وقد عمدت الصحافة الحديثة الى كتابة المقال الافتتاحى على هذا النحو ، لكى تفسح المجال لبقية المواد الصحفية الاخرى التى لم تكن تعرفها الصحافة القديمة ، أو كانت معرفتها بها قليلة [1] .

وكان للمقال الافتتاحى - فى غير هذه الايام التى نعيشها الآن - شأن عند جميع الأمم الناهضة ، أكبر من شأنه فى الوقت الحاضر . بل ان المقال الافتتاحى كان ينظر اليه دائما على أنه الاداة الأولى للتقدم ، والوسيلة الوحيدة للارشاد ، والطريق الصحيح للأخذ بيد الأمة ، التى تريد لنفسها صيانة الشعب من جميع المؤثرات الضارة به ، وبأفكاره ، وتقاليده مادام فى صيانتها صمام الأمن والسلامة من هذه الأضرار .

وهناك من يقلل من أهمية المقال الافتتاحى فى الصحف المعاصرة ، بحجة أن غالبية القراء لايقبلون على قراءته . وفى احصاء قام به معهد جالوب (Gallub) بأمريكا ظهر أن ١٩ ٪ فقط من الرجال و ١٠ ٪ فقط من النساء يعنون بقراءة المقال الافتتاحى ، وفى بحث للامريكى روبرت راند Robert Rand حول دراسة لميول القراء بالنسبة لموضوع المقال الافتتاحى لثلاثين صحيفة أمريكية ، خـــرج الباحث بأن قراء المقال الافتتاحى لايتجاوزون ٨ ر ١٨٪ وأن ٩ ر ٧٨ ٪ منهم يلقون نظرة عجلى على المقال دون قراءته من أوله لآخرة . ويتوقع بعض العرب المختصين بشئون تدريس الصحافة بأن نسبة قراء المقال الافتتاحى فى العالم العربى لن تزيد على ٥ ٪ على اكثر تقدير إذا تم اجراء بحوث لقياس ميول القراء العرب ، ورغبتهم فى قراءة المقـــــال الافتتاحى (٢) .

---

(١) نفس المرجع السابق ص ٣٠٤ وكذلك فن الكتابة الصحفية - مرجع سابق ص ١٨٥ .

(٢) المدخل فى فن التحرير الصحفى - مرجع سابق ص ٣٠١ و ٣٠٢ .

وقد يكون التقليل من أهمية المقال الافتتاحي صحيحاً ، بالنسبة للصحف عديمة الأهمية ، ولكن المقال الافتتاحي يقرأ بعناية من جانب غالبية القراء بالنسبة للصحف المؤثرة في الرأى العام ... وان افتتاحيات صحف مثل التايمز اللندنية ، والنيويورك تايمز الأمريكية واللوموند الفرنسية ، يقبل عليها القراء لأنهم يعرفون مدى تأثيرها على الحكومة والرأى العام في الوقت نفسه ، وكثيراً ما استطاعت إفتتاحيات هذه الصحف ، أن تفرض على الحكومة تغيير سياسات ، أو قرارات معينة ، أو تفرض عليها تبني مواقف معينة ، سواء في السياسة الداخلية ، أو السياسة الخارجية (١) .

أولا : خصائص المقال الافتتاحي

يتميز المقال الافتتاحي بعدة سمات خاصة يعرف بها ، وخصائص فنية تتوافر له ، ومن بينها مايلي (٢) .

(١) التعبير عن سياسة الصحيفة والثبات على التعبير عن هذه السياسة ، سواء كانت هذه الصحيفة مستقلة ، أو تابعة لحزب من الأحزاب ، أو معبرة عن اتجاه سياسي ، أو اجتماعي ، أو فكري في البلد الذي تصدر فيه . ولذلك يراعي في المقال الافتتاحي ألا يكون مذيلاً بتوقيع كاتبه ، لأنه مقال منسوب الى الصحيفة بوصفها هيئة من هيئات الاعلام ، لها سياستها وهدفها من وراء هذه الأعلام . ومادام كاتب المقال الافتتاحي لايعبر عن رأيه الشخصي ، بل يعبر عن رأى الصحيفة ، فان عليه أن يتوخى الحذر والحيطة فيما يكتبه باسم الصحيفة ، حتى لايعرضها للخطر .

(٢) التبسيط في الحديث : ومعنى ذلك أن حديث الكاتب في المقال الافتتاحي ، لايجوز أن يأتي عن طريق الاستعلاء ، الذي يحس به

---

(١) فن الكتابة الصحفية – مرجع سابق ص ١٨٦ .

(٢) المرجع السابق ص ١٨٣ و ١٨٤ وكذلك المدخل في فن التحرير الصحفي مرجع سابق ص ٢٩٢ و ٢٩٥ .

القارىء عند القراءة ، بل ينبغى أن يأتى عن طريق شعور الكاتب والقارىء معاً بأنهما صديقان ، يتحدثان حديثاً يهم كل واحد منهما بقدر مايهم الآخر ، وليس المقال الافتتاحى فى الواقع الا محاولة هادئة لجذب القراء ، واشعارهم بأنهم شركاء فى حل المشكلات العامة

(٣) متابعة الأحداث اليومية ، والاهتمام بالقضايا التى تهم الرأى العام وتشغل أذهان القراء ، سواء فى النطاق المحلى أو الدولى .

(٤) ابراز الخلفية التاريخية للأحداث والقضايا التى يتناولها المقال الافتتاحى بالشرح والتفسير ، واقناع القارىء بالقضية أو الرأى الذى تنادى به الصحيفة ، بما يقدمه الكاتب من حجج منطقية ، وأدلة كافية ، وشواهد وأمثلة مشتقة من الأحداث الجارية فى الحاضر ، والتى جرت فى الماضى ، والتجارب الانسانية التى يختزنها الكاتب فى ذاكرته ، إما بطريق الممارسة أو بطريق الاطلاع . ولهذه الشواهد والأمثلة والأدلة حيز كبير فى المقال الافتتاحى ، وهى مجال واسع يتبارى فيه كتاب المقالات الافتتاحية ، وتظهر علمهم واطلاعهم ، ووقوفهم على التاريخ العام ، والتاريخ الخاص . ومهما يكن من شىء فلاينبغى أن يحشى المقال الافتتاحى بحقائق يزحم بعضها بعضاً ، أو تتراكم تراكما يحول دون فهم الرأى الذى بسطه الكاتب ، أو الفكرة التى كتب من آجلها المقال الافتتاحى .

(٥) الجدة الزمنية ، أو مسايرة المقال الافتتاحى للأحداث الجارية . ومعنى ذلك أنه ينبغى للمقال الافتتاحى أن يعالج موضوعات الساعة ومشكلات اليوم ، ويهتم بالأفكار التى تشغل أذهان الناس وقت ظهور الصحفية .

(٦) التوجيه والارشاد ، على أن يختفى ذلك دائما وراء أسلوب الكاتب . فلاينبغى أن يكون فى شكل موعظة أو نصيحة ، أو آمر ، أو نهى ، أو تعليمات يلقى بها الكاتب من فوق منبر الصحيفة ، ليحاول أن يؤثر بذلك فى الرأى العام . فالمقال الافتتاحى له قيمة كبرى فى توجيه

القراء وفئات الرأى العام على اختلافها ، وأكثر مايكون ذلك وضوحاً بالنسبة للصحف الكبرى واسعة الانتشار ، أو بالنسبة للصحف ذات النفوذ لدى أهل النفوذ .

(٧) استخدام لغة سهلة مبسطة ، وأسلوب واضح محدد يتلاءم وطبيعة قراء الصحيفة الذين تختلف مستوياتهم الثقافية والتعليمية .

(٨) التسلية والامتاع ، فلا يقتصر المقال الافتتاحى على المسائل الكبيرة وحدها ، بل يتناول كذلك بعض المسائل الخفيفة والموضوعات الطريفة .

ثانيا : صفات كاتب المقال الافتتاحى (١)

واذا كان المقال الافتتاحى هو الذى يتقدم غيره من مختلف المواد الصحفية - كما سبق ذكره - فان من يكتبوه هم أيضا ممن يتقدمون غيرهم من حيث التخصص ، والكفاءة والخبرة بسياسة الصحيفة - فرئيس التحرير لم يعد هو المحرر الذى يكتب كل ماهو هام للغاية ، وإنما هو أهم من يقود زملاءه من المحررين القادرين على أن يكتبوا ماهو هام للغاية . وبمعنى آخر لم يعد فى استطاعة رئيس تحرير صحيفة كبرى أن يكتب افتتاحياتها المتنوعة ، بل أصبح من واجبه أن يقود أكفأ كتاب المقال العاملين فى صحيفته ، الى كتابة الافتتاحيات حسب تخصصاتهم .

وتأخذ معظم الصحف بنظام " مجلس تحرير الافتتاحيات " الذى يتألف من عدد من كبار المحررين ، وينعقد يومياً ، ويحدد الموضوعات التى تتناولها الافتتاحيات ، ليقوم كل كاتب أو محرر كفء ومتخصص ، بتحرير الموضوع الذى يقع فى دائرة تخصصه . ومن البديهى أن تتوفر بين أيدى هؤلاء ، أقصى الامكانيات من مراجع ودوريات وقصاصات ، ومعلومات ، وبيانات فى أرشيف الصحيفة ... الخ وقد قيل ان كاتب مثل هذا المقال يقضى ٩٠٪ من وقته فى القراءة ، والدراسة ، والاطلاع و ١٠ ٪ فى تحرير المقال .

---

(١) الصحيفة المثالية - مرجع سابق ص ٢١٤ و ٢١٥ وكذلك المدخل فى فن التحرير الصحفى مرجع سابق ص ٢٩٧ و ٢٩٨ .

وعلى أى حال فان كاتب المقال الافتتاحى ، يجب أن يكون متمتعاً بعدة صفات هامة ، منها مايلى :

(١) أن يكون ذا حاسة صحفية دقيقة ، يتذوق بها الأحداث الجارية فى محيطه ، والأحداث الجارية فى خارج هذا المحيط ، وعلى قدر حظه من هذه الحاسة يكون نجاحه فى كتابة المقال الافتتاحى ، وخاصة اذا كان فى المجال السياسى .

(٢) أن تكون له حاسة تاريخية كذلك يستطيع بها ربط الماضى بالحاضر ، ويستطيع أيضا توقع المستقبل . ومن ثم كان التاريخ عنصراً هاماً من عناصر ثقافة الصحفى .

(٣) أن يكون ذا ثقافة عريضة ، ولا بأس بأن تبدو عميقة فى بعض مواضعها ، وبذلك يستطيع الصحفى أن يقف على المعلومات التى تمكنه من الحكم الصائب ، والنظر الصادق ، والتوجيه السليم ، ومما يجدر ذكره فى هذا المقام – مع الأسف – أن أهم مايميز الصحف الأجنبية عن بعض الصحف العربية ، صحيفة أجنبية عن الصحف العربية ، انما هو صفة التخصص .. فالمقال الافتتاحى فى صحيفة أجنبية ، أنما يكتبه رجل مختص فى نوع الموضوع الذى يخوض فيه المقال الافتتاحى ، فان كان المقال اقتصادياً كتبه شخص اقتصادى ، وان كان سياسياً كتبه شخص سياسى وهكذا . بينما اكثر الافتتاحيات فى الصحف العربية يكتب فور البديهة ، وكأنه رد فعل جاهز ، وفى معظم الحالات لاتعدو اكثر من سطور سطحية ... وذلك أمر يدعو الى ضرورة اعادة النظر فى هذا الصدد .

(٤) وهو خلاصة ماتقدم من الصفات ، حيث ينبغى أن يكون كاتب المقال الافتتاحى ذا حاسة اجتماعية مرهفة ، أو قدرة بالغة على الانغماس فى المجتمع ، وموهبة الحديث ، وغير ذلك من الخصال التى تمكنه من الوقوف على حقيقة الرأى العام . وكل ذلك مع مراعاة تامة لسياسة الصحيفة التى يكتب فيها .

ثالثا : كتابة المقال الافتتاحي [1]

يصاغ المقال الافتتاحي على هيئة الهرم القائم أو المعتدل ، بمعنى أنه يتألف من ثلاثة أجزاء هي :

(١) التقديم أو الفكرة المثيرة لاهتمام القارىء .

(٢) الحقائق والشواهد والأدلة المؤيدة للفكرة .

(٣) النتيجة أو الخلاصة التي يخرج بها القارىء .

(أ) : مقدمة المقال الافتتاحي : وهي تحتوى على مدخل يثير الانتباه الى أهمية القضية ، أو المشكلة ، أو الفكرة التي يدور حولها المقال .

ويمكن أن تتضمن النقاط التالية :

(١) عرض فكرة مثيرة لاهتمام القراء .

(٢) طرح قضية هامة تمس مصالح القراء .

(٣) ابراز خبر هام يشغل الرأى العام .

(٤) وصف مشكلة هامة صارت حديث الناس في المجتمع .

وتقوم المقدمة بعدد من الوظائف منها :

(١) تهيئة ذهن القارىء لموضوع المقال .

(٢) اعادة تذكير القارىء بالقضية أو المشكلة موضوع المقال . مع مراعاة عدم الاغراق في ذكر هذه التفاصيل .

(٣) جذب اهتمام القارىء ، ودفعه الى قراءة المقال عن طريق الطرح الجيد والشيق للموضوع .

(ب) جسم المقال الافتتاحي : وهو الجزء الذى يحتوى على المادة الجوهرية في المقال . وقد يحتوى على النقاط التالية .

(١) البيانات والمعلومات والحقائق الكافية عن الموضوع لاشباع رغبة القارىء .

(٢) الأدلة والحجج والأسانيد المنطقية ، التي تؤيد وجهة نظر الصحيفة .

(٣) الخلفية التاريخية للموضوع الذى يعالجه المقال .

---

(١) فن الكتابة الصحفية ، مرجع سابق ص ١٨٦ - ١٨٩ وكذلك المدخل في فن التحرير الصحفي ، مرجع سابق ص ٢٩١ وكذلك الفن الصحفي في العالم ، مرجع سابق ص ١٣٥ و ١٣٦ .

(٤) أبعاد الموضوع ودلالاته السياسية ، أو الاجتماعية ، أو الاقتصادية ، أو الفكرية ... الخ لاقناع القارىء بموقف الصحيفة ، أو سياستها تجـاه موضوع المقال .

(ج) خاتمة المقال الافتتاحي :

وهذا الجزء يتوقف عليه مدى أقتناع القارىء ، أو عدم اقتناعه بموضوع المقال ، وغالباً ماتضم الخاتمة النقاط التالية :

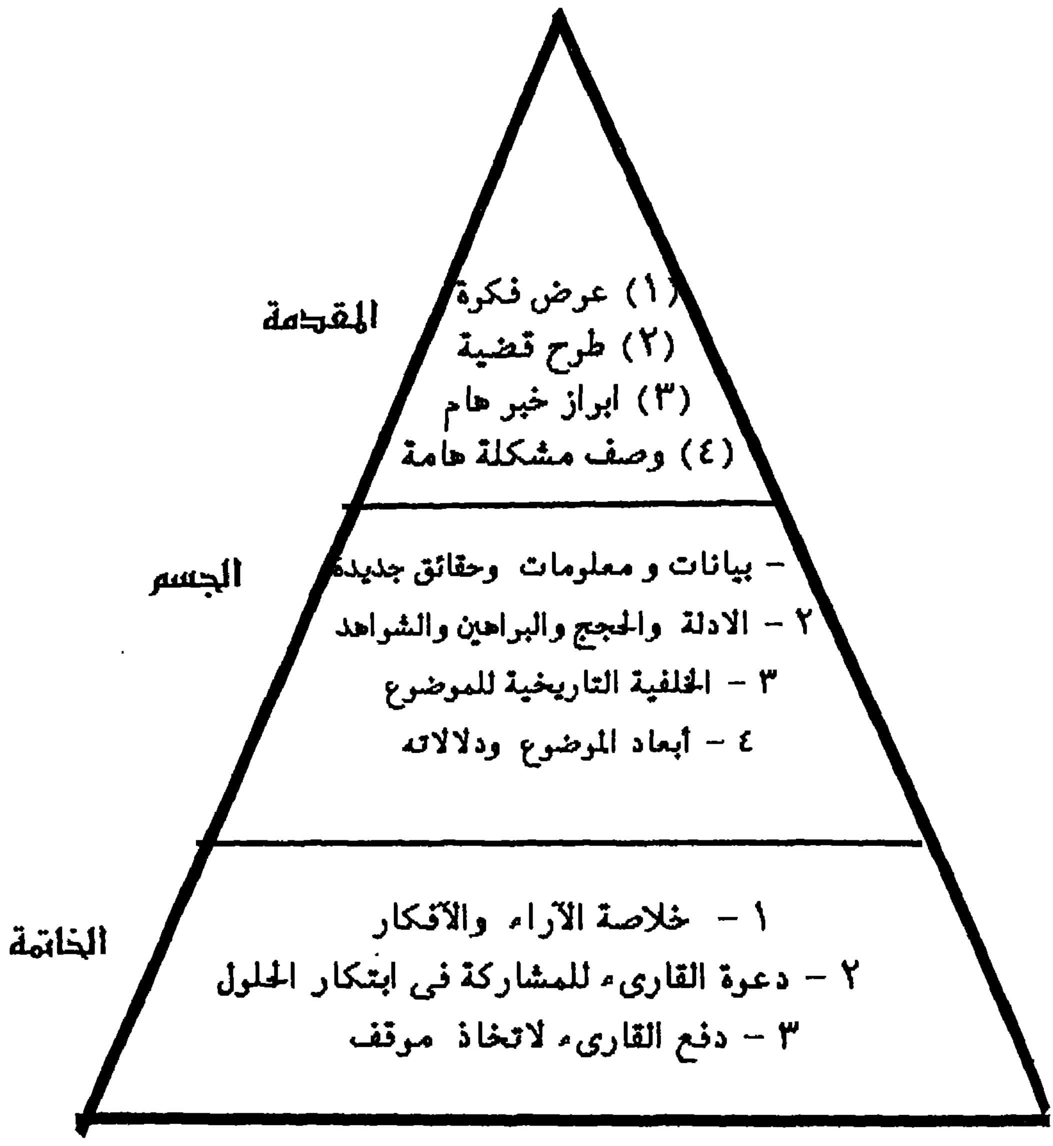
(١) خلاصة الآراء ، والأفكار التي يصل اليها كاتب المقال .

(٢) دعوة القارىء للمشاركة في ايجاد حلول للقضية المطروحة ان كان الأمر يفترض مشاركة القارىء ، أو تعبئته لتحقيق هدف معين ، أو تنفيذ خطة معينة .

(٣) دفع القارىء الى اتخاذ موقف معين تجاه قضية معينة .

* * * *

ويوضح الشكل التالي طريقة كتابة المقال الافتتاحي المبني على قالب الهرم المعتدل .



شكل رقم (١) البناء الفنى للمقال الافتتاحى المبنى على قالب الهرم المعتدل

ونماذج المقال الافتتاحى لاحصر لها فى الصحف من جرائد ومجلات .. ويمكن الرجوع اليها لتطبيق ماتقدم على تلك النماذج ... وننتقل بعد ذلك الى المبحث التالى الذى يتضمن استعراض مايتعلق بالعمود الصحفى ..

المبحث الثاني
العمود الصحفي Column

نلاحظ في السنوات الأخيرة ، وجود الأعمدة الصحفية المتعدده في الصحف العربية بصفة عامة . وذلك لأن الصحف منذ انتشارها الى أوائل القرن الحالى ، كانت تعتمد على المقال الافتتاحي ، الذي كان طويلا في البداية ، ثم أخذ يقصر شيئا فشيئا ، كما كانت موضوعات هذا المقال تدور حول موضوعات جادة في أغلب الأحيان . والمتأمل في تطور الصحافة في العالم ، يجد علاقة كبيرة بين ظهور العمود الصحفي ورغبات القراء .كما تظهر في اضطرارهم الى السرعة في القراءة ، وايثار المواد القصيرة ، التي تعطيهم الشيء الكثير في الزمن القصير ، ثم تردهم سريعا إلى مشاغلهم ، أو الى اعمالهم العادية اليومية (١)

أولا : مفهوم العمود الصحفي (٢)

لكن ماهو مفهوم العمود الصحفي ؟ وماالمقصود به؟ وماهي الصورة التي كان عليها عند نشأته ؟ وكيف تنوعت أشكاله ؟

كان العمود الصحفي في نشأته عبارة عن فكرة ، أو رأى ، أو خاطر يرد على ذهن الكاتب ، فيكتب فيه سطوراً قليلة .. وكثيراً ماكان هذا الرأى أو الخاطر يدور حول واقعة أو ظاهرة وقع عليها نظر الكاتب في المحيط الذي يعيش فيه ومعنى ذلك أن العمود الصحفي في بداية الأمر ، كان لايتعدى المحيط الاجتماعي ثم سرعان ماأصبح العمود الصحفي موزعا في الصحيفة على أبواب كثيرة . فهناك العمود السياسي في صفحة السياسة الخارجية ، وهناك العمود الرياضي في صفحة الرياضة ، والعمود الاقتصادي في صفحة الاقتصاد ، والعمود الأدبي في صفحة الأدب ، والعمود الديني في الصفحة الدينية ، والعمود الذي يعالج الشئون النسائية

---

(١) دراسات في الفن الصحفي – مرجع ساق ص ٢١٤ وكذلك المدخل في فن التحرير الصحفي مرجع سابق ص ٣٠٥ .

(٢) راجع في ذلك المرجع الثاني السابق ص ٣٠٦ و ٣١٠ وكذلك فن الكتابة الصحفية – مرجع سابق ص ١٩٣ وكذلك الفن الصحفي في العالم – مرجع سابق ص ١٣٨ و ١٣٩ .

فى صفحة المرأة وغير ذلك من الأعمدة .

والعمود الصحفى هو مساحة محدودة من الصحيفة لاتزيد على (نهـــــر) أو (عمود) تضعة الصحيفة تحت تصرف أحد كبار الكتاب بها ، يعبر من خلاله على مايراه من آراء وأفكار ، أو خواطر ، أو انطباعات فيما يراه من قضايا ، وموضوعات ، ومشكلات ، بالاسلوب الذى يرتضيه ، ويتسم بطابع صاحبه أو كاتبه .

وغالبا مايحتل العمود الصحفى مكاناً ثابتاً لايتغير على احدى صفحات الجريدة وينشر تحت عنوان ثابت ، وقد يصحبه عنوان آخر متحرك ... ويظهر فى موعد ثابت ، وقد يكون التوقيع بالاسم كاملا ، وهو السائد فى الأعمده الصحفية ، وقد يكون بالاسم الأول فقط ، أو بالاسم الآخير فقط ، أو بالحروف الأولى فقط من أسمائهم أو من اسماء مستعاره ، وقد يكون التوقيع بالرموز ، أو اشارات ، أو صفات عامة ... الخ .

وتعطى الصحف حرية اكثر لكاتب العمود الصحفى للتعبير عن وجهة نظره وأفكاره بالطريقة التى يراها . وليس من الضرورى أن يلتزم كاتب العمود الصحفى بسياسة الصحيفة ، وان كان من المتعارف عليه أن لايكون معاوضاً لهذه السياسة .

ومن حيث الطباعة فان العمود الصحفى غالباً مايتميز عن غيره ، من مواد الصحيفة حتى يلفت اليه انظار القراء ، ويكون بحروف سوداء من (بنط) خاص وقد يوضع داخل اطار أو برواز خاص .. ومهما يكن من شىء فالمهم فى العمود الصحفى ، أن يكون له مكان ثابت ، وعنوان ثابت ، وتوقيع ثابت . وفى هذه المميزات الثلاثة مايكفى لكى يلفت اليه انظار القراء ، فيتعودوا عليه ، ويعثروا عليه فى يسر وسهولة .

ثانيا : موضوعات العمود الصحفى :

ليست هناك حدود ، أوقيود على المجالات ، والموضوعات التى يطرقها كاتب العمود الصحفى . فمن حقه أن يكتب فى السياسة ، أو الاقتصاد ، أو فى مشكلات الحياة الا جتماعية أو قضايا الفكر والثقافة والآدب ... الخ ولكن من الضرورى أن يهتم كاتب العمود الصحفى ، أثناء تناوله لمثل هذه القضايا ، بالتركيز على كل مايهم القراء وأن يخاطب قلوبهم ومشاعرهم وأحاسيسهم ، بحيث يخرج من تناوله لمثل هذه

الموضوعات بالحكمة ، وبالعبره ، وبالموعظة الحسنة[1]

ثالثا : خصائص العمود الصحفي :

يتميز العمود الصحفي بعدة خصائص هامة ، منها مايلي [2]

(١) الجمع بين بساطة اللغة الصحفية ، وسهولتها ، ووضوحها ، و بين جمال اللغة الأدبية ذلك أن العمود الصحفي أشبه بالمقال الأدبي ، من حيث العناية باختيار الألفاظ والاحتفاظ بحلاوة الأساليب ، الا أن ذلك ليس شرطاً مطلقاً في لغة العمود الصحفي ، ولكنه جائز في هذه المادة الصحفية ، حيث لايجد خبراء الصحافة بأساً من أن يستخدم كاتب العمود الصحفي ، أحيانا ، الأسلوب الأدبي في كتابته ، على أن يكون أسلوبه متميزا بالجمال ، وذلك باختيار الألفـــاظ الجذابة والعبارات الرقيقة التي تعبر عن الفكرة تعبيراً جميلا .

(٢) التعبير عن التجربة الذاتية للكاتب ، لأن العمود الصحفي أقرب الى الأدب ، والأدب ذاتي ، ولذلك فان محرر العمود الصحفي يعطي حرية كاملة ، بقدر المستطاع ، في التعبير عن آرائه ، بشرط الايتعارض ذلك مع سياسة الصحيفة .

(٣) يقوم العمود الصحفي على أساس وجود رابطة قوية ، وعلاقة حميمة بين كاتب العمود وقرائه . ولذلك يجب عليه أن يهتم ، قبل كل شيء بمشكلات الأفراد ومعالجة تلك المشكلات ، وعلى هذا الوتر الحساس يؤدي كتاب الأعمدة الصحفي دورهم في الصحف ، فيجذبون القراء اليهم ، كما تعتمد الصحف لزيادة التوزيع، على الصلة التي تنشأ بين القراء وكتابها ، من خلال كتاباتهم ، فاذا زادت هذه الصلة متانة وقوة ، وكانت أقرب الى حياة القراء ومشكلاتهم ، كلما حرص القراء على اقبالهم على الصحيفة ، والارتباط بها ، وعدم تركها الى غيرها من الصحف الأخرى المنافسة .

(٤) يجوز أن يتناول العمود الصحفي موضوعاً خفيفاً جذاباً . ويباح لكاتبه السخرية في

---

(١) فن الكتابة الصحفية - مرجع سابق ص ١٩٣ و ١٩٤ .

(٢) المرجع السابق ص ١٩٥ و ص ١٩٦ وكذلك المدخل في فن التحرير الصحفي - مرجع سابق ص ٣١٢ و ص ٣١٣ وكذلك الفن الصحفي في العالم - مرجع سابق ص ١٣٩ و ١٤٠ .

العرض ، اذا وجد ذلك ضروريا ، ويكون أسلوبه أشبه بلسعة العقرب ، أو وخزة الابرة ، حيث يتأثر القراء بسخرية العمود الصحفى من أقصر طريق .

(٥) كثيرا مايكون العمود الصحفى على شكل رسائل من بعض القراء الى الكاتب ، الذى يبسط شكاواهم ، ويوجه خطابه الى المسئولين ، بعد تقديم الحجج والشواهد ، لكى يزيلوا أسباب هذه الشكوى . وقد يتخذ العمود الصحفى شكل سؤال وجواب ، وفى هذه الحالة ينبغى مراعاة أن تكون الأسئلة والاجوبة ، ذات صفة عامة غالباً ،أو انسانية ، حتى يجد القارىء أنها ذات فائدة له .

(٦) على الرغم من أن العمود الصحفى لايتسع لأكثر من الكلام عن فكرة واحدة ، أو خاطرة واحدة ، فان كاتبه مضطر كذلك - بحكم الحيز الصغير الذى يخصص للعمود - أن يوجز فى عبارته ، والا يجنح الى الاسهاب فى هذه العبارة ، أو استخدام المعانى ، والأفكار الاستطرادية التى تحتاج الى حيز أوسع من حيز العمود الصحفى - ولذلك يقوم العمود الصحفى على تطبيق القاعدة الصحفية التى تقول : اكثر قدر من المعانى والمعلومات فى أقل قدر ممكن من الالفـــاظ .

رابعا : كتابة العمود الصحفى (1)

يكتب العمود الصحفى مثلما يكتب المقال الافتتاحى ، على شكل الهرم المعتدل الذى يتكون من ثلاثة أجزاء هى (مقدمة - وجسم - وخاتمة) . .....

(أ) المقدمة : وتشتمل على مدخل ، أو زاوية يمهد بها الكاتب لموضوع العمود الصحفى ، ويمكن أن يشتمل المدخل على النقاط التالية :

(١) خبر من الأخبار ، أو حدث من الأحداث الهامة الجارية ، بشرط أن يركز الكاتب على زاوية معينة ، أثارت اهتمامه ، ويرى أنها تهم القراء فى الوقت نفسه .

(٢) فكرة أو خاطرة ، أو لمحة أو انطباع ، يرى الكاتب أنه يحتاج إلى شرح ، وتوضيح ، أو تفسير وتعليق ، أو استخلاص العبرة منه .

---

(١) راجع فى ذلك فن الكتابة الصحفية مرجع سابق ص ١٩٦ - ١٩٩ .

(٣) قضية أو مشكلة أو حدث يرى الكاتب أنه يمس مصالح القراء ، أو يثير اهتمامهم وللكاتب وجهة نظر فيه يريد الافصاح عنها .. ولكن يشترط أن تكون الزاوية التى يتناولها الكاتب أقرب الى اهتمام الناس وتفكيرهم ، أو قد تكون الزاوية هى تجربة الكاتب الذاتية مع الحدث أو القضية نفسها .

(٤) آية قرآنية ، أو جزء من آيه ، أو حديث نبوى شريف ، أو جزء منه ، أو ربما بيت من الشعر او حكمة مأثورة ، أو مثل شعبى معروف ، أو قول لمفكر أو كاتب مشهور ..... الخ .

(ب) **جسم العمود الصحفي** : ويضم جوهر المادة التى يحتويها العمود الصحفى . وتتضمن رأى الكاتب ، وخلاصة مايريد قوله للقراء ، وقد تشتمل على النقاط التالية :

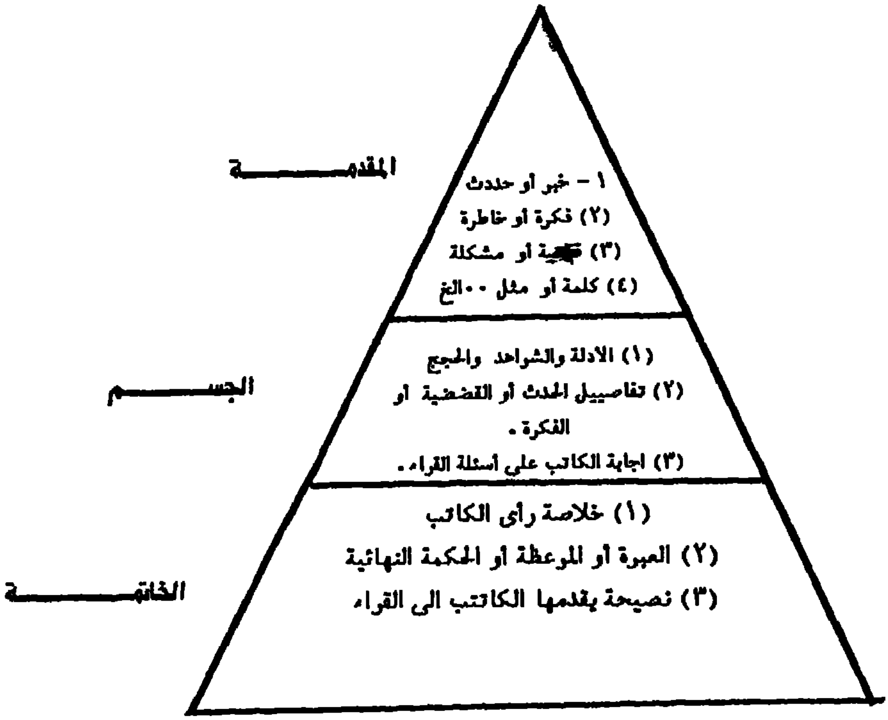
(١) خلاصة رأى الكاتب فى الحدث أو القضية ، أو المشكلة التى يعرضها .

(٢) العبرة أو الموعظة ، أو الحكمة التى يخرج بها الكاتب .

(٣) النصيحة التى يقدمها الكاتب للقراء ، بعد أن يجيب على سؤال قدمه له القارىء ويوضح الشكل التالى طريقة كتابة العمود الصحفى المبنى على قالب الهرم المعتدل .

---

(١) راجع فى ذلك فن الكتابة الصحفية مرجع سابق ص ١٩٦ - ١٩٩,



شكل رقم (٢) يوضح البناء الفنى للعمود الصحفى المبنى على قالب الهرم المعتدل

نماذج تطبيقية :

وفيما يلى نقدم عددا من النماذج الخاصة بالعمود الصحفى .. ومنها يتضح أنها تتناول مجالات عديدة لاحصر لها وكلها يراعى فى كتابها أو تتكون من مقدمة ... وجسم ... وخاتمة ...

فهذا نموذج يتناول قضية دينية تناولها الكاتب ببراعة فائقة وجاء العمود محكما بدأ فى المقدمة بطرح قضية أو فكرة يريد أن يوجه المسلم اليها ولكن فيها بعض الغرابة التى تشد القارىء إلى ضرورة متابعة العمود حتى آخره.. حيث انتقل الكاتب الى صلب العمود فحشد فيه العديد من الأدلة والبراهين التى تدعم القضية التى تطرحها فى المقدمة ، وتقود الى الوصول الى خاتمة العمود فى يسر وبراعة ثم كانت الخاتمة التى تضمنت النتيجة والخلاصة التى هدف اليها الكاتب ..

وهذا العمود الصحفى كان عنوانه الثابت (كلمات مضيئة) بقلم الدكتور مصطفى عبد الواحد ، وعنوانه المتحرك هو (فان لم تكن قمراً فكن شمساً) . وجاء العمود على النحو التالى .

قال ابو سليمان الداراني يوما لتلميذه " أحمد بن ابى الحوارى : ياأحمد كن كوكبا فان لم تكن كوكبا فكن قمرا فان لم تكن قمرا فكن شمسا " .

فقال له احمد : ياابا سليمان.ان القمر أضوأ من الكوكب والشمس أضوأ من القمر فكيف عكست الترتيب ؟!

قال ابو سليمان : ياأحمد انما أردت كن مثل الكوكب طلع من أول الليل الى الفجر فقم لعبادة ربك اول الليل الى اخره فإن لم تقو على قيام الليل كل ليلة فكن مثل القمر يطلع فى بعض والليالى حتى يصيبة المحاق فقم بعض الليالى فى عبادة ربك فان لم تقو على قيام الليل فكن مثل الشمس تطلع أول النهار الى اخره فان لم تقو على قيام الليل فلا تعص الله بالنهار .

وكان اسلافنا يعتبرون بما يرون من ظواهر الكون ويتخذون منها أمثلة للاقناع والايضاح وقد اراد ابو سسليمان رحمه الله ان يعلم تلميذه درسا فى الطاعة والانقياد بهذه الكواكب والنجوم المسخرة بأمر الله فلا تعصى ولاتتعثر كما قال الحق سبحانه : والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغى لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون " . والمؤمن العابد لربه يطمح الى الانتظام فى عبادته والدءوب فى عبادته فاذا قام لعبادة ربه من أول الليل الى اخره فانه يشبه النجم الساطع الذى يظهر للابصار من بداية الليل ويستمر فى سطوعه حتى يطلع الفجر انه حينئذ نجم ينير لنفسه بعبادته افاق الطريق ويضرب المثل للانسانية فى الطاعة والانقياد والحب لرب العالمين إذ يترك لذيذ المنام لاسهرا فى لذة ولا منادمة لخلان ولا استجابة لنوازع الشيطان بل انتصابا لعبادة الرحمن وتلذذا بمناجاته بأيات القرآن فمن لم يتسطع بلوغ هذه الرتبة فبأمكانه ان ينزل الى ماهو دونها فى الدءوب فيكون كالقمر الذى يطلع فى بعض الليالى فيضىء الافق ويبدد ظلمة الليل لكنه يتضاءل شيئا فشيئا حتى يغيب ثم يطلع فى منازله .

اما اذا لم يستطع بلوغ هذه المرتبة ايضا فحسبه ان يكون كالشمس التى تطلع من أول النهار الى أخره تضئ الدنيا وتزود النبات بالطاقة وتبخر مياه البحر لتنزل بعد ذلك مطرا يحيى الارض بعد موتها .

---

(١) جريدة المدينة المنورة (السعودية) العدد رقم (٨٢٠٦) بتاريخ ٢٩ اكتوبر ١٩٨٩ .

وهكذا فان المؤمن الذى يقصر عن درجة قيام الليل يستطيع ان يعوض ذلك بالطاعة والاستقامة ونفع العباد في نهاره أما اذا فاته خير الليل وخير النهار فلا خير فيه ولادليل على صدق انتمائه الى هذا الدين العظيم .

هل رخصت دماء المسلمين ؟

وهذا نموذج آخر لعمود صحفي بعنوان (هل رخصت دماء المسلمين ؟!) [1] بقلم الصحفي المصرى أحمد أبو زيد بدأه فى المقدمة بطرح قضية اسلامية تاريخية وقارن بينها وبين مايحدث للمسلمين فى الايام الحاضرة ، ودعم صلب العمود بالادله والشواهد المنطقيه التى تدعم رايه .. وتوصل الى الخاتمة التى تضمنت راى الكاتب فى هذا الصدد ..

وفيما يلى نص هذا العمود ....

يقارن المسلم دائماً بين موقف المعتصم بالله من الجارية التى لطمها أحد الملحدين فى عمورية فاستغاثت بالمعتصم قائلة " وامعتصماه " وبينها وبين المعتصم فى ذلك الحين الاف الأميال - لكن الشعور بمسئولية الولاية تربط بين القلوب مهما تباعدت وتلغى الحدود والأميال - فما أن وصل خبرها الى المعتصم حتى جهز جيشاً جراراً قوامه اثنا عشر ألف فارس وذهب الى عمورية ملبياً ومجيباً لاستغاثة هذه الجارية المسلمة وفتح المدينة وخلصها من هذا العدوان وأزال عن المرأة المسلمة هذا اليأس والمهانة .

واليوم يقارن المسلم بين هذا الموقف وبين مايحدث للأقليات المسلمة .. ومنذ سنوات طويلة فى دول الشرق والغرب من تعذيب واضطهاد وتنكيل وحرب شعواء فى الدين والعقيدة على مرأى ومسمع من كافة الشعوب والدول خاصة المسلمين .

لقد سمعنا جميعا ماحدث للمسلمين فى بلغاريا على يد النظام الشيوعى هناك حيث ارغمهم على تغيير اسمائهم الى أسماء غير اسلامية ومنعهم من إقامة شعائرهم الدينية وقام بطردهم من أرضهم وديارهم لا لشيء الا انهم قالوا ربنا الله ، ورأينا وسمعنا ايضا ماحدث لمسلمى اذربيجان حيث القتل والاعتقال والتعذيب ، ومن قبل سمعنا ماحدث للمسلمين فى بلاد أخرى على يد البوذيين والهندوس ..

فالمسلمون فى هذه الدول يعيشون محنة حقيقية دبرها ورسم خيوطها أعداء الاسلام من

---

(١) مجلة الرابطة الاسلامية العدد (٣٠٦) بتاريخ اغسطس ١٩٩٠ ص ٦٤ .

الشيوعيين والصليبيين واليهود . محنة يذهب ضحيتها كل يوم العديد من الأرواح والدماء المسلمة حيث المذابح والمجازر التى تقام للمسلمين المستضعفين فى هذه الدول .

وهذا يجعلنا نتساءل بحزن وأسى : هل رخصت دماء المسلمين الى هذا الحد الذى تقام فيه المذابح الجماعية لهم فيقتلون ويعذبون ويضطهدون دون ان يتحرك أحد لنصرتهم والأخذ بيدهم ورفع الظلم عنهم ؟! .

نعم لقد سمعنا ونسمع جميعا عن أنباء هذه المذابح التى تحدث للمسلمين فى فلسطين ولبنان والهند وسريلانكا والفلبين وغيرها ... فماذا فعلنا لهم؟

ان اليهود والامريكان يغضبون ويسخطون عندما يصاب يهودى أو أمريكى واحد فى أية منطقة من العالم فهل دم اليهودى أو الأمريكى أغلى من دم المسلم ؟ أم اننا وصلنا الى حالة من الوهن وأصبحنا كغثاء السيل ؟

صفارة وماء وبطارية

وهذا نموذج آخر لعمود صحفى عنوانه الثابت باسم (مجرد رأى)(1) وعنوانه المتحرك (صفارة وماء وبطارية) بقلم الصحفى صلاح منتصر . وقد تناول فيه الحديث عن شيء طريف يتعلق باقتراح قدمه خبير زلازل فى شكل نصيحة للناس وقد كتب صلاح منتصر هذا العمود بمناسبة حدوث الزلزال الكبير الذى ضرب مصر فى اكتوبر عام ١٩٩٢ وفيما يلى نص هذا العمود الصحفى ...

صفارة ووعاء ماء لاينكسر وبطارية : هذه هى نصيحة خبير زلازل لما يمكن ان يفعله المواطنون تحوطا عند وقوع الزلزال وقد قال هذه النصيحة فى حوار اذاعى اجراه معه مذيع مشهور !

اما الصفارة فلكى " يصفر " بها وهو تحت الانقاض ويساعد الباحثين فى الوصول اليه ، وأما وعاء الماء الذى لاينكسر فكى يستخدمه للشرب اثناد الحصار تحت الانقاض ، وأما البطارية فللإنارة طبعا ..!

هل هذا معقول ؟!

تصور لو ان كل واحد جلس فى بيته وهو يلف حول رقبته سلسلة بها صفارة وربط حزاما حول وسطه يتدلى منه زمزمية وبطارية ؟! مثل هذه النصائح تثير المواطنين اكثر مما تريحهم و

(الأهرام العدد (٣٨٦٩٠) بتاريخ ١٠ نوفمبر ١٩٩٢ ص ٩ .

هى فذكرنى بالعرض الممل الذى تقوم به مضيفة الطائرة وتشرح فيه للركاب طريقه ارتداء القميص الأصفر الموضوع تحت الكرسى واحاطته بالعنق ، وجذب طرفى حبلين صغيرين فى هذا القميص فيمتلىء بالهواء فاذا حدث ولم يعمل اتوماتيكيا قام الراكب بالنفخ وملأه بالهواء .. وكل هذا اذا حدث وسقطت الطائرة - لاقدر الله - وجاء السقوط فوق احد البحار أو المحيطات ، وعليك ان تتخيل برود اعصاب الراكب وهو يبحث تحت كرسيه - والطائرة تهوى الى الارض - عن طوق النجاة الأصفر لينفخ فيه ويملأه بالهواء لكى يطفو فوق سطح الماء !

قالت لى زوجة : انها اعدت مخبأ تحت المائدة للجوء اليه لحظة الزلزال ، ولكن المشكلة ان هناك مواطنين كثيرين اهتزت اعصابهم باكثر مما تستحق واصبحت اى هزة صغيرة يتصورونها زلزالا خصوصا بعد أن اصبحت الزلازل خبرا يوميا يتكرر حدوثه فى اماكن مختلفة من العالم ، وأصبحنا نرى من خلال التليفزيون اخبار هذه الزلازل التى لم نكن نسمع عنها من قبل .

والحقيقة ان هذه الزلازل سواء التى وقعت أو التى ستقع ليست جديدة على العالم ، ولم تقع بعد ماحدث ى مصر وانما اهتمامنا بالزلازل هو الذى زاد وهو الذى جعلنا نهتم بها ، ولولا ما حدث لنا ما اهتممنا بما يحدث من زلازل فى اى مكان .. والحقيقة العلمية تقول انه سنويا يحدث مليون زلزال ولكن معظمها يحدث تحت المحيطات والبحار الواسعة ولهذا لايدرى بها أحد ، اما القليل فهو الذى يحدث تحت اليابسة والذى بدأنا نعانى منه ويطلبون منا أن نستعد له بصفارة ووعاء ماء لا ينكسر وبطارية !!

الاسرار الكبرى

وهذا عمود صحفى عنوانه الثابت (آخر عمود)(1) وعنوانه المتحرك (الأسرار الكبرى) تناول فيه كاتبه ابراهيم سعده رئيس تحرير أخبار اليوم قضية هواة التردد على السفارات الأجنبية لحضور حفلاتها ، وطالبهم بضرورة أعادة النظر فى هذه العادة التى يمكن أن يترتب عليها مالا يحمد عقباه بالنسبة لهم .... وفيما يلى نص هذا العمود الصحفى ...

هواة التردد على السفارات الأجنبية الذين يسعدهم حضور حفلاتها وتناول مشروع وتذوق أكلاتها ، لابد أن يعيدوا النظر فى هذه العادة خاصة إذا عرفوا ماذا يمكن أن يحدث لهم من وراء توثيق صلة التعارف والصداقة مع الدبلوماسيين الأجانب الذين يفترض فيهم انهم من صفوة البشر

---

(1) أخبار اليوم العدد (٢٧٣٨) بتاريخ ٢٦ إبريل ١٩٩٧ ص ٢ .

أدبا ، وذوقا ، وثقافة ، ودبلوماسية !

في الأسبوع الماضي تم في الولايات المتحدة الكشف عن أسرار وملفات وزارة الخارجية التي يرجع تاريخها الى ٢٥ سنة ماضية ،قبل هذا الكشف كانت هذه الملفات تعتبر " بالغة السرية " ويحظر معرفتها أو تداولها .

من بين هذه الملفات ، واحد يتعلق بالتقارير التي كانت السفارة الامريكية في باريس ترسلها بصفة دورية الى وزارة الخارجية في واشنطون وتتضمن " حصيلة المعلومات " التي حصل عليها الدبلوماسيون وعلى رأسهم كبيرهم : السفير الأمريكي !

مجلة " نوفيل أوبزفاتور " عكفت على قراءة هذه الأوراق " وقامت بنشر العديد منها وبالذات تلك التي تتعلق بآراء السفارة الأمريكية في العديد من رموز فرنسا وحكام وقادة فرنسا السابقين منهم والحاليين . وتعالوا بنا نقرأ بعض ماكتبه الدبلوماسيون الأمريكيون عن الفرنسيين :

* في ١٣ ديسمبر ١٩٥٤ وبعد أن تناول السفير الأمريكي - دوجلاس ديلون - طعام الغداء مع السياسي الاشتراكي الكبير فرانسوا ميتران - وكان وقتها يشغل منصب وزير الداخلية في حكومة بيير منديس فرانس - عاد السفير الى مكتبة ليكتب رسالة سرية إلى وزارة الخارجية الأمريكية في واشنطون تتضمن انطباعاته عن هذا السياسي الفرنسي الذي أصبح - فيما بعد - رئيسا لجمهورية فرنسا لمدتين متواصلتين . قال السفير الأمريكي عن ميتران : إنه فوجيء به يظهر مايبطن ولا أعتقد أنه يؤمن بأى فلسفة اشتراكية ، ولايميل الى أى فكر سياسي معين ! إن كل مايؤمن به فرانسوا ميتران ، وكل مايخطط له هو كيف يحقق طموحاته السياسية وأنه على استعداد لعمل أى شيء مقابل هذا الهدف ولم يكتف السفير الأمريكي بذلك وإنما اختتم تقريره عن ميتران فوصفه بأنه شديد الخطورة ، وطالما بقي في منصبه وزيرا لداخلية فرنسا ، فانني - أى السفير الأمريكي - لن أكون مطمئنا ومرتاحا وما قاله السفير الأمريكي عن ميتران قال أكثر منه عن الجنرال ديجول . فالمعروف أن الولايات المتحدة لم تكن تحب هذا " الجنرال " الذى أراد أن يعيد الزعامة الفرنسية إلى سابق مجدها لتصبح فرنسا المنافسة الأولى لأمريكا !

جميع سفراء الولايات المتحدة في فرنسا - الواحد بعد الآخر - لم يتركوا مناسبة - في تقاريرهم السرية عن الجنرال ديجول - إلا انتهزوها لإبداء أملهم والإعراب عن أحر أمانيهم في ابتعاد ديجول عن الحكم باعتباره عدو أمريكا الأول في أوربا !

هذه الأمنية نراها واضحة في التقرير الذى أرسله السفير الأمريكي دوجلاس ديلون - في ٢١ ابريل

١٩٥٥ - عن استقبال ديجول له في منزله في مسقط رأسه ولم يستطع السفير أن يكتم عواطفه فعبر عن سعادته الفائقة لمجرد أن وجد ديجول في " أسوأ حالته ، وبدا عجوزا . وضعيفا ويائسا " .

* وفي العام التالي بعث السفير الأمريكي رسالة سرية أخرى عن انطباعاته في اعقاب الزيارة التي قام بها لديجول جاء فيها " بعد أن استمعت لحديث ديجول الذي استغرق عشرين دقيقة ، فهمت أن الجنرال لايزال غير مهتم بما يجري في الحياة السياسية داخل بلاده ! " .

وخابت احلام السفير الأمريكي بعد شهور قليلة عندما فوجيء بأن الجنرال ديجول بدأ يهتم بالسياسة ، ويبحث عن دور في حكم بلاده . ففي لقاء جديد معه فوجيء السفير بديجول يهاجم الولايات المتحدة ويتهمها بأنها تبذل كل مافي وسعها من أجل الإبقاء على النظام الحاكم الحالي في فرنسا ، لأن الإدارة الأمريكية تريد - كما قال ديجول - أن تتعامل مع حكومة فرنسية ضعيفة ، بدلا من التعامل مع نظام حاكم قوي - يقصد نفسه - وأضاف ديجول محذرا : على العموم فإن استمرار أمريكا في مساندة الجمهورية الحاكمة الحالية في فرنسا لن يحقق لها النجاح في المستقبل القريب .

وبالفعل تحققت تحذيرات ديجول ، وسقطت الجمهورية الفرنسية الرابعة ، وهبت فرنسا كلها تنادي بالجنرال الذي سارع وأعلن في ١٥ مايو ١٩٥٨ قبوله الدعوة ، والموافقة على حكم البلاد ، مما أحزن السفير الأمريكي وكتب يعزي وزارة الخارجية الأمريكية ويعزي الإدارة والشعب الأمريكيين بقرب وصول عدو أمريكا الى مقعد الحكم في فرنسا !

* اما تقرير السفير الأمريكي في باريس - بوهلين - عن جاك شيراك الذي كان يشغل في سنه ١٩٦٧ منصب وزير دولة لشئون العمل فكان طريفا ، ومن المؤكد أن نشره اليوم لن يعجب الكثير من الفرنسيين فمن رأي السفير الأمريكي - وقتذاك - أن هذا الشاب - شيراك - يتميز بالذكاء وبالديناميكية ، وبالصراحة ويعتبر من اشد المؤيدين للولايات المتحدة ، ليس هذا فقط بل إنه - بهيئته وأفكاره وتصوراته السياسية - أقرب من الأمريكيين منه إلى الفرنسيين أو الاوربيين إنه - أي شيراك

الذي أصبح الآن رئيسا لفرنسا - يجب ان ننظر إليه نظرتنا إلى أي مواطن أمريكي ! ولم ينس السفير الامريكي أن يذكر في نهاية تقريره أنه ليس صحيحا أن شيراك يسير على خطى وهدى الجنرال ديجول بدليل أن شيراك لم يذكر اسم ديجول مرة واحدة خلال اللقاء الطويل معه !

* وإعجاب الامريكيين بشيراك لم يتوقف ، ففي سنه ١٩٦٨ أرسلت السفارة الأمريكية تقريرا سريا إلى دين رسك - وزير خارجية أمريكا حينذاك - بقائمة تتضمن أهم المرشحين لقيادة فرنسا مستقبلا

، بعد ديجول ، وجاء اسم شيراك على رأسها. حقيقة أن هذا الترشيح لم يتحقق إلا بعد أكثر من عشرين سنة ، ولكن حقيقة أيضا أن شيراك أصبح - كما كان السفير الأمريكى الأسبق يتمنى - رئيسا لفرنسا !

* وهناك قصص أخرى كثيرة أرسلها سفراء أمريكا فى فرنسا عن العديد من السياسيين الفرنسيين الذين تشينهم هذه القصص وتهز صورتهم كثيرا امام الرأى العام المخدوع فى بعضهم ، فمثلا قال أحد سفراء أمريكا : إن الزعيم الفرنسى السابق - جى موليه - طلب من السفارة الأمريكية مساعدة مالية قدرها ٨٠٠ ألف فرنك ، وعلق السفير بقوله : انه من المعتاد أن تطلب بعض الأحزاب السياسية الفرنسية مساعدات مالية من السفارة ! وكشفت التقارير السرية أن شارل هيرنو - وزير الدفاع الفرنسى الأسبق - لم يكن عميلا للاتحاد السوفيتى فقط وإنما كان عميلا - أيضا - للولايات المتحدة الأمريكية ، كما أكد اكثر من سفير لأمريكا فى باريس !

ترى .. ماذا كتب السفراء والدبلوماسيون الأمريكيون الذين عملوا فى القاهرة - قبل ٢٥ سنة عن مصر وقادة مصر ، والمصريين الذين التقوا بأعضاء السفارة الأمريكية فى المناسبات والاعياد ؟!

* * * * * * *

ونكتفى بهذا القدر من نماذج الأعمدة الصحفية .. وننتقل بعد ذلك الى الحديث عن نوع آخر من أنواع المقال الصحفى وهو قريب جداً من العمود الصحفى .. وهذا النوع يتعلق باليوميات الصحفية .. وهو موضوع المبحث التالى ..

* * * * *

المبحث الثالث
اليوميات الصحفية (١)

اليوميات الصحفية : هى فى حقيقة الأمر مجموعة من الأعمدة الصحفية ، يكتبها كاتب واحد ، مرة واحدة فى الأسبوع ، فالموضوعات التى تضمها اليوميات اذا فصلت كل واحدة منها على حدة لما اختلفت كل منها عن العمود الصحفى فى شىء ، سواء فى مضمونها أو لغتها ، أو بنائها الفنى القائم على الهرم المعتدل .

فموضوعات اليوميات الصحفية يمكن أن تستوعب السياسة ، والاقتصاد ، والاجتماع وقضايا الفكر والثقافة والفن والأدب ، وكذلك مشكلات الناس وهو مهم وغير ذلك .. ولغة اليوميات تجمع - شأنها شأن العمود الصحفى - بين بساطة اللغة الصحفية وجمال اللغة الأدبية ، كما تقوم على التجربة الذاتية للكاتب .

وقد انتشرت اليوميات الصحفية فى الصحافة العالمية والعربية فى النصف الأول من القرن العشرين ، وخاصة فى أوقات ازدهار صحافة الرأى .. ولكن كثيراً من الصحف بدأت تخلى صفحاتها من هذا الفن الصحفى مع بداية الربع قرن الأخير ، حيث أصبح من النادر أن تفرد صحيفة مساحة من صفحاتها لهذا الفن ، وبعد أن كان فن اليوميات باباً رئيساً من أبواب الصحف والمجلات العربية - وغالباً ماتفسح له صفحتها الأخيرة - أصبح من النادر أن تجد جريدة أو مجلة عربية مازالت تحتفظ بهذا اللون من الألوان الصحفية . وعلى سبيل المثال فان الجريدة اليومية الوحيدة فى مصر التى ماتزال تحتفظ بنشر اليوميات هى جريدة الأخبار القاهرية ، والتى ماتزال تفسح له مساحة كبيرة من صفحتها الأخيرة .ويمكن أن ترجع ظاهرة انحسار فن اليوميات الى عاملين :

أولهما : أن فن العمود الصحفى ، أصبح يؤدى جميع وظائف اليوميات ، بالاضافة الى تميزه بصغر المساحة التى يشغلها من الصحيفة .

وثانيهما : تراجع صحافة الرأى وغلبه صحافة الخبر على الصحافة المعاصرة .

وتوجد نماذج لليوميات الصحفية فى جميع أعداد جريدة الأخبار المصرية ، وتنشر فى صفحتها الأخيرة لمن يريد الرجوع اليها ... ثم ننتقل الى تناول المقال التحليلى فى المبحث التالى --

---

(١) راجع فى ذلك فن الكتابة الصحفية / مرجع سابق ص ٢٠٩ .

المبحث الرابع

المقال التحليلي (١)

قام المقال التحليلي بدور متميز في تاريخ الصحافة العربية ... بل ان تاريخ الصحافة هو في واقع الأمر تاريخ كتاب المقال التحليلي منذ رفاعة رافع الطهطاوي ، وأحمد فارس الشدياق في النصف الأول من القرن التاسع عشر وحتى الآن ... وطوال تلك الفترة برزت عشرات الأسماء اللامعة في كتابة المقال التحليلي في الصحافة العربية ، وفي مقدمتهم : الشيخ محمد عبده ، وعبد الله النديم ، وأديب اسحق ، ورشيد رضا ، ومصطفى كامل والشيخ علي يوسف ، وأحمد لطفي السيد ، وأمين الرافعي ، وعبد القادر حمزه ، والدكتور محمد حسين هيكل ، والدكتور طه حسين ، وعباس محمود العقاد ، ومحمد حسنين هيكل ، وأحمد بهاء الدين ، وفهمي هويدي ، وابراهيم سعده . وغيرهم ..

مفهوم المقال التحليلي :

والمقال التحليلي من أكثر فنون المقال الصحفي تأثيراً ... ويقوم على التحليل العميق للأحداث ، والقضايا ، والظواهر وغيرها من الشئون التي تشغل الرأي العام ... ويتناول الوقائع بالتفصيل ، ويربط الكاتب بينها وبين غيرها من الوقائع التي تتصل ببعضها البعض من قريب أو بعيد ، ثم يستنبط منها مايراه من آراء واتجاهات ....

ولايقتصر المقال التحليلي فقط على تفسير أحداث الماضي ، أو شرح الوقائع الحاضرة وانما يربط الكاتب بين الاثنين ليستنتج أحداث المستقبل ... وحيث أن المقال التحليلي يقوم في أساسه على التحليل العميق والمدروس للأحداث ، فهو غالباً مايكون أسبوعيا ، حتى وان كان ينشر في جريدة يومية ...

وليس هناك حجم معين للمقال التحليلي ، ولكنه قد يشغل مساحة صفحة كاملة من الجريدة ، أو عدة صفحات من المجلة .

وهناك فارق جوهري بين المقال التحليلي وبين المقال الافتتاحي - غير الفارق في الحجم والمساحة والمكان الثابت - وهو أن المقال التحليلي قد لايعبر عن سياسة الصحيفة ، وان

---

(١) راجع في ذلك المرجع السابق ص ٢٢٩ - ٢٣٢ .

كان يشترط الا يختلف معها ... فهناك مساحة كبيرة من الحرية تمنح لكاتب المقال التحليلى تسمح له بالتميز عن رأى الصحيفة .

وظائف المقال التحليلى :

للمقال التحليلى عدة وظائف هامة ، فى مقدمتها الوظائف الثلاثة التالية :

١ - عرض الأحداث الجارية ، وتحليلها ، والكشف عن أبعادها ، ودلالاتها .

٢ - مناقشة وطرح القضايا والظواهر التى تشغل الرأى العام المحلى أو الدولى ، ومساعدة القراء على فهمها ومتابعتها .

٣ - التعبير عن السياسات ، والاتجاهات السائدة فى المجتمع ، وطرح وجهات نظر القوى السياسية والاجتماعية فى البلد الذى تصدر به الصحفية .

موضوعات المقال التحليلى :

يتسع المجال أمام كتاب المقال التحليلى - شأنهم شأن كتاب العمود الصحفى - للخوض فى مختلف مجالات النشاط الانسانى من سياسة ، واقتصاد ، واجتماع ، وثقافة ، وفكر .... الخ ولكن ينفرد النشاط السياسى بالاستحواذ على غالبية مايكتب من مقالات تحليلية ، بينما تغلب المسائل الاجتماعية على مايكتب فى العمود الصحفى .

كذلك يغلب على المقال الافتتاحى طابع (التعليق السريع) على الأحداث الجارية ، فى حين يغلب على المقال التحليلى طابع (التعليق العميق) على نفس الأحداث . لذلك كان فى امكان الكاتب أن يكتب المقال الافتتاحى كل يوم ، فى حين لايستطيع غالباً أن يكتب المقال التحليلى إلا كل اسبوع .

كتابة المقال التحليلي:

يكتب المقال التحليلي - شأنه فى ذلك شأن جميع أنواع المقال الصحفى - على هيئة قالب الهرم المعتدل .. اى يتكون من : مقدمة ، وصلب ، وخاتمة ... ولكن المقال التحليلى يتميز عن كل من المقال الافتتاحى ، والعمود الصحفى - كما سبق ذكره - بكبر حجم مساحته فى الصحيفة . مما يسمح لكاتبه بأن يحشد فى جسم المقال أكبر قدر من التفاصيل ، والحجج المنطقية ، والأدلة ، والشواهد التى تشرح موضوع المقال وتؤيد رأى الكاتب ، هذا بالاضافة الى حشد قدر كبير من المعلومات الخلفية التى تتصل بموضوع المقال .

(أ) **المقدمة** : يمكن أن تحتوى على العناصر التالية :

(١) ابراز حدث من الأحداث الهامة الجارية .

(٢) طرح قضية تشغل الرأى العام وتمس مصالح الجمهور.

(٣) تقديم اقتراح جديد يثير اهتمام القراء .

(ب) **الصلب** : يتضمن العناصر التالية :

(١) المعلومات الخلفية للموضوع الذى يناقشه المقال .

(٢) حشد الأدلة ، والشواهد ، والحجج التى تؤكد وجهة نظر الكاتب

(٣) كشف أبعاد الموضوع ودلالاته المختلفة .

(٤) عرض الآراء المؤيدة أو المعارضة لوجهة نظر كاتب المقال والرد عليها .

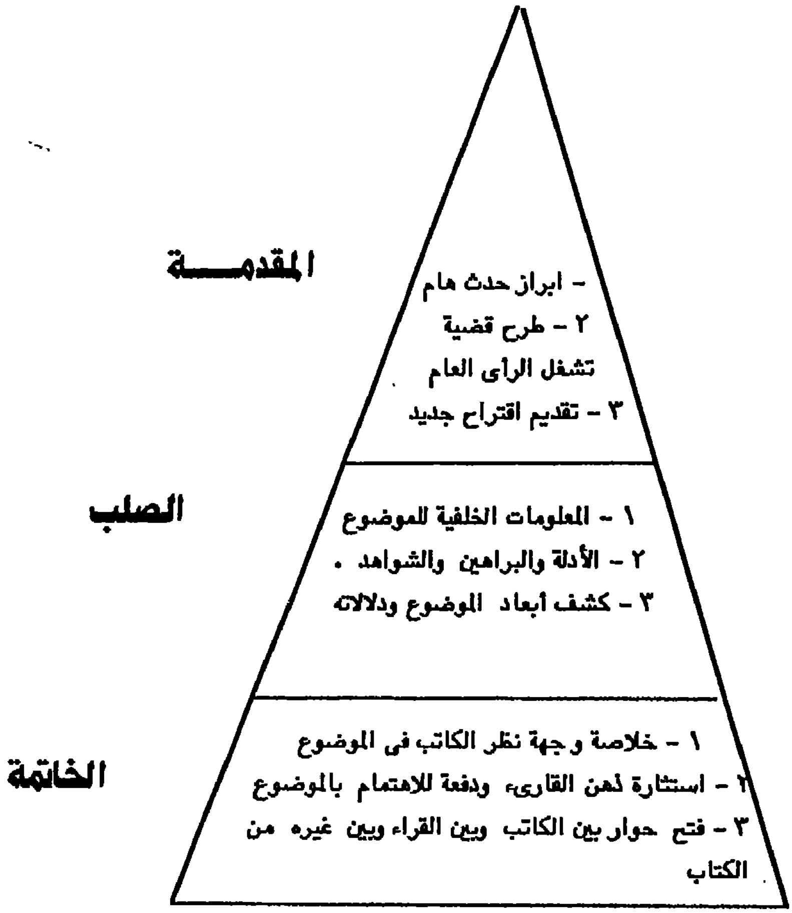
(ج) **الخاتمة** : تحتوى عى العناصر التالية :

(١) خلاصة وجهة نظر الكاتب فى الموضوع .

(٢) استثارة ذهن القارىء ، ودفعه للاهتمام بالقضية التى يطرحها الكاتب .

(٣) فتح حوار بين الكاتب والقراء من ناحية ، وبينه وبين غيره من الكتاب من ناحية ثانية حول موضوع المقال .

ويوضح الشكل التالى طريقة كتابة المقال التحليلى المبنى على قالب الهرم المعتدل .



شكل رقم (٣) يوضح البناء الفنى للمقال التحليلى المبنى على قالب الهرم المعتدل .

فضيحة العلمانية فى تركيا :

وفيما يلى نقدم نموذجاً تطبيقيا لمقال تحليلى ، بقلم الكاتب الصحفى (فهمى هويدى) بجريدة الاهرام تحت عنوان (فضيحة العلمانية فى تركيا ،[١] .. وقد تناول الكاتب تلك القضية بالتحليل التفصيلى العميق ، فى محاولة منه لمساعدة القراء على فهم حقيقه تلك الأوضاع المقلوبة ، القائمة

(١) الأهرام العدد (٤٠٢٧٢) بتاريخ ١١ مارس ١٩٩٧ ص ١١

فى دولة تزيد نسبه المسلمين فيها على ٩٥ فى المائه من سكانها . وقد ربط الكاتب فى مقاله التحليلى بين الوقائع القديمة والوقائع الحاضرة التى تتصل بتلك القضية من قريب أو بعيد الأهرام ، وأن كانت لاتختلف معها ، وذلك انطلاقا من أن كاتب المقال التحليلى" يعطى دائما مساحة كبيرة من الحرية ، مما يسمح له بالتميز عن رأى الصحيفة التى يكتب فيها وقد را عى التقيد بالقالب الفنى لكتابة المقال التحليلى القائم على الهرم المعتدل ، والذى يتكون من مقدمة : أبرز فيها مشكلة قائمة فى تركيا وتهم الرأى العام التركى بصفة خاصة والرأى العام الاسلامى بصفة عامة .. ثم قدم فى صلب المقال المعلومات الخلفية للموضوع الذى يناقشة فى مقاله ، وحشد قدراً كبيراً من الأدلة والشواهد والبراهين والحجج المنطقية التى تؤكد وجهة نظره ، وعرض لوجهات النظر المعارضة وناقشها وكشف زيفها بالحجة والمنطق ، وفضح تهافتها وبطلانها .. وفى آخر المقال جاءت الخاتمة متضمنة وجهة نظر الكاتب فى الموضوع الذى عالجه ، واستثار ذهن القارىء ، ودفعه للاهتمام بالقضية التى طرحها ..

وفيما يلى نص المقال التحليلى بقلم الكاتب الصحفى فهمى هويدى ..

ريما كان مبكرا الحديث الأن عن أهم الفضائح السياسية فى عام ٩٧ ، لكنى أجازف بترشيح المشهد العلمانى فى تركيا للفوز بذلك اللقب ، مطمئنا الى انه يملك رصيدا من المقومات والنقاط تمكنه من " اكتساح " أى منافس أخر يظهر الى نهاية العام ، الا اذ ا شاء ربك أن يرينا ماهو افدح واتعس !

فالاحزاب السياسية اقامت الدنيا ولم تقعدها منذ أربعة أسابيع ، بدعوى ان العلمانية مهددة ، وأن مواريثها وتقاليدها اصبحت فى خطر داهم . أما ابواقها الاعلامية من صحف واذاعة و تليفزيون فقد ملأت الدنيا صياحا ، وذرفت انهارا من الدموع وهى تتباكى على العلمانية والديمقراطية ، الأمر الذى استنفر قيادة الجيش ومجلس الأمن القومى ، وسط شائعات كثيرة ترددت حول احتمالات وقوع انقلاب عسكرى من جانب الجيش الذى فعلها ثلاث مرات من قبل ، انقلاب يرد للعلمانية اعتبارها ويصوب " الانحراف " البادى من مسارها . غير أن الانقلاب لم يقع ، حتى الأن ، وتتابعت البيانات والتصريحات السياسية والعسكرية محذرة من خطورة

التهديدات الناشئة عن تصاعد " الاصولية " فى تركيا ، وتنامى مظاهر " التشدد " الدينى ، فى الوقت ذاته خرجت مظاهرات لبعض النسوة حاملة صور كمال اتاتورك ، مؤسس الدولة العلمانية التركية ومنددة بالاصولية والرجعية ، وداعية الى انقاذ العلمانية من المخاطر التى أصبحت تحيق بها .

اللقطة المثيرة فى المشهد تمثلت فى اجتماع مجلس الأمن القومى التركى الذى يضم رئيس الجمهورية ، ورئيس الوزراء ، والوزراء المسئولين عن الأمن والدفاع ، غير قادة الجيش والمخابرات ، هذا الحشد الكبير والمهيب اجتمع لمدة تسع ساعات متصله ، لأول مرة فى تاريخه بعدها أعلن أن الجيش قدم عشرين مطلبا الى رئيس الوزراء نجم الدين اربكان ، زعيم حزب الرفاه الاسلامى ، انطلاقا من موقفه التقليدى كحارس للعلمانية فى تركيا وحسبما ذكرت صحيفة " الحياة " اللندنية فى ٣ / ٣ فان ابرز مطالب الجيش تمثلت فيما يلى : عدم السماح بالزى الاسلامى الذى اعتبر متعارضا مع المبادىء العلمانية . تحويل المدارس الدينية المتخصصة فى تخريج أئمة المساجد الى مدارس مهنية . اغلاق مدارس تحفيظ القرآن الكريم الأهلية ، منع اقامة المسجد المقترح فى حى " تقسيم " الذى يعد احد معاقل العلمانية فى مدينة اسطنبول !

هذه الطلبات سربت الى الصحافة التركية من جانب الجيش ، ولم يذكرها البيان الصادر عن مجلس الأمن القومى ، الذى اكتفى باعلان اشارات تحذيرية لنجم الدين اربكان ، كان منها مثلا : ان المجلس درس كل الملفات الخاصة بالحركات الرجعية التى تستهدف النظام الديمقراطى العلمانى ، واسس النظام الاجتماعى القائم على الأفكار الكمالية والوطنية التى أقرها الدستور ، مدركا ان تلك الحركات الرجعية تحاول تهيئة الجو لاقامة نظام خارج افكار العصر " .

قوبل بيان مجلس الأمن القومى بارتياح كبير فى الأوساط العلمانية كما ذكرت " الشرق الأوسط ، فى اليوم التالى اعتبرت تلك الاوساط أن الديمقراطية هى التى ربحت فى هذا الاجتماع " . أضاف مراسل الصحيفة فى اسطنبول ان المراقبين يتوقعون تراجع اربكان عن مطالباته السابقة حول الحجاب وجلود الاضاحى ومسجد " تقسيم " والسفر برا الى المملكة السعودية .

وكانت هذه المطالبات بالغة التواضع ، هى التى فجرت المشكلة فى تركيا ، واثارت قلق الاحزاب العلمانية والجيش واعتبرت اصولية وتشددا وتطرفا ، وخطرا يهدد العلمانية والديمقراطية فى البلاد !

الحجاب ممنوع والبغاء مشروع ! ليست هذه كذبة ولا مزحة ، ولكنه كلام جاد

يردده سياسيون كبار وجنرالات صارمون منتفخو الأوداج ، ظهروا على شاشات التليفزيون ليؤكدوا ان عرش العلمانية سوف يسقط من عليائه وأن شعلة الديمقراطية ستنطفيء وان شمس الحرية ستغيب ، وان المشروع الكمالى القابض على السلطة منذ ٧٥ عاما سينهار وتطوى صفحته الى الأبد ، اذا ماحلت تلك " الكوارث " بالمجتمع التركى ، وفى مقدمتها السماح للمسلمات بارتداء الحجاب فى دواوين الحكومة !

وكانت هذه القضية بالذات اكثر ماازعج النخبة العلمانية التركية ، التى لايمل رموزها من الحديث عن الحرية والديمقراطية ، وباسمهما تم تقنين مهنة البغاء فى تركيا . وهى المهنة التى لاتستطيع حكومة اربكان فتح ملفها أو الحديث عن مشروعيتها فى بلد تزيد نسبة المسلمين فيه على ٩٥ فى المائة ! . ولكن حين فكر بعض نواب حزب " الرفاه " الاسلامى فى التقدم بمشروع قانون يرفع الحظر المفروض على ارتداء الحجاب فى مؤسسات الدولة ، قامت القيامة وثار العلمانيون ، واستنفر الجميع من عسكريين ومدنيين حتى جرى ماجرى ، نفس الشيء بالنسبة لمسجد حى تقسيم ، حيث لم يحتمل العلمانيون ان يقام مسجد فى أحد ميادين ذلك الحى الكبير ، الذى يخلو من المساجد بينما يعد من أهم مناطق مدينة اسطنبول ، واعتبروا ذلك " تطرفا " ينبغى أن يقاوم ، وان يعرض أمره على مجلس الأمن القومى لاتخاذ مايراه مناسبا لدرء خطره !

حكاية جلود الإضاحى خلاصتها ان الخطوط الجوية التركية المملوكة للدولة أعطيت حق احتكار هذه الجلود وجمعها من الناس الذين تصر اغلبيتهم الساحقة على تقديم الاضحيات فى كل عام ، ولان تعداد تركيا ستون مليونا ، فلك أن تتصور حجم الثروة التى تمثلها جلود اضاحى مسلميها ، حين تجمع من الناس ثم تستثمر على نحو أوآخر وحين فكرت حكومة اربكان فى كسر ذلك الاحتكار ، والسماح للجمعيات الخيرية الاهلية بتلقى تلك الجلود من الناس والاستفادة منها ، اعتبرت هذه " جريمة " فجرت غضب العلمانيين الذين رأوا فى تلك الخطوة محاولة من حكومة حزب الرفاه لتقوية الجمعيات الخيرية الاسلامية (لا تنس ان الاحزاب العلمانية ترفع شعار الدفاع عن المجتمع المدنى الذى تعد تلك الجمعيات من أهم مقوماته فى تركيا) .

أما مسألة استخدام الطريق البرى للسفر الى السعودية ، الذى حظرته السلطات التركية بحجة انه ليس أمنا لمروره فى مناطق التمرد الكردى أو بسبب توتر العلاقات مع سوريا ، فهناك من يقول ان الدافع الحقيقى للحظر هو ان النخبة العلمانية لاتريد تيسير الحج والعمرة

على المسلمين الأتراك الامر الذى يؤدى فى نظرهم - الى توسيع نطاق الرجعية ، وزيادة مؤشرات التطرف الأصولية .

لقد رفعت النخبة العلمانية التركية شعار " الاستئصال هو الحل " وكانت المطالب العشرين التى قدمها الجيش تطبيقا أميناً لذلك الشعار ، ولذا فانها قوبلت فى اوساط تلك النخبة بمختلف مشاعر الحفاوة والانشراح ؟ وهذه هى الفضيحة الحقيقية ! مابرح العلمانيون يدعون إلى عدم تدخل الدين فى السياسة ، ولكنهم يقدمون نموذجا فاحشا لتدخل السياسة فى الدين ، ويعلنون أنهم يدافعون عن الديمقراطية والحرية ، لكنهم يمارسون قهرا لاحدود له للمسلمين ، ويرفضون التسامح مع ابسط شعائرهم . حتى غطاء الرأس يمنعونه على العاملات فى مؤسسات الدولة فيصادرون الحد الأدنى من حقوقهن فى بلد اغلبيته الساحقة من المسلمين . ويهللون لليبرالية والتعددية ، بينما يفرضون على الأغلبية المسلمة نموذجهم الخاص التغريبى والمعادى للدين متمسكين بديكتاتورية الاقلية بل لا يتورعون عند الضرورة عن التلويح بالاحكام العرفية وانقلاب الجيش لتحقيق مرادهم - ويوهمون الجميع بأن تعدديتهم احتملت حزب الرفاه الاسلامى بينما يصرون على ان يصبح الرفاه علمانيا ، ويتبنى مطالبهم فى حظر الحجاب ومنع اقامة مسجد " تقسيم " وتصفية معاهد الائمة والمدارس القرآنية .

طالبان على الطريقة العلمانية : هذه التجليات كلها ليست جديدة ، ولاهى مفاجئة ، فسجل العلمانية التركية حافل بالعداء للاسلام والمسلمين ، فمنذ سطر كمال أتاتورك أولى صفحاته بعد توليه السلطة فى عشرينات القرن الحالى واتخذ سلسلة من القرارات التى استهدفت محو الاسلام فى مقر الخلافة الاسلامية ، حتى اغلق العديد من المساجد وأوقف الحج وشنق العلماء واهينو ، والغى الحرف العربى ، واجبر المسلمين على ارتداء القبعات .... الخ .

وحينما تجرأ رئيس الوزراء الاسبق عدنان مندريس فى الخمسينات ، وسمح باعادة فتح المدارس الدينية ، ويرفع الاذان باللغة العربية بدلا من التركية ، انتفض الجيش وقام بانقلابه الذى ادى الى محاكمة الرجل وأعدامه . مع اثنين من الوزراء !

طوال التجربة العلمانية ظل التدين موصوما بمختلف التهم التى ترددت خلال العقود الأخيرة ، من الرجعية ، والسلفية ، الى التطرف ، والأصولية والارهاب ، حتى فشلت فى العام الماضى محاولات اعطاء الموظفين المسلمين الحق فى اداء صلاة الجمعة بالمساجد ، وفى بعض المواقع اعتبر الانتظام فى الصلاة تهمة تشكك فى جدارة الشخص بتولى وظيفته ، وكان ارتداء زوجتة للحجاب دليلا على تطرفه ، يبرر احالته الى الاستيداع ! وحين فاز حزب الرفاه بالاغلبية النسبية فى عام ٩٥ م ، فان النخبة العلمانية اصيبت بالفزع والهلع ، رغم أن ذلك كان خيار الجماهير فى انتخابات ديمقراطية نزيهة ، ورغم ان حزب الرفاه سعى لتشكيل الإئتلاف الوزارى قابلا بالمشاركة مع الأخر العلمانى ، الا ان المشكلة ان النخبة العلمانية كانت ومازالت رافضة الاعتراف بالأخر ذى الاتجاه الاسلامى . والائتلاف الهش أو زواج المصلحة الذى تم مع

حزب الطريق المستقيم ، تم على كراهة ، وهو معرض للانهيار فى أى لحظة .

ان شئت الدقة فقل ان العلمانية فى تركيا " دين " يرفض اى منافسة ، ليس هذا فحسب وانما هى ايضا تعد العقبة الاكبر التى تحول دون اقامة ديمقراطية حقيقية فى البلاد . تقوم على التسامح والاعتراف بالأخر واحترام ارادة الجماهير وسجل انتهاكاتها المتواصلة لحقوق الاغلبية المسلمة شاهد على ذلك .

ان التجربة التركية تقدم لنا نموذجا حيا للتطرف العلمانى تتحدد منطلقاته فيما يلى :
التغريب المطلق – العداء للاسلام حتى فى شعائره البسيطة .
- استخدام الديمقراطية لفرض ديكتاتورية الاقلية .

ونحن اذا مادققنا فى المشهد العربى ، فسوف تجد ان تلك سمات التطرف العلمانى فى كل مكان . وهذا الذى حدث ويحدث فى تركيا تكرر بدرجة أو اخرى فى بعض اقطار المغرب العربى حتى انه فى احد تلك الأقطار تم اغلاق ١٥٠٠ مسجد بحجة الفصل بين اماكن العبادة واماكن العمل على اعتبار أن ذلك الفصل من مقتضيات الالتزام العلمانى !

اذا دققت اكثر فى المشهد فسوف تجد ان ثمه تشابها مدهشا بين مسلك جماعات التطرف العلمانى وبين ماتفعله حركة طالبان فى افغانستان فلا فرق مثلا بين الذين يكرهون النساء على خلع حجابهن فى دواوين الحكومة ويغلقون المساجد أو يمنعون اقامتها فى النموذج العلمانى ، وبين الذين يكرهون النساء على البقاء فى البيوت وارتداء النقاب فى الخروج ، كما يكرهون الرجال على اطلاق لحاهم ، ويجبرونهم على الصلاة فى المساجد حين يرفع الاذان . ولافرق بين من يحاول استئصال الأخر الاسلامى أو انحيازاً الى النموذج الغربى احيازا مطلقا ، وبين من يحاول استئصال الأخر العلمانى ، ويرفض كل ماهو غربى رفضا مطلقا .... الخ .

عداؤهم للديمقراطية ضرورى

ان ملة التطرف واحدة ، غير ان هناك فرقا مهما بين الموقفين الاسلامى والعلمانى ازاء نقد هذا التطرف واعلان البراءة منه . فالمعتدلون الاسلاميون ودعاة الوسطية يدينون التطرف الاسلامى ويشهرون تلك الادانة على الملأ بينما لم يستطع لطرف العلمانى أن يجرى مثل هذا الفرز ، وعجزت رموزه حتى الأن عن إعلان موقف شجاع وصريح يدين ممارسات المتطرفين العلمانيين .

ادرى أن هناك علمانيين معتدلين لهم موقفهم النزية الذى يحترم القيم الايمانية والوطنية ويدافع باخلاص عن الحرية والديمقراطية لكن صوتهم غير مسموع للاسف الشديد . وازاء تصاعد اصوات الغلاة من شيعتهم فانهم يتحولون بمضى الوقت الى اقلية مهمشة ، تعد استثناء على القاعدة العلمانية ثمة مؤشرات مهمة تدلنا عليها التجربة التركية فى مقدمتها مايلى :

* ان مصطلح العلمانية لايعنى شيئا واحدا كما يروج البعض ، ولكنه مسكون بمواقف وتصورات عدة لامور الدين والدنيا (لاتنس ان النازية كانت نموذجا علمانيا قحاً) ، الأمر

الذى يفرض علينا ان نتعامل بحذر مع المصطلح وان نطالب الذين يسوقونه بأن يحددوا لنا بالضبط أيه علمانية يقصدون .

* ان النخب العلمانية التى تقبض على السلطة فى المجتمعات الاسلامية تدرك انها تفرض على الامة نموذجا غريبا مناهضا ومتحديا لنموذجها الحضارى . ومن ثم فإن لجوءها الى القهر قد يعد وسيلة وحيدة لاستمرار هيمنتها .

* ان الربط التلقائى بين العلمانية والديمقراطية ليس سوى اكذوبة كبرى ، كما ان الزعم بان العلمانية هى " فريضة العلم والحرية " كما هتف احدهم مرة ، لايعدو ان يكون نوعا من التهريج والتدليس . وفى احسن احواله فانه يظل نوعا من التمنى لم يصدق حتى الان فيما نعرف من تجارب محيطة بنا . اذ كما ان هناك علمانية مخاصمة للدين واخرى متصالحة معه ، فثمة علمانية مخاصمة معها للديمقراطية وأخرى متصالحة والعلمانية المفروضة على المجتمعات ذات الاغلبية المسلمة لاخيار لها فى مخاصمة الديمقراطية لذا لزم التنويه والتنبية !

الموقف السياسى :

وضمن هذا الباب فى جريدة (أخبار اليوم) ينشر الكاتب الصحفى ابراهيم سعده رئيس مجلس الادارة ورئيس تحرير أخبار اليوم مقالا تحليلياً سياسياً تحت عنوان (مرحباً بأولبرايت ... ولكن)[1] تعرض فيه لحدث سياسى هام يشغل الرأى العام المصرى والعربى ، وتناول فيه بالشرح والتحليل العميق ، والكشف عن الأبعاد والدلالات ، لموقف السيدة مادلين أولبرايت وزيرة الخارجية الأمريكية غير المحايد ، بالنسبة للصراع العربى الاسرائيلى ، وتعاطفها التام مع كل ماتقبله إسرائيل أو ترفضه ، بصرف النظر عما اذا كان هذا القبول أو الرفض ، يتعارضان مع القانون الدولى ، ومع أبسط حقوق الشعوب .

وبعد المقدمة التى أوضح فيها الكاتب الانطباع السلبى لدى الرأى العام العربى ، حول موقف السيدة أولبرايت وذلك بمناسبة زيارتها لمنطقة الشرق الأوسط .. انتقل الكاتب الى صلب المقال حيث حشد فيه قدراً كبيراً من

---

(١) اخبار اليوم العدد (٢٧٥٨) بتاريخ ١٣ سبتمبر ١٩٩٧ ص ١ و ٨ .

المعلومات الخلفية فى هذا الصدد ، الى جانب الكثير من الأدلة والشواهد والبراهين التى تؤكد وجهة نظره وتشرح موضوع المقال ، وذلك يهدف مساعدة القارىء على فهم تلك القضية التى تعرض لها ، واقناع القراء بوجهة النظر المعارضة التى ذهب اليها .. كما قدم العديد من آراء ووجهات النظر وناقشها وفندها وكشف زيفها وتهافتها ، مما يزيد من اقتناع القارىء بوجهة نظره ، واستثاره ذهنه ، ودفعه للاهتمام بما طرحه الكاتب فى مقاله ..

وجاءت خاتمة المقال متضمنة خلاصة وجهة نظر الكاتب فى هذا الموضوع الذى طرحه ومؤكداً أن " أزمة الثقة فى الدور الأمريكى أصبحت حقيقة ، وتزداد وضوحاً يوما بعد يوم . وكم نتمنى لو نجحت السيدة مادلين أولبرايت - اليوم أو غداً - فى تغيير - أو حتى تعديل - هذا الموقف المؤسف " .

وفيما يلى نص هذا المقال التحليلى بقلم الكاتب الصحفى ابراهيم سعده .

" اكتسبت زيارة السيدة مادلين أولبرايت لمنطقة الشرق لأوسط أهمية خاصة ، لأسباب عديدة أهمها : هناك انطباع متزايد وسط الرأى العام العربى بأن أولبرايت غير محايدة بالنسبة للصراع العربى الإسرائيلى ، كما أن معظم ماقيل على لسانها ، ومعظم مانسبته أجهزة الإعلام العالمية إليها - بالحق أو بالباطل - أظهر أولبرايت فى صورة المتعاطفة تماما مع كل ماتقبله ، وكل مارفضه ، إسرائيل .. بصرف النظر عما إذا كان هذا القبول أو الرفض يتعارضان مع القانون الدولى ، ومع أبسط حقوق الشعوب !

وزاد من هذا الانطباع السلبى - لدى الرأى العام العربى - أن وزيرة الخارجية الأمريكية الجديدة لم تبد أى اهتمام - على عكس من سبقوها فى هذا المنصب المهم - بزيارة المنطقة ومحاولة التعرف على حقائق مايجرى فيها ، ومايصدر عنها .. وكانها تكتفى - فقط - بما تتلقاه عن مصادرها الإسرائيلية !

لهذه الأسباب كلها - وغيرها - فإننا نرحب بقدوم السيدة مادلين أولبرايت وزيرة الخارجية الأمريكية إلى المنطقة ، لنسمع منها ونتعرف على أفكارها وآرائها بالنسبة للقضية المهمة التى لاهم لنا - خلال نصف القرن الماضى - غير البحث عن حل أو حلول لها

لقد كناً فى مقدمة المطالبين بأن تلعب الولايات المتحدة دورا نشطا لمساعدة الأطراف المعنية على التوصل إلى تسوية ، لأن أمريكا مؤهلة - ربما اكثر من أى طرف أخر - للعب هذا الدور ولو بالمشاركة مع الأخرين ، فهناك - كما يعرف الجميع - علاقه بالغة الخصوصية بين واشنطن وتل أبيب . وهناك الإغداق الأمريكى - بالمساعدات الأقتصادية والعسكرية - على إسرائيل بغير حساب ، كما أن الشرق الأوسط يمثل للولايات المتحدة

أهمية بالغة جعلتها تضع المنطقة على رأس أولويات مصالحها الاستيراتيجية ولسنا وحدنا الذين نثق كل الثقة فى أن الدور الأمريكى للمشاركة فى إيجاد الحل للصراع العربى الإسرائيلى ، هو المؤثر وهو القاطع ، وهو الحازم . فهناك من بين الإسرائيليين - فى مقدمتهم الرئيس الإسرائيلى عازرا فايتسمان - من يعطى لهذا الدور الأهمية القصوى بدليل أنه طلب من مادلين أولبرايت - فى الكلمة التى ألقاها خلال إفطار العمل الذى دعا إليه فى صباح اليوم التالى لوصول وزيرة خارجية أمريكا إلى اسرائيل - أن تمارس الضغط المكثف على حكومة نتانياهو وعلى حكومة ياسر عرفات - معا - من أجل تحريك عملية السلام ، مادام لم ينجح أحد منهما فى أ قناع الأخر بأهمية تنفيذ ماسبق الاتفاق عليه فى أوسلو .

وتتوالى الأحداث ...

حقيقة أن مادلين أولبرايت أوضحت - فور وصولها إلى اسرائيل - أنها تعتزم أن تركز فى زيارتها الأولى للمنطقة على المسائل الأمنية . التى تهم إسرائيل فى المقام الأول - على حساب النواحى السياسية والاقتصادية وتحريك عملية السلام - وهى القضايا التى تهم الفلسطينيين والعرب فى المقام الأول - ولكن حقيقة - ايضا - أن وزيرة الخارجية الأمريكية حرصت - فى الوقت نفسه - على تاكيد العلاقة الوثيقة بين الأمن والسلام ، وذلك عندما قالت - فى المؤتمر الصحفى الذى عقدته فى إسرائيل - : إنه لايمكن الفصل بين الأمن الحقيقى والسلام الحقيقى فلايمكن أن يتحقق واحد منهما دون الأخر . ولم تكتف وزيرة الخارجية بذلك وإنما خطت خطوة أكبر عندما أعلنت أنها طلبت من نتانياهو أن تفى إسرائيل بالتزاماتها ، لأن القلق على الأمن لا يعنى التخلى عن الالتزامات ، وأضافت أولبرايت قائلة أنها طالبت إسرائيل بالامتناع عن القيام بأى إجراءات أحادية الجانب تؤثر على مفاوضات التسوية الدائمة مع الفلسطينيين ، وبذلك تكون أولبرايت قد تبنت - على الأقل فى تصريحاتها العلنية - الخط الذى اتخذته مصر طوال الأشهر الماضية .

ولم يكن ماقالته مادلين أولبرايت - فى المؤتمر الصحفى - مجرد تصريحات أو كلمات تتبدد فى الهواء ، فلقد علمت أنها كررت نفس هذه الالتزامات أمام الرئيس الفلسطينى ياسر عرفات والوفد المرافق له فى المباحثات ، وأنها تقدمت - ايضا - بمبادرة أمريكية تستهدف تحريك عملية السلام المجمدة من خلال إقتراح محدد يتكون من بندين اثنين يحققان - فى حالة موافقة الفلسطينيين والإسرائيلين عليهما - تقدما ملموسا ومطلوبا فى عملية السلام الفلسطينية الاسرائيلية .

البند الأول : يتعلق بما يمكن للولايات المتحدة والسلطة الفلسطينية القيام والمشاركة به فى مواجهة الإرهاب الذى تعتبره إسرائيل العائق الأول والأخير لتحريك عملية السلام .

البند الثانى : يختص بالدور الذى يمكن للولايات المتحدة الأمريكية أن تلعبه فى القضايا المعقدة وأهمها قضية : المعتقلين الفلسطينين ومبررات الإفراج عنهم وضمان عدم إنتمائهم للمنظمات الإرهابية الرافضة لعملية السلام .

ولا أظنني اذيع سرا إذا قلت : إن الإدارة الفلسطينية - بزعامة الرئيس ياسر عرفات - قد وافقت على الاقتراح الأمريكى الذى طرحته مادلين أولبرايت خلال جلسة المباحثات التى تمت بين الجانبين الأمريكى والفلسطينى والمهم - الأن - أن نسمع رأى حكومة بنيامين نتانياهو فى هذين البندين المحددين اللذين تقدمت بهما وزيرة خارجية الولايات المتحدة خلال جلسة مباحثاتها الأخيرة مع السلطة الفلسطينية برئاسة أبو عمار ومافعلته وماقالته السيدة مادلين أولبرايت - حتى الآن - لابد أن يشجعنا على أن ننظر إليها - ونتعامل معها - بشكل مغاير ، ومخالف لما كنا نتوقعة ونتنظره وهذا مايشجعنا على أن نطالبها ببعض المواقف والمبادرات منها على سبيل المثال لا الحصر :

* أن تتمسك وزيرة خارجية الولايات المتحدة بهذا الخط فى مواجهة إصرار إسرائيل على التركيز على امنـها هى فقط كما لو كان أمن الأطراف العربية هو أمر لاقيمة له ولايستحق الاهتمام ا لهذا السبب فإننا ننتظر من وزيرة الخارجية الأمريكية أن تترجم ماأعلنته ، وماطرحته - نظريا - إلى خط واقعى تلتزم به السياسة الأمريكية خلال زيارتها للمنطقة ، وبعدها ، عندما تفعل وزيرة الخارجية ذلك فمن المؤكد أن يكون فى إستطاعة واشنطن أن تؤثر على إسرائيل وأن تمارس الدور المطلوب منها .

* لست من هؤلاء الذين يجرون تقييمهم لسياسة أمريكا - أو غيرها - من زاوية الانتماء الدينى أو الأيديولوجى للأشخاص الذين يلعبون دورا اساسيا فى تشكيل سياسة بلادهم لأن من تبسيط الأمور الحكم على هذه المواقف من زاوية شخصية ، ولذلك فإننى لن اتوقف طويلا أمام " المسرحية " التى أعدتها إسرائيل للوزيرة الأمريكية أثناء زيارتها لنصب ضحايا الهولوكوست - فاديا شيم - ولا لإصرار المسئولين الاسرائليين على " تثقيف " أولبرايت بشأن تاريخها العائلى مع التركيز على أن عددا من اقاربها اليهود قد لقوا حتفهم على أيدى النازيين العنصريين .

* لن نقول لمادلين أولبرايت أن كل فصول هذه " المسرحية " يعتبر خارج الموضوع الأصلى ، فاليهود من الإسرائيلين - وغيرهم - ليسوا عرضة لأى اضطهاد فى المنطقة العربية ولم يكونوا مضطهدين فيها فى أي يوم . والقضية - الأن - ليست قضية اليهود ، وغيرهم وإنما هى قضية إرساء العلاقة بين الطرفين اللذين نشب بينهما نزاع سياسى - لأسباب لا أجد حاجة للتطرق إليها - على أساس من العدل والتكافؤ ، وليس على اساس مجاملة إسرائيل على حساب العرب ، ولا على قاعدة الحديث عن تفوق إسرائيل على العرب - يستوى فى هذا التفوق العسكرى أو الاقتصادى - أو الزعم بانه التفوق الحضارى والإيحاء بانه يعنى " التفوق الإسرائيلى و " المطلب الإسرائيلى " على " الحق العربى و " المطلب العربى " لأن هذا الطرح كفيل بنسف عملية السلام من اساسها ، والإخلال بالتوازن الذى يفترض اننا جميعا نعمل على تحقيقة حتى نضمن استمرار حالة السلام فى المستقبل القريب والبعيد معا .

لقد جاء تخوفى من هذا الخلط بعد أن سمعت عن حرص السيدة مادلين أولبرايت على

أن تؤكد - خلال زيارتها الأخيرة لإسرائيل - عن التزام بلادها بمساعدة الدولة العبرية على تحقيق تفوقها العسكرى فهل يراد بالمنطقة أن تعود إلى مناخ الحرب ومنطقها ، وأن ينطلق الأطراف فى سياستهم من مفاهيم " التفوق " و " السيطرة " بدلا من " التعايش " و " التكافؤ " وكيف تطمئن الشعوب إلى المستقبل وتقنع بالمراهنة عليه ضد المنادين بحتمية الصراع وأبديته ، إلى أن ينتصر طرف على الأخر كلية ويفرض عليه شروطه ؟

* إن الوزن الذى تعطيه وزيرة الخارجية الأمريكية لموضوع الأمن - أثناء زيارتها - على حساب قضية السلام والحفاظ على مسيرته ، كان مبالغا فيه إلى درجة كبيرة ، فقد اهتمت بان تصرح بعد لقائها برئيس الوزراء الاسرائيلى بان موضوع الأمن هو لب جدول أعمالها ، وأنها سوف تتحدث مع الرئيس عرفات حوله وتطالبه بالدخول فى تعاون فعال مع إسرائيل بشانه ، وبان يتخذ خطوات صارمة لاقتلاع الإرهاب وبنيته الأساسية من جذورهما ، وأضافت : " إننا إذا ماأردنا أن نستأنف المفاوضات السلمية ونسرع فى المسيرة فليس أمامنا طريقة أخرى " ولم تنس وزيرة الخارجية الأمريكية أن تعلن تاييدها لمايطرحه نتانياهو حول مبدأ المعاملة بالمثل أو التبادلية - reciprocity رغم انها تعلم جيدا أن رئيس الوزراء الإسرائيلى يستخدم هذه العبارة بطريقة غير متوازنة تخرجها عن السياق السليم - فهو - أى نتانياهو - لايخفى مطالبته للفلسطينين بالقيام بتنفيذ جميع التزاماتهم أولا قبل أن تبدأ إسرائيل فى تنفيذ تعهداتها ! ليس هذا فقط بل أن إسرائيل تعطى نفسها الحق فى تعريف التزامات الفلسطينين وتحاول أن تملى عليهم أسلوب الوفاء بها بالتفصيل ، وإلا اعتبرت مخالفة للاتفاقيات التى تم توقيعها ، وأوضح مثال على هذا أن مكتب رئيس الوزراء الإسرائيلى أصدر بيانا يوم ٩ سبتمبر الجارى عدد فيه الخطوات التى تطلب إسرائيل من السلطة الفلسطينية اتخاذها فى مجال الأمن على النحو التالى :

١ - التعاون الأمنى الكامل وغير المشروط مع إسرائيل .
٢ - ردع الإرهابيين ومعاقبتهم .
٣ - ابعاد المخربين عن صفوف الشرطة الفلسطينية .
٤ - الوفاء بالالتزامات الأمنية فى الخليل .
٥ - مصادرة الأسلحة غير المرخصة .
٦ - وقف التحريض على العنف .
٧ - الالتزام بالقيود المفروضة على أسلحة قوات الأمن الفلسطينى .
٨ - تقليص عدد أفراد الشرطة الفلسطينية الى أربعة وعشرين . ألفاً ، وهو العدد المنصوص عليه فى الاتفاق المرحلى .
٩ - تسليم المشتبه فيهم بالتورط فى أعمال إرهابية .

١٠ - القضاء على البنية التحتية للمنظمات الإرهابية .

والسؤال الآن هو : هل يعقل أن يبيح طرف لنفسه أن يملى على الطرف الآخر ماهو مطلوب منه بهذا التفصيل وهذه المبالغة فى الوقت الذى يعلن فيه - صراحة - أنه لا ينوى الوفاء بأهم التزام يتحمله وهو تنفيذ المراحل المتفق عليها لإعادة الانتشار الأوسع فى المواعيد المحددة ، والتى أكدتها الولايات المتحدة نفسها فى الخطاب الموجه من كريستوفر - وزير الخارجية الأمريكى السابق - للرئيس الفلسطينى عرفات ؟

* ولاشك أن الخريطة السياسية فى أمريكا بالغة التعقيد والصعوبة ، بحيث لايمكن التعميم وإصدار الأحكام ببساطة على القرارات التى تتخذها الإدارة الأمريكية فى قضايا داخلية أو خارجية ، ولكن يمكن أن نقول - فى الحدود التى يجوز فيها التعميم - أن أهم الملامح التى يتميز بها المسرح السياسى فى أمريكا يتلخص فى النفوذ الكاسح لجماعات الضغط - أو مايسمى هناك " باللوبى " لدرجة أن هذه الجماعات - التى وإن كانت تمثل فئات قليلة لكنها منظمة وتتمتع بقدرة هائلة على الاتفاق - تتمكن فى النهاية من فرض اهتماماتها وأولوياتها على الشعب وممثليه فى السلطتين التشريعية والتنفيذية عند معالجة أى قضية ، وذلك على حساب المصلحة العامة . ولست فى حاجة إلى إبراز مدى سطوة اللوبى الصهيونى وقدرته على دفع الإدارات الأمريكية المتعاقبة لاتخاذ هذه السياسة المتطرفة وغير المنسجمة مع الأصول القانونية واعتبارات العدالة بل ومهما كانت متعارضة مع رؤية الحكومة الأمريكية ومع المصالح الحيوية لهذه الدولة الكبرى ، باختصار شديد يمكن القول بكل اطمئنان : إن اللوبى الماليء لإسرائيل اصبح قادرا - منذ وقت طويل - على توجيه السياسة الأمريكية كيفما يشاء دون حسيب أو رقيب .

* ليس المقام هنا ملائما للاستطراد فى الحديث عن هذه الظاهرة التى تتفرد الولايات المتحدة بوجودها فيها بصورة صارخة ، وقد يكفى أن أقارن هنا بين " وثيقتين " - أن جاز هذا التعبير - أولهما الخطاب الذى وجهته دول المجموعة الأوربية لوزيرة الخارجية الأمريكية أولبرايت منذ أيام وبالتحديد يوم ٥ سبتمبر الجارى - قبيل مغادرتها لواشنطن ، ونصحتها فيه باتخاذ موقف متوازن اثناء زيارتها لمنطقة الشرق الأوسط واقترحت المجموعة الأوربية أن يقوم هذا الموقف على المرتكزات الآتية :

أولا : تأكيد التزام إسرائيل بتنفيذ المرحلة المقبلة من أعادة الانتشار ، لأن هذا الالتزام كان من الأركان التى قامت عليها الاتفاقية المرحلية .

ثانيا : حث الفلسطنيين على استمرار التعاون مع اسرائيل فى مجال الأمن .

ثالثا : تشكيل لجنة دائمة للأمن من ممثلين للطرفين ، تحقق التعاون فى مجال الأمن تحت جميع الظروف ، ويمكن أن يشارك فى أعمال هذه اللجنة ممثلون للولايات المتحدة والاتحاد الأوربى.

رابعا : إبراز أن أى استئناف للمفاوضات الخاصة بالوضع النهائى يجب أن يصحبه ويتوازى معه التنفيذ الكامل للاتفاقية المرحلية والبروتوكولات التى وقعت على أساسها .

خامسا : التزام الطرفين بتجنب أى اجراءات احادية يمكن أن تؤثر على الموضوعات المتفق على معالجتها فى المفاوضات الخاصة بالوضع النهائى وبصفة خاصة فإن على إسرائيل أن تتوقف عن النشاط الاستيطانى .

سادسا : مطالبة الطرفين بالالتزام بميثاق للسلوك Code of conduct سواء فى المفاوضات أو فى تنفيذ مايتم التوصل إليه من اتفاقيات ، ويجب الحرص على أن يسهم هذا الميثاق السلوكى فى خلق مناخ من " الشراكة " والمصلحة المشتركة بين الطرفين .

سابعا : رفع القيود الموضوعة على الاقتصاد الفلسطينى .

* ولايستطيع المرء أن يغالب إغراء إجراء المقارنه بين هذا الطرح الأوربى المتوازن والمتزن وبين المفاهيم التى يروجها اللوبى الممالىء لاسرائيل فى الولايات المتحدة ، وربما كان من الملائم أن اختار - كنموذج لهذا الطرح الصارخ فى تحيزه لإسرائيل - المقال الأفتتاحى الذى كتبه روزنتال فى جريدة نيويورك تايمز يوم ٩ سبتمبر الجارى " أى فى نفس اليوم الذى بدأت فيه أولبرايت رحلتها إلى المنطقة .

كتب روزنتال مقاله تحت عنوان مثير يقول : " حرب الخمسين عاما " بدأه بالإشارة إلى أن إسرائيل كانت هى الطرف الذى يسعى للسلام طوال نصف القرن الذى مضى منذ إنشائها ، أما العرب فقد أصروا دائما على الرد على هذه النوايا السلمية بالحرب (٠٠)

وأضاف الكاتب الصهيونى المعروف قائلا :

- ورغم هذا الموقف المسالم الإسرائيلى فإنه عندما تنفجر قنبلة فى سوق عمومى فى إحدى المدن الإسرائيلية أو فى سسيارة أتوبيس فإن العالم يطالب إسرائيل بالمضى فى طريق السلام وكأن شيئا لم يحدث ، بل إنه يطالبها بتقديم التنازلات للفلسطينين وباقى العرب ويواصل الكاتب مزاعمه فيقول :

" إن العالم يتجاهل - أو يتناسى - الحروب المتعاقبة التى غزت الجيوش العربية فيها إسرائيل المرة تلو الأخرى ، والدعايات المعادية لليهود التى ملأت أجواء العالم العربى ، وإصرار العرب على خنق إسرائيل اقتصاديا --- الخ " .

ثم يخلص روزنتال من سرد هذه الأكاذيب الفجة إلى انه : " إذا كانت أمريكا حريصة على القيام بدور إيجابى ، فيجب أن تكون نقطة البداية فى تحريكها هى إقناع العرب بوجوب إنهاء حربهم التى استمرت لمدة نصف قرن ضد الدولة العبرية ، وإلا فإن العرب سوف يعاودون - بعد استراحة قصيرة - شن حربهم العدوانية ضد إسرائيل ! " .

ولايكتفى روزنتال بذلك وأنما يواصل تزويره للأحداث التاريخية - على طريقة .. (لاتقربوا الصلاة) فيقول : " إن إسرائيل لم تحاول احتلال الضفة الغربية ولولا غباء العرب الذى دفعهم الى مهاجمة إسرائيل عام ١٩٦٧ ورغم هزيمتهم فى الحرب ، ظلت اسرائيل تقدم لهم الاقتراح تلو الأخر لإقامة السلام ، وتطرح عليهم إقامة حدود جديدة وتقترح اقتسام المياة والطاقة الكهربائية وهم يردون على هذه التحركات السلمية بالعمليات الحربية وقذفها بالقنابل وهاجمتها من على منبر الأمم المتحدة ثم استمرت المذابح بين إيران والعراق ، وقامت سوريا باحتلال لبنان ، وغزا

العراق الكويت ، وانغمس المتطرفون والأصوليون العرب فى قتل إخوتهم وابناء دينهم ".

ويختتم روزنتال مقاله بالتأكيد على انه : لايمكن مطالبة إسرائيل بالتحرك نحو السلام إلا بعد أن يتوافر لها الأمن تماما ويستقر ، والا إذا اتخذ عرفات الخطوات الصارمة الحازمة المطلوب منه اتخاذها - وإن كان الكاتب يشك فى ثقة لدى الرئيس الفلسطينيى للقيام بهذا . ثم انتهى روزنتال إلى أنه لايمكن أن يتحقق سلام بين اسرائيل والفلسطينين إلا إذا قامت نظم عربية على أسس أخرى غير الحقد والكراهية والتسلط .

* * *

وماقاله الكاتب الصهيونى الشهير ليس بالجديد ولا بالغريب ، إنه يكرر - فقط - ماسبق للوبى الصهيونى الأمريكى تأكيدة والدفاع عنه والترويج له المرة بعد الأخرى . الجديد فى هذا التكرار أنه تم بمناسبة الزيارة الأولى - والمهمة - التى تقوم بها وزيرة خارجية الولايات المتحدة لمنطقة الشرق الأوسط فى وقت يتزايد فيه عدد المتشائمين من جدوى عملية السلام من أساسها .

لقد كانت التصريحات التى أدلت بها أولبرايت - عشية سفرها وفور وصولها إلى إسرائيل وخلال زيارتها لها - غير مشجعة ، وغير مطمئنة ، وهو - بالضبط - مايريده ، وينتظره ، اللوبى الصهيونى من وراء هذه الزيارة ، لدرجة أن هناك من بين المعلقين والمحللين من تسوع وتنبأ بفشل هذه الزيارة قبل أن تبدأ ، وأثناءها ، وربما - ايضا - بعد انتهائها أزمة الثقة فى الدور الأمريكى أصبحت حقيقة وتزداد وضوحا يوما بعد يوم وكم نتمنى لو نجحت السيدة مادلين أولبرايت اليوم أو غدا - فى تغيير أو حتى تعديل - هذا الواقع المؤسف ".

وبعد الانتهاء من الحديث عن المقال التحليلى وعرض نماذج تطبيقية له .. يبقى فى هذا الباب الحديث عن (الاسمية واللااسمية) أو توقيع المقالات باسماء كتابها من عدمه .... وهذا هو موضوع الفصل التالى والأخير فى هذا الباب الأول .

* * * * *

الفصـــل الخـــامس

الأسمية واللاأسمية فى الصحافة (١)

وفى ختام حديثنا عن فن المقال فى هذا الباب الأول نتـــعرض لنقطة هامة تتعلق بهذا الفن ، فيما يختص بتوقيع كاتبه عليه ، أو عدم توقيعه . وقد لاحظنا فيما سبق أن الصحف تنشر المقال الافتتاحى بغير توقيع كاتبه لأنه يعبر عن رأى الصحيفة وسياستها وليس رأى كاتبه . أما بالنسبة لغيره من مختلف أنواع المقال التى تعرضنا اليها فان كل الصحف تنشرها موقعة باسماء كتابها لأنها تعبر عن أرائهم وأفكارهم بشرط ألا تتعارض مع سياسة الصحيفة فكيف نشأت الأسمية واللاأسمية هذه فى الصحافة فى مختلف أنحاء العالم ؟ أو بتوضيح اكثر ماهى الجوانب التاريخية التى أدت الى اتباع هاتين الحالتين فى الصحافة وهما : توقيع المقال أو عدم توقيعه باسم كاتبه ؟ .

الجواب يتضح عندما نعلم أن الصحافة عند بدء ظهورها ، قد تميزت بأن ماينشر بها كان يخلو من التوقيع عليه باسم كاتبه ، فالصحافة كانت تعنى بالأخبار ، ولم تكن تتميز بطابع فنى انشائى يدعو محرريها الى العناية بابراز أسمائهم . وبعد أن أصبحت الصحافة صحافة رأى الى جانب كونها صحافة خبر . رأى الصحفيون أن عدم التوقيع على مايكتبونه من مقالات يكفل سلامتهم فى زمن كانت فيه الحكومات تعصف بالكتاب الذين يوجهون أى انتقادات اليها ، فاللاسمية (Anonymity - Anonymat) فى الكتابة كانت ضروريـــــــة فى معركة الحرية

---

(١) راجع تفاصيل ذلك فى كتاب الدكتور جمال الدين العطيفى / حرية الصحافة جـ ٢ (القاهرة ١٩٧٤) ص ٢٩٧ - ٣٠٠ .

التى خاضتها الصحافة فى ذلك الحين .

وقد وقف لويس نابليون فى فرنسا لهذه اللاسمية بالمرصاد ، فأصدر تشريعا عام ١٨٥٠ يوجب توقيع جميع المقالات ذات الطابع السياسى ، أو الدينى ، أو الفلسفى ، ولايجيز نشرها الا موقعاً عليها ، وكانن لويس نابليون بعد عدته فى ذلك الحين لينصب نفسه امبراطوراً على فرنسا . وكان يعانى من هجوم الصحافة عليه ، فرأى أن يقيد حرية الصحفيين فى الكتابة مستعينا بهذه الوسيلة ، التى تضمن له محاكمة كل من يجرؤ على انتقاده .

ورغم أن هذا القانون قد ألغى بعد ذلك عام ١٨٨١ حينما صدر قانون الصحافة ، إلا أن نظام التوقيع على المقالات كان قد استقر فى تقاليد الصحافة الفرنسية بوجه عام والأدبية بوجه خاص . ومع ذلك ظلت انجلترا أمينة على نظام اللاسمية ، فأغلب ماينشر بها من مقالات ينسب الى الجريدة ذاتها . فالمألوف أن يتحدث الناس عما كتبته التيمس أو الديلى ميل . بينما تتخذ الصحافة فى فرنسا طابعاً شخصياً هو طابع المحرر الذى يوقع على المقال .

أما فى الولايات المتحدة الأمريكية ، فأننا نجد أسماء لامعة توقع على كثير من المقالات والتحقيقات والأحاديث الصحفية ، الى جانب المقالات التى تنشر بغير توقيع ، فكما ينسب الرأى الذى تضمنه المقال الى مجلة نيوزويك مثلا أو الهيرالد تريبيون ، نجد أنه كثيرا ماينسب الى كاتب المقال الذى وقع عليه .

أما فى الصحف المصرية والصحف العربية بصفة عامة ، فانها تعرف النوعين : المقالات التى لاتحمل توقيعا ، وبالأخص فى افتتاحيات الصحف ، كما أنها تتميز بالمقالات والأعمدة الصحفية التى تنسب الى كتاب يوقعونها باسمائهم كاملة ، أو باسماء مستعارة ، أو بالأحرف الأولى من أسمائهم ... الخ .

ولقد انقسم الرأى حول أفضلية كل من النظامين : أيوقع ماينشر فى

الجريدة وبالأخص اذا كان مقالا أم لايوقع ؟

ويبدو أن غالبية الصحفيين يميلون الى تأييد التوقيع على ماينشرونه من مقالات • فهذا التوقيع هو الذى يحقق لهم مايحبون من شهرة ، وهو الذى يربط بينهم وبين القراء ، ويقال فى ذلك أن الصحفى حينما يوقع مقاله يستطيع أن يصبح مرموقاً يحظى باهتمام الرأى العام ، بينما أقصى مايحصل عليه حينما يكتب مقالا لا يوقعه ، هو تقدير رؤسائه فى الجريدة • ثم ان توقيع المقال يدفعه الى الاحساس بالمسئولية والى العناية بما يكتبه • أما مايقال من أن نظام اللاأسمية اكثر اتفاقا مع حرية الكاتب فى التعبير عن رأيه ، فانه حجة لم يعد لها وجود بعد أن زال الخطر على حرية الصحافة الى حد كبير •

ويعلل أنصار اللااسمية رأيهم بأن العمل الصحفى ، عمل جماعى والمقال الرئيسى فى أى جريدة لايعبر عن رأى كاتبه ، بل عن رأى الجريدة وتسبقه عادة مناقشات بين المحررين المسئولين وخاصة فى مجلس التحرير ، وقد يعدل وفقاً لما يبدونه من رأى فى هذه المناقشات ، ثم أن المقالات التى لاتحمل توقيعا تكون ذات تأثير أقوى ، لأنها تعبر عن رأى جماعة من الصحفيين ، وليست مجرد رأى شخصى ، فضلا عن أن المناقشات الصحفية تتخذ فى هذه الحالة طابعاً موضوعيا ، فلا يتضمن ماتتضمنه المقالات التى يوقعها كاتبوها من اشارات شخصية أو انطباعات ، ذاتية تبعد المقال عن البحث الهادىء •

وأيا كانت حجج كل من الفريقين ، فان الملحوظ فى الوقت الحاضر ، أن الصحف لاتخلو مما ينشر بها بغير توقيع ، فالأخبار بصفه خاصة تنشر أغلبها بغير توقيع ، وكثير من المقالات التى تعبر عن رأى الجريدة تنشر أيضا بغير توقيع ، أما الأعمدة الصحفية والمقالات والتحقيقات والأحاديث الصحفية وماشابه ذلك تنشر بتوقيع أصحابها عليها ومن طريف مايروى عن الصحافة المصرية - فيما يتعلق بالأسمية

والأسمية - أن (الأهرام[1] كانت منذ صدورها لاتهتم كثيراً بنشر أسماء محرريها على مايكتبونه من مادة صحفية ، شأنها فى ذلك شأن معظم الصحف التى صاحبتها فى تاريخها الى أوائل الخمسينات من هذا القرن فقد كان من الواضح أن (آل تقلا) يريدون أن يكون (الأهرام) وحده هو البطل ، وبالتشابك مع أهمية ضغط المصروفات " الذى كان يصل الى حد البخل فى بعض الأحيان ، فقد بدأت بعض التوقيعات بالاسم الأول أو الأخر تظهر فى (الاهرام) خلال الثلاثينيات ، عندما وجد (بشارة تقلا) آن الذين يسافرون الى الخارج يبعثون ببرقياتهم المذيلة بأسمائهم الثلاثية كاملة أو بالاسم الموجود فى جواز السفر ، والذى يعتمد من مكتب التلغراف ، وبعضه رباعى مما يزيد من تكلفة ارسال البرقية .. هنا أعطى (بشارة تقلا) تعليماته الى هؤلاء : بان تكون البرقية مختصرة للغاية ، وألا توقع باسم المحرر لأن الأهرام يعرف صاحبها . فاذا كان لابد بسبب نظم الاتصالات ، فهى الكلمة الأولى أو الأخيرة فقط من اسم المراسل .

ويضيف بعض الخبثاء أن (بشارة تقلا) سأل وقتها . ألا يمكن التوقيع الحرف الواحد ؟ وعندما قيل له ان التوقيع بالحرف يكلف نفس المبلغ الذى يتكلفه التوقيع بالاسم ، ولأن الكلمة وحدة التعامل التلغرافى فى العالم كله . أمر بعدم التوقيع إلا فى حالة الضرورة ، وباسم واحد فقط ، على أن تكون القاعدة هى عدم التوقيع .

كذلك كان (أنطون الجميل) وهو من رؤساء تحرير الاهرام يتردد كثيراً فى نشر اسم محرر من المحررين مهما كانت قيمة عمله . ثم ينشره على استحياء

---

(١) راجع فى ذلك محمود أدهم / اسماء على الصفحات (القاهرة ١٩٨٨) ص ٤٤ - ٤٧ و ١٠٣ و ١٠٤ .

وبينط صغير لايكاد يرى .. يقول مصطفى أمين[1] : أن أنطون الجميل كان لايوقع مقالاته . ومن عادته أنه اذا تقدم اليه محرر بمقال كان لايقرأ عنوانه ، وانما يقرأ الصفحة الأخيرة منه . فاذا وجده موقعاً وضعه فى درج خشبى مخصص للمقالات المؤجلة ... كان أحمد الصاوى محمد ، يكتب مقالا فى الصفحة الأولى من الأهرام بعنوان (ماقـــل ودل) وكان أنطون الجميل يضيق بهذا الإمضاء ، كما كان يضيق بكل امضاء . وراح يؤجل مقالات الصاوى ، ويمنعها ، حتى ضاق الصاوى بمنعها وترك الاهرام ، وذهب الى جريدة المصرى ينشر صفحة كاملة كل اسبوع ، ثم يجمعها فى كتب أصبحت أشهر الكتب العربية أثناء الحرب العالمية الثانية .

وشتان الفارق بين (سليم تقلا) و (أنطون الجميل) وبين (محمد حسنين هيكل) الذى انتقل الى رئاسة تحرير الاهرام فى ٣١ يوليو ١٩٥٧ ، فيما يتعلق بالاسمية واللاأسمية .... حيث كانت سنه ١٩٥٧ هى التى اتضح فيها تماماً الفارق الكبير بين مدرسة الاهرام القديمة التى تجعل الاهرام هى البطل ، ومدرسة الأهرام الجديدة (المطعمة) بالدم الصحفى الجديد بعدد من أبناء مدرسة أخبار اليوم التى تركز على نشر أسماء محرريها على مايكتبون . لقد تضاعف اهتمام الاهرام بنشر أسماء المحررين على مايكتبون ... ونجح (محمد حسنين هيكل) فى تحويل عدد ليس بالقليل من محررى الأهرام القدامى- وهم على درجة عاليه من الكفاءة - الى نجوم مشهورين بين قراء الجريدة . كما نجح فى استقطاب عدد من المحررين والكتاب النجوم أصلا ليضاعف من نجوميتهم وشهرة أسمائهم فى عالم الصحافة .

* * * * *

وبانتهاء الحديث عن أنواع المقال وعرض نماذج تطبيقية لها وكذلك توقيع المقالات باسماء كتابها من عدمه .. نكون قد وصلنا الى نهاية الباب الأول بفصوله الخمسة التى اشتملت على تسعة مباحث .. وننتقل بعد ذلك إلى الباب الثانى من هذا الكتاب والذى يدور حول (فن التقرير الصحفى) ...

* * * * *

---

(١) عمود فكرة تحت عنوان (أنطون الجميل) منشور بجريدة الأخبار بتاريخ ٩ يونيو ١٩٨٧ م .

الباب الثاني

فن التقرير الصحفي وأهم أنواعه

الفصل السادس : مفهوم التقرير الصحفي وكتابته

الفصل السابع : التقرير الإخباري

الفصل الثامن : التقرير الحي

الفصل التاسع : تقرير عرض الشخصيات

الفصـــل الســـــادس

مفهوم التقرير الصحفى وكتابته [1]

أولا: مـــفهـوم التقـــرير:

التقرير الصحفى بأنواعه المختلفة فن يقع مابين الخبر والتحقيق الصحفى ... ويتميز بالحركة والحيوية فى مجموعة المعارف والمعلومات التى يتضمنها .. كما أنه لايقتصر على استيعاب الجوانب الجوهرية أو الرئيسية فى الحدث فقط مثل الخبر إنما يستوعب أيضا وصف الزمان ، والمكان ، والأشخاص ، والظروف التى ترتبط بالحدث ... ويسمح كذلك بابراز الآراء الشخصية ، والتجارب الذاتية للمحرر الذى يكتبه ، ولايقتصر فقط على الوصف المنطقى والموضوعى للأحداث ، وعلى ذلك فكلما كان المحرر شاهد عيان على الحدث كلما زادت فرصه النجاح أمام التقرير الصحفى ... وبالاضافة الى ذلك فيفضل أن تظهر شخصية المحرر حيث يكون من حقه أن يعرض انطباعاته الشخصية ، وأرائه ، وأحكامه ، وإستنتاجاتة وان يقدم الأشخاص ويعرض وجهات نظرهم .... بل يمكنه أيضا أن يقدم معلومات ذات طابع وثائقى ويتميز التقرير الصحفى بتقديم صورة سريعة للحدث ، أو يقوم بالتركيز على جانب واحد منه ، دون أن يغرق ويتعمق فى التفاصيل ، المدعمة بالبحث ودراسة الأبعاد المختلفة مثل التحقيق الصحفى ...

وينحصر هدف كاتبه فى اثارة اهتمام القارىء بالموضوع الذى يتناوله ، وذلك بتقديم معارف ومعلومات جديدة أو طريفة أو غريبة ، أو مسلية عن حدث من الأحداث الجارية ، وقد لايزيد هدف التقرير عن مجرد تسلية القارىء وامتاعه بالمعلومات الغريبة ، وهذا يختلف عن التحقيق الصحفى الذى يستهدف اقناع القارىء بأهمية وخطورة القضية أو المشكلة أو الفكرة

---

(١) راجع فى ذلك فن الكتابة الصحفية / مرجع سابق ص ١٣٥ - ١٤٢ .

التى يطرحها التحقيق ، وذلك بهدف كسب الرأى العام لصالح مايطرحه ..

وفيما يتعلق بالأسلوب ، فان التقرير الصحفى لايصلح له إلا الأسلوب البسيط الواضح ، والجمل القصيرة ، وجمع اكبر قدر من الحقائق والمعلومات فى أقل قدر ممكن من الكلمات ، وهو فى ذلك لايعنيه أن يسجل كل الحقائق بالأرقام ، أو يدعمها بالبيانات والاحصاءات والرسوم ، وذلك على العكس من التحقيق الذى يحتاج الى أسلوب بسيط ولكن عميق ، ويعتمد على الدراسات والأبحاث ، ويستعين بالأرقام والاحصاءات والرسوم الأيضاحية وغيرها ..

وأخيراً ، فان التقرير الصحفى غالباً مايكتفى بزاوية واحدة ، أو اثنتين من زوايا الخبر أو الفكرة أو القضية التى يتناولها ‥ وقد تكون الزاوية الانسانية ، أو السياسية ، أو الفكرية ، أو الاجتماعية ، أو الاقتصادية دون أن يتطرق لباقى الجوانب التى هى مهمة التحقيق الصحفى ‥ ولكن مع ذلك فان التقرير الصحفى يتفق مع التحقيق الصحفى ، فى أنه قد يشتمل على بقية الفنون الصحفية الأخرى كالخبر والتعليق والحديث ، والصور والرسوم ويكتفى بالاجابة عن سؤال لماذا ؟ ويكشف عن شخصية كاتبه ، وليس مطالباً بالتعبير عن سياسة الجريدة وان كان مطالباً بألا يتناقض معها ويرسم صورة واقعية للحياة ولايقوم على الخيال .

ثانيا : كتابة التقرير:

يكتب التقرير الصحفى بطريقة الهرم المعتدل ··· ويحتوى على ثلاثة أجزاء هى : مقدمة التقرير ··· وجسم التقرير ···· وخاتمة التقرير ·

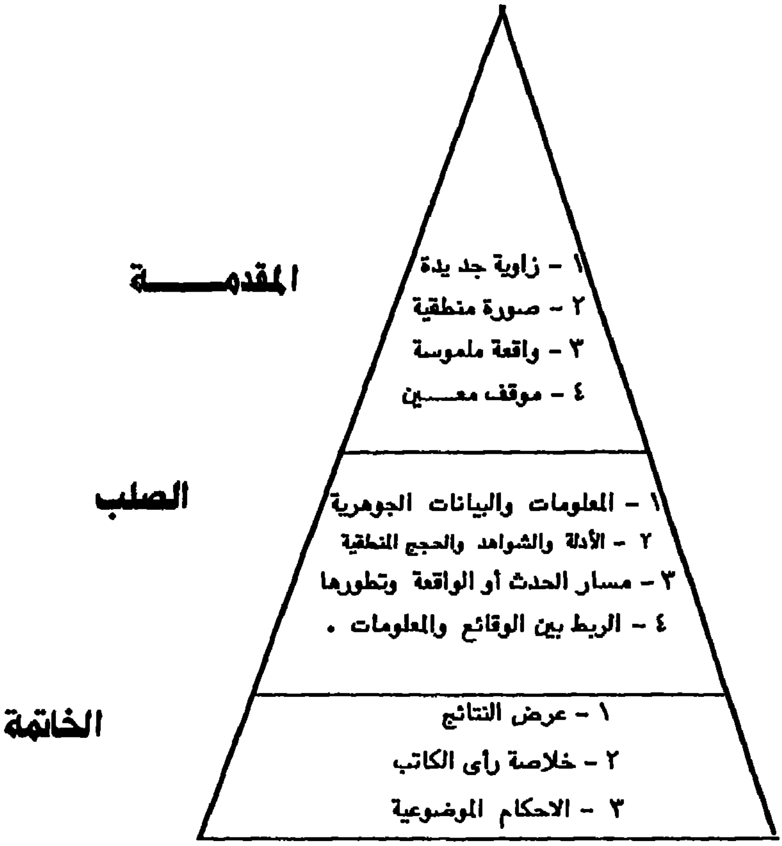
(١) : المقدمة ، عبارة عن مدخل أو مطلع يمهد لموضوع التقرير ، ويهيىء ذهن القارىء للقراءة ... ويتناول زاوية معينة من زوايا الموضوع المطروح يختارها الكاتب بعناية .. وهذا المدخل أو التمهيد لايضم خلاصة الموضوع أو اهم حقائقه ، وانما يضم واقعة ملموسة أو موقفاً معيناً ، أو صورة منطقية ، أو زاوية جديدة لموضوع غير جديد .

وتتحدد قيمة هذه المقدمة فى مقدرتها على جذب اهتمام القارىء للموضوع الذى يعالجه التقرير الصحفى ، ودفع القارىء الى متابعة قراءة بقيته حتى النهاية .

(٢) : جسم التقرير ، وهو الجزء الذى يضم المعلومات والبيانات الجوهرية فى موضوع التقرير كما يضم الأدلة والشواهد والحج المنطقية التى تدعم الموضوع الذى يتناوله التقرير ، ومن الضرورى أن يحرص كاتبه على الربط بين الوقائع التى يتضمنها التقرير ، وأن يكشف عن العلاقات بينها ، ويظهر ماوراءها أو مايكتنفها من غموض

(٣)أ : خاتمة التقرير ، وهى آخر جزء فى التقرير والتى يكشف فيها الكاتب عن نتائج أو خلاصة ماتوصل اليه ، أو يقدم أهم نتيجة أو حقيقة وصل اليها خلال بحثه فى موضوع التقرير ... ومن الضرورى أن يراعى الكاتب فى خاتمة التقرير أن تثير فى ذهن القارىء حواراً حول موضوع التقرير ، وتدفعه الى التفكير فى الموضوع ومتابعته فيما يعد ان كان الموضوع يستحق المتابعة ... وان تترك الخاتمة أيضا صدى عن موضوع التقرير لدى القارىء ، وتدفعة - فى بعض الأحيان الى اتخاذ موقف ، أو تكوين رأى معين تجاه الموضوع ، أو المشكلة التى يثيرها التقرير .

والشكل التالى يوضوح طريقة كتابة التقرير الصحفى المبنى على قالب الهرم المعتدل .



شكل رقم (٤) يوضح البناء الفنى للتقرير الصحفى المبنى على قالب الهرم المعتدل .

إن بناء التقرير الصحفي من مقدمة وجسم وخاتمة ، وقيام هذا البناء على تسلسل منطقي ، يجعل من أجزاء التقرير وحدة عضوية مترابطة ليس من السهل قطع أو حذف أى جزء منها دون أن يتأثر بذلك بناء التقرير نفسه وغالباً مايؤدى حذف أى جزء ولو صغير منه إلى صعوبة فهم هدف التقرير ونتيجته ، واهتزاز فكرته الأساسية وتسلسله المنطقي ... وهذا بعكس الخبر الصحفى الذى يتكون من مقدمة وجسم فقط واحتواء هذا الجسم على الحقائق الأقل أهمية مما ورد فى المقدمة ، مما يتيح للصحيفة أن تحذف من جسم الخبر أية اجزاء دون أن يؤثر ذلك فى سياق الخبر ..

وهناك عدة أنواع من التقرير الصحفى تختلف باختلاف المجالات التى تطرقها ... وأهم هذه الأنواع ثلاثة هى : التقرير الأخبارى .. والتقرير الحى .. وتقرير عرض الشخصيات .. ونتناول كل نوع من هذه الأنواع الثلاثة فى فصل مستقل من الفصول التالية ، مع مراعاه التأكيد على انه لايوجد فصل تام بين أنواع التقرير الصحفى الثلاثة ، حيث توجد تقارير قد تجمع بين صفات التقرير الاخبارى ، وفى نفس الوقت تحمل بعضا من صفات التقرير الحى ، فالصحافة مهنة لاتعرف الحدود الصارمة القاطعة بين الفنون الصحفية ، ولا القوالب الجامدة التى يصيب فيها كل فن ، والعبرة فقط فى التسمية هى تغلب صفات نوع معين منها على تلك الأنواع الأخرى ، فتطلق التسمية عليه على أساس تلك الصفات الغالبة .

* * * * *

الفصـــل الســـابع

التقـــرير الاخـــبارى[1]

يهتم التقرير الاخبارى فى المقام الأول بعرض ، وشرح وتفسير بعض زوايا أ و جوانب ، أو الأحداث ، أو الوقائع اليومية الجارية ٠٠٠ وهو لذلك يسمى في بعض الأحيان بتقرير المعلومات أو التقرير الموضوعى .

ويؤدى هذا النوع مهمة تقديم بيانات ومعلومات جديدة عن خبر أو حدث لايستطيع الخبر الصحفى أن يوفيه حقه فى النشر .... وابراز زوايا أو جوانب جديدة عن حدث معروف أو قديم ٠٠٠ وتقديم الخلفية التاريخية ، أو الخلفية الوثائقية للخبر أو الحدث الذى يتناوله التقرير بهدف توضيح الجوانب الغامضة أو غير المفهومة فى الحدث ٠٠٠ وكذلك تقديم تقييم موضوعى لهذه البيانات سواء كانت عن طريق الأحكام والاستنتاجات التى تدلى بها الشخصيات التى يستشهد بها كاتب التقرير أو تلك التى يتوصل اليها بنفسه .

ولابد أن يتصف التقرير الاخبارى بصفتين بارزتين : الصفة الأولى هى الالتزام بالأسلوب الموضوعى فى عرض المعلومات والبيانات والأراء ، وعدم التحيز لأى جانب أثناء سرد المعلومات أو تقييمها وتعميم نتائجها .. ولذلك يفضل أن يميز كاتب التقرير تمييزا واضحا بين ماهو أخبار أو معلومات أو بيانات بحته ، وبين ماهو رأى كاتب التقرير نفسه أو رأى أى من الشخصيات التى يستشهد بها ..

والصفة الثانية : انه بنفس القدر الذى يجب أن يهتم فيه كاتب التقرير بتقديم المعلومات والبيانات الجديدة ، لابد أن يهتم أيضا بتقديم

(١) أنظر فى ذلك المرجع السابق ص ١٥١ و ١٥٢ .

الخلفية التاريخية لموضوع التقرير ، خاصة تلك الخلفية ذات الطابع الوثائقى والتقرير الاخبارى هو الذى يلبى اليوم الاحتياجات الاعلامية للقارىء المعاصر ، وخاصة فيما يتعلق بالقضايا الحيوية فى المجتمع الحديث ... لذلك يندرج تحت هذا النوع العديد من التقارير مثل : التقرير السياسى . والتقرير الاقتصادى ، والتقارير التى تعرض للحروب ، والأزمات ، والكوارث ، والزلازل ، وشئون التعليم ، والصحة ، والعلوم .. أى أن اكثر مجالات التقرير تنصرف الى تغطية (الأخبار الجادة Hard News) وهى الأخبار التى تحيط القراء علما بالأحوال والمواقف الهامة التى من شأنها التأثير فى حياتهم ومستقبلهم ان عاجلا أو آجلا .. والقليل من التقارير الأخبارية يتصرف الى تغطية (الأخبار الخفيفة Soft News) وهى الأخبار التى تثير انتباه القراء وتسليهم .. والتقرير الاخبارى شأنه شأن بقية أنواع التقارير الصحفية يكتب بقالب الهرم المعتدل الذى سبق ايضاحه ..

نموذج تقرير اخبارى :

وفيما يلى نقدم نموذجا تطبيقيا لتقرير اخبارى كتبه (محمد خلف مصطفى) تحت عنوان (اثيوبيا تسعى الى تعليب المياه) [1] وهو يدور حول ماتشيعه اثيوبيا حول حقها فى الانفراد بمواردها من المياة . مما يعنى حرمان دولتى المصب مصر والسودان من نسبة كبيرة من المياه ويهددهما بجوع مائى لايدرى غوائله إلا الله ... وفيما يلى نص هذا التقرير الاخبارى .

إثيوبيا تسعى إلى تعليب المياه

دأب الجانب الاثيوبى خلال السنوات القليلة الماضية على اطلاق سيل من التصريحات المتتالية حول حق اثيوبيا فى الانفراد بمواردها الطبيعية ، وأهمها المياه ، وهو أمر يستحيل تنفيذه عملياً حتى مع التسليم بقدرتها على تنفيذ جميع مشروعات السدود والخزانات المزمع إقامتها على النيل داخل حدودها ، ومن ثم تقليل الموارد المائية خلال موسم الفيضان المرتفع بمقدار ٦ مليارات متر مكعب ، إلا أن يتم تحويل مجرى النهر فى اتجاه البحر الأحمر ، كما يشاع حاليا ، مما يعنى حرمان دول حوض النيل ، وخاصة دولتى المصب ، أى مصر والسودان ، من نسبة ٨٥ ٪ من اجمالى المياه الواردة عبر المجرى .... وحينئذ يصبح الأمر جد خطير بل ومصيريا .

(١) جريدة (الأسبوع) القاهرية العدد (١٢) بتاريخ ٥ مايو ١٩٩٧ ص ٦ .

قصـــة مكــــررة

وما أثاره وفد اثيوبيا خلال المؤتمر الدولى للمياه بمراكش مؤخرا حول زيادة حصة مصر من مياه النيل على حاجتها ، مدللا على ذلك بمشروعى مد المياه الى سيناء عبر ترعة السلام ، ودلتا جنوب الوادى الجديد عبر مفيض توشكى ، ومن ثم ضرورة تقليص حصص المياه لدولتى المصب ، باعتبار مشروعات التنمية المائية والزراعية المخططة لاثيوبيا من قبل دول محددة ، ليست بالحدث الجديد ، فقد تنصلت من التزاماتها الدولية خلال السبعينيات متعلله بعدم توقيع حكومتها على أية اتفاقية للمياه مع مصر ، ومتناسية حق دول المصب فى مجرى دولى طبقا للمواثيق الدولية ، وما استقر على ضفافة من حضارات كبرى منذ الألف السنين .

وقد تصدت القيادة المصرية لهذا الادعاء الاثيوبى وقتذاك بصرامة وصلت الى حد التهديد بالمواجهة العسكرية لتحول دون المساس بنبع الحياة الأوحد والشريان للشعب المصرى بجميع قطاعاته مدركة تماما انها مجرد " نواطع " جليدية تحرك خيوطها اياد تبغى احكام الخناق حول مصر ، لتتسنى لها الهيمنة على دول الحوض الفقيرة ، أوكما يشاع حاليا لارغام مصر على مد المياه الى اسرائيل فى اطار اتفاقية مشتركة بين هذه الدول . واجتمع الرأى على عجز اثيوبيا تماما عن اقامة تلك المشروعات لعدة اسباب من اهمها افتقارها للموارد المالية المطلوبة لتنفيذها ، وأحجام الجهات المانحة عن امدادها بالقروض اللازمة لغياب مشروعات التنمية المامونة التى تضمن حق الجهات المانحة فى سداد تلك القروض ، وافتقارها الى مساحات التوسع الزراعى المستفيدة من تلك المشروعات ، الا من بقع متناثرة أعلى الهضاب ، واعتماد الزراعة فى معظمها على مياه الامطار الغزيرة التى يتسرب ٨٠ ٪ منها الى باطن الارض .

وخلال تولى الراحل الدكتور عبد الهادى راضى مسئولية وزارة الرى ، أمكن تشكيل لجان مشتركة غير معلنه لحساسية الجانب الاخر من الاعلام ، أمكنها الاتفاق على مشروعات ثنائية ومتعدده الاطراف لتنمية موارد النهر لصالح البلدين .

ولكن فى مؤتمر مراكش يختلف الامر ، فقد هدمت اثيوبيا اخر ركيزة كنا نعتمد عليها ، وكشفت عن استعداد بعض الدول لتمويلها ، وان لم تحددها بالاسم ، لكنها معلومة ، فهما الدولتان اللتان تفجران بؤر النزاع فى المنطقة لتتقاسما خبراتها ، وتتوغلا فيها بهدف السيطرة - فى ظل النزاع الاقليمى بين دول القارة السوداء - على المياه وعلى مخزون الموارد العديدة التى تزخر

بها ، وتطبيق المبدأ الذى ينادبان به خلال السنوات الاخيرة باعادة تقسيم الموارد بين دول المنطقة دون حدود فاصلة ، وايضا حق كل دولة لديها فائض مائى فى اقامة مايسمى ببنوك المياه ، فتعرضها كايه سلعة للبيع لأيه دولة ، وباية وسيلة ممكنه وهو مايؤكد مايشاع حاليا من رغبة اثيوبيا فى تحويل مجرى النهر فى اتجاه البحر الاحمر لنقلها بواسطة ناقلات ضخمة الى الدول المشترية وما اكثرها فى المنطقة بداية من عدن وحتى الكويت بالاضافة الى اسرائيل .

البـــدايـــة

وجميع تحركات اثيوبيا واستفزازاتها تعتمد على تقرير وضعه المكتب الامريكى لاستصلاح الاراضى عام ١٩٦٤ حول الموارد الارضية والمائية بحوض النيل الازرق ، يقترح اقامه ٣٣ سدا وخزانا ، بهدف رئيسى هو توليد ٢٨٥ مليار كيلو وات / ساعة من الكهرباء : إذ يصل إجمالى سعة تخزينها الى ٢٨١١٨٤ مليار متر مكعب ، ثم رى ١٠٤ ر١ مليون فدان أعلى الهضاب المحيطة فقط بعد مدها باحتياجاتها المائية التى تقدر بحوالى ٦ مليارات متر مكعب سنويا ، لعدم وجود أراضى بحوض النيل الأزرق يمكن زراعتها .

وقد اقترح التقرير بناء اربعة سدود كبيرة فى الجزء الاخير من المجرى ، لكبرها سد كارادوبى ، ثم مابيل ومنديا والحدود الاثيوبية - السودانية باجمالى سعة تخزينية ٥٠ مليار متر مكعب ، بما يعادل جملة تصرف النيل الأزرق ، واجمالى طاقة كهربية مولدة ٢٥ مليار كيلو وات / ساعة ، لم يبن حتى الان سوى سد فنشا عام ١٩٧٢ بعد موافقة البنك الدولى على تمويلة عام ١٩٦٩ ، لحجز ٤٠٠ مليون متر مكعب من المياه .

ويلاحظ انه فى حالة استكمال جميع المشروعات المقترحة يصبح بوسع اثيوبيا اقتطاع حوالى ٦ مليار متر مكعب من مياه النيل الازرق ٥ ر١ مليارات م٣ من السوباط ونصف مليار م٣ من نهر عطبرة . وعلى الرغم من افتراض البعض انه عند التنسيق مع دول نهاية الحوض تصبح تلك المشروعات مفيدة للجميع ، الا أن تلك الافتراضات نظرية ، ولاتستبعد وجود نية مبيتة للعبث بمجرى النيل أو تحويلة ، وهو مايهدد دول المصب بجوع مائى لايدرى غوائله الا الله ".

تحليل التقرير

وواضح أن هذا التقرير الاخبارى قد اهتم بحدث من الأحداث الجارية ، يتعلق بقضية اقتصادية حيوية ومصيرية بالنسبة لدولتى مصب نهر النيل (مصر والسودان) وشعبيهما فى آن واحد ، حيث عرض المحرر فى مقدمة التقرير خلاصة وافيه للحدث الذى يتناوله التقرير .. وبعد ذلك دخل المحرر الى صلب التقرير فقام بشرح وتفسير بعض زوايا ذلك الحدث ، وقدم معلومات وبيانات جديدة لحدث لايستطيع الخبر الصحفى أن يوفيه حقه فى النشر ، كما أبرز جوانب وزوايا جديدة لهذا الحدث المعروف

وقدم أدلة وشواهد وحججا منطقية وتقييما موضوعيا لها ، وخرج باستنتاجات وأحكام تدعم وجهة نظره ، وتقنع القراء وتجذبهم الى صفه .... بالاضافة الى اهتمام المحرر بتقديم الخلفية التاريخية للحدث ، بهدف توضيح بعض الجوانب الغامضه أو غير المفهومة فى الحدث حيث أكد أن هذه المشكلة التى يعرضها " تحرك خيوطها أياد تبغى احكام الخناق حول مصر ، لتتسنى لها الهيمنة على دول الحوض الفقيرة ، أو كما يشاع حاليا لارغام مصر على مد المياه إلى اسرائيل فى اطار اتفاقية مشتركة بين هذه الدول " .

وأوضح التقرير بطريقة غير مباشرة أن هذه الأيادى تتمثل فى أمريكا واسرائيل " فهما الدولتان اللتان تفجران بؤر النزاع فى المنطقة لتتقاسما خيراتها ، وتتوغلا فيها بهدف السيطرة - فى ظل النزاع الاقليمى بين دول القارة السوداء - على المياه ، وعلى مخزون الموارد العديدة التى تزخر بها " ... "كما اعتمد المحرر على الخلفية ذات الطابع الوثائقى لتحقيق الهدف نفسه بقوله :" وجميع تحركات اثيوبيا واستفزازاتها تعتمد على تقرير وضعه المكتب الامريكى لاستصلاح الأراضى فى عام ١٩٦٤ حول الموارد الأرضية والمائية بحوض النيل الأزرق ..."

وفى ختام التقرير لخص الكاتب تقييمة للحدث الذى تعرض له ، معتمدا فى هذا التقييم على ماسبق وقدمه فى صلب التقرير من معلومات وشواهد وبيانات ومعلومات خلفية ووثائقية ، وطرح استنتاجه الخاص وضمن كل ذلك الفقرتين الأخيرتين من التقرير

* * * * *

ونكتفى بهذا القدر حول التقرير الاخبارى ،،، وننتقل الى الفصل التالى للحديث عن التقرير الحى .....

* * * * *

الفصل الثامن

التقرير الحى (١)

يركز (التقرير الحى) على التصوير الحى للوقائع والأحداث ، حيث يهتم برسم صورة الوقائع أو الأحداث أكثر مما يهتم بشرحها أو تحليلها أو تفسيرها ... ويشترك (التقرير الحى) مع (التقرير الاخبارى) فى أنهما يتناولان الوقائع والأحداث الجارية ... ولكن فى حين يركز التقرير الأخبارى على سرد البيانات والمعلومات حول الواقعة وتحليلها وتقييمها ، نجد أن التقرير الحى يركز على وصف الحدث نفسه أو الواقعة ذاتها ...

وظائف التقرير الحى :

ويقوم التقرير الحى بأداء الوظائف التالية :

(١) وصف الحدث ، والظروف المحيطة به ، والمناخ الذى تم فيه ، والناس الذين ارتبطوا به .

(٢) عرض وتصوير وتسجيل التجارب الذاتيه ، سواء تجارب المحرر كاتب التقرير نفسه مع الحدث ، أو تجارب الأشخاص الذين يمسهم الحدث أو الذين لهم علاقة به .. وهو كثيرا مايدع الناس يتكلمون بأنفسهم ويرسمون بتعبيراتهم الخاصة صورة الحدث كما وقع أو كما تصوره وهو يقع .

(٣) التعبير عن الأفكار والمشاعر الشخصية لكاتب التقرير، أو الأشخاص الذين يدور حولهم الحدث ويعكس رؤيتهم الخاصة له ....

(٤) أن يجعل القارىء يعيش فى الحدث نفسه ، وكأنه شارك فى رؤيته .

ويستعين (التقرير الحى) فى كثير من الأحوال ، بالعديد من الأدوات والأشكال التى يستعين بها التحقيق الصحفى ، ولكن الفرق بينهما أن (التقرير الحى) يكتفى بالتركيز على زاوية واحدة فقط من زوايا الموضوع

---

(١) راجع فى ذلك فن الكتابة الصحفية / مرجع سابق ص ١٥٩ و ١٦٠

أو القضية أو الحدث ، فى حين يهتم التحقيق الصحفى بموضوع القضية ككل أو بالعناصر الجوهرية فى القضية لا بعنصر واحد منها فقط كما فى التقرير ، ثم ان التقرير الحى يقوم على التركيز الشديد ، فى حين يفسح المجال أمام التحقيق الصحفى للاسهاب فى عرض القضية أو المشكلة بجميع جوانبها .

وينصرف الجانب الأكبر من التقارير الحية الى تغطية (الأخبار الخفيفة .. soft News) مع وجود جانب آخر يغطى (الأخبار الجادة Hard News) والتقرير الحى يكتب أيضا بطريقة قالب الهرم المعتدل ...

نموذج للتقرير الحى :

وفيما يلى نموذج للتقرير الحى نشرته جريدة (أخبار اليوم) تحت عنوان (عاصفة ترابية لم تشهدها مصر من قبل) بتاريخ ٣ / ٥ / ١٩٩٧

عاصفة ترابية لم تشهدها مصر من قبل

كانت الساعة قد جاوزت الثالثة بعد الظهر والقاهرة تعيش " يوم جمعة عادى " عندما احمرت السماء فجاة رياح مفاجئة محملة بالرمال الصفراء غطت شوارع وبيوت القاهرة . عاصفة ترابية عنيفة لم تشهدها مصر من قبل . رياح مجنونة وصلت سرعتها - كما صرح شريف حماد نائب رئيس هيئة الأرصاد الجوية - الى ١١٠ كيلو مترات فى الساعة اخذت تعبث فى قسوة بالاشجار ونوافذ البيوت وتحطم الزجاج هنا وهناك وزاد عنف العاصفة الترابية التى وصفها نائب رئيس هيئة الأرصاد بانها موجة خماسينية شديدة نتيجة تكون منخفض جوى حرارى فى الصحراء الغربية أدى الى تاثر البلاد برياح جنوبية غربية نشطة وانعدم مجال الرؤية فى الشوارع الى امتار قليله حتى توقفت حركة المرور فى الشوارع الرئيسية خوفا من وقوع حوادث تصادم . وخلال دقائق وبسبب انعدام الرؤية صدر " اعلان طيارين " لجميع الطائرات القادمة الى مطار القاهرة .. باغلاق المجال الجوى للمطار امام حركة الملاحة الجوية بعد أن انعدم مستوى الرؤية تماما فوق المطـــار

وصرح اللواء رؤوف المناوى مساعد وزير الداخلية للعلاقات العامة أن اللواء حسن الالفى وزير الداخلية طلب فور هبوب العاصفة عمل غرفة عمليات طوارىء بالمركز الاعلامى للاتصال بكل المحافظات لتلقى بلاغات الخسائر من العاصفة كما أصدر توجيهاته لادارات " النجدة والدفاع المدنى والاطفاء بالانتشار فى الحال فور تلقى أية بلاغات وصرح اللواء المناوى أن وزارة الداخلية لم تتلق أى بلاغات خطيرة عن حدوث خسائر فى الساعة الاولى للعاصفة وانه تم اغلاق الطرق الصحراوية مؤقتا لتفادى وقوع ايه حوادث بسبب انعدام الرؤية .. واكد عبد المنعم عبد الرحمن رئيس الهيئة العامة للأرصاد الجوية أن هذه الظاهرة لم تحدث فى القاهرة منذ ٣٠ سنة وإن كانت متوقعة فى مثل هذه الأيام حيث فصل الربيع الملىء بالتقلبات الجوية .. لكنه قال إنه حدثت مقدمات يوم الخميس الماضى حيث ارتفعت درجة الحرارة فى القاهرة الى ٣٧ درجة ، وقال إن الاحوال

الجوية سوف تتحسن اليوم ومتوقع أن يحدث انخفاض فى درجة الحرارة من ١٠ الى ١٥ درجة مع تكاثر السحب المنخفضة وسقوط الأمطار .

وخلال العاصفة اختفت شوارع القاهرة أو كادت من المارة الذين هرعوا الى بيوتهم .

القيامة قامت

اطاحت الرياح بثمار الاناناس من على عربة بائع الفاكهة المتجول على محفوظ وأسرع يجرها فى ذهول . وقال عليه العوض ومنه العوض .. ده غضب ربنا على الناس بأين القيامة هاتقوم .

بينما اخذ سيد جلال يعدو الى بيته تاركا الورشة التى يعمل بها بجوار مصلحة السجون فى الفلكى . وهو يصرخ لا اله الا الله القيامة قامت ياناس !

وفى شارع الجلاء أخذ السائح الفرنسى " جونيه " يعدو بالملابس الرياضية فى اتجاه فندقه بعد أن هاجمته العاصفة فى يومه الثالث والاخير بالقاهرة . وقال لم أشهد فى حياتى شيئا مثل ذلك .. وعندما " اصفرت " السماء اعتقد انفجار قنبله نوويه .. شىء عجيب بالفعل .. لكنى مذهول من بساطة وجرأة الناس فى التعامل مع الذى حدث !

ووقف العجوز شيبوب سعد حائرا لايعرف كيف يعبر الطريق وقد انعدمت الرؤية أمام عينيه يالطيف يارب ..أنا ماشفتش كده الا من حوالى ٤٠ سنة !

اغلاق المطار

وأخذت الطائرات القادمة الى القاهرة تحلق فى المجال الجوى حائرة لدقائق بعد أن انعدمت الرؤية واصبح الهبوط فى المطار مسألة محفوفة بالمخاطر ، لكن سرعان ما صدر " اعلان طيارين " لجميع الطائرات واعلن برج المراقبة الرئيسى بالمطار حالة الطوارىء لتفادى حدوث أية مخاطر قد تنجم عن سوء الرؤية ، وتم تحويل مسارات عدد كبير من الطائرات القادمة من نيويورك وبودابست وكراتشى ولارناكا الى مطارات الغردقة والاسكندرية واسوان على التوالى ، كما تم تحويل مسار الرحلة ٨٦٦ المصرية القادمة من جدة والرحلة ٤٢٢ المصرية القادمة من أسوان الى مطار الغردقة

لكن الرياح اطاحت بعدد من اللافتات الاعلانية امام المطار ، وأصيب عدد من العاملين والمترددين على المطار ، من بينهم سائق سيارة اجرة وأصيب بجرح قطعى فى صدره ونقل الى عيادة الحجر الصحى لاسعافه .

وكانت الأشجار اولى ضحايا العاصفة التى اقتلعت عددا منها فى عنف فقد تلقى قسم شرطه الدقى ٤ بلاغات سقوط اشجار على سيارات ملاكى واجره بشارع عبد الرحيم صبرى كما سقطت شجرة عملاقة فوق ٦ سيارات فهشمتها وسقطت بعض الاشجار امام مسرح نجم بالدقى .

وفي منيل شيحه لقى المواطن رجب احمد أبو هنيدى ٦٠ سنه مزارع مصرعة عندما سقطت شجرة على رأسه بالقرب من منطقة طموه بمنيل شيحة ولفظ انفاسه فى الحال ، ولقيت الطفلة أميرة أحمد جمال سالم مصرعها نتيجة سقوط سور منزل عليها فى منشية أبو العباس بالعياط .

وامام فندق الواحة سقطت شجرة ضخمة أعاقت المرور على طريق القاهرة الاسكندرية الصحراوى فانتقلت قوة من ادارة المرور بقيادة العقيد مصطفى عبد الفتاح وتم ازالة الشجرة وتحقيق سيولة المرور ، بعد ان صدر قرار باغلاق الطريق تفاديا لأخطار العاصفة وانعدام الرؤية .

وفى حديقة الحيوانات سقطت عدة اشجار داخل الحديقة وتناثرت على السور الخارجى وتم رفع الاشجار دون حدوث خسائر بين رواد الحديقة الذين غادروها فور وقوع العاصفة .

وفى شارع حشمت اطاحت الرياح بجزء من سقف شقة لكن لم يصب احد من السكان لكن فى المرج اطاحت العاصفة بالمواطن صلاح سعد فراج (٤٢ سنة - جزار) من الدور الثالث ونقل الى مستشفى المطرية مصابا بكسور .

وعندما حاول جمال عطيه يحيى (٣٥ سنة) الاختباء بجوار كشك كهرباء هربا من العاصفة انفجر كابل كهرباء واصيب بحروق فى انحاء جسده بنسبة ٨٠ ٪ .

وأيضا عندما حاول عبد الناصر حامد محمود (٢٢ سنة سائق) بعين شمس الغربية الاختباء خلف سور أحد المنازل انهار السور فوق رأسه فاصيب ونقل الى مستشفى المطريه . كما استقبل المستشفى ايضا يحيى محمد طه (٣٢ سنة) بعد أن سقط برميلان فوق رأسة وتلقت شرطة النجدة بلاغا بسقوط لوحات اعلانية على امتداد كيلو متر بشارع صلاح سالم عند منحنى باب الوزير حتى الدراسة ادت الى توقف حركة المرور تماما بالشارع حتى تم رفع اللوحات بعد ساعة وعادت حركة المرور الى طبيعتها وفى ميدان الأوبرا بالعتبة سقط عدد من الأشجار على أعمدة الانارة فتوقفت الحركة تماماً بالميدان وقام رجال الانقاذ المركزى برفع الاشجار من الميدان .

الكهرباء لم تتأثر

على أن اهم مالم يحدث هو ان العاصفة لم تؤثر على التليفونات أو شبكة الكهرباء واكد المهندس ماهر اباظة وزير الكهرباء والطاقة أن كافة الأبراج وشبكات النقل والتوزيع للطاقة الكهربائية على الجهود المتوسطة والفائقة تعمل بكامل كفاءتها وطاقتها وان العاصة الترابية لم تؤثر على تشغيل الشبكة .

وقال الوزير أن جميع معدات ومهمات الشبكة الناقلة لكهرباء محطة السد العالى ومحطتى اسوان المائيتين ، وكذلك الشبكة الممتده بالصحراء الغربية من الاسكندرية حتى السلوم تعمل كالمعتاد وان الشبكة على مستوى الجمهورية مصممه لمواجهة الزلازل والعواصف الترابية وان غرفة عمليات الوزارة لم تتلق اية بلاغات حول ايه اعطال تعرضت لها الشبكة .

وواصلت الاشجار تساقطها امام هذه العاصفة ، فسقطت شجرة فوق بيت مواجه لكوبرى الازهر كما سقطت شجرة ضخمة فى طريق المحكمة بمصر الجديدة ، كما سقطت شجرة منعت المرور عند تقاطع كورنيش النيل وجزيرة بدران ، وسقط عمود اناره فى شارع النصر بالقرب من نادى الزهور .

وسقطت اشجار اخرى فى شارع رمسيس وامام مبنى وزارة الخارجية القديم وفى شارع الاستاذ البحرى وفى شارع طومان باى .

وأعلنت الطوارىء فى ادارة مرور القاهرة التى حاولت السيطرة على المرور بقيادة اللواء حسن الناظر واللواء مجدى عبد الملاك والرائد هشام فاروق بغرفة عمليات المرور .

ولم تكن الاشجار وحدها من ضحايا العاصفة بل الدجاج ايضا ، فقد تلقى قسم شرطة امبابه بلاغا بان الرياح اطاحت بعشة فراخ من فوق بيت بمنطقة المنيرة الغربية فاصيبت الدواجن باصابات بالغة ، كما سقطت نخله فوق عوامه بمنطقة الكيت كات ادت الى حدوث تلفيات بها .

اين العاصفة ؟

على أن احداث العاصفة المثيرة لم تستمر اكثر من ساعة ثم بدأت الاحوال الجوية فى التحسن الطفيف وان بقيت الاتربة عالقة فى الهواء .

وكما يقولون فان لكل شيء وجهين ، فان العاصفة التى ذكرت الناس بيوم القيامة كان لها ذكرى طيبة عند البعض ، ومنهم الام سحر احمد التى كانت قد دخلت غرفة العمليات بمستشفى الجلاء لتنجب مولودها الاول وهبت العاصفة وهى تلد فاخذت تصرخ وارتبك الاطباء

* وتساءل الاطباء ، ماذا حدث للدنيا ؟

* ردت عليهم بعفوية : اصلى تعبانه ! وفى قلب العاصفة وضعت مولودها الذى لم تكن قد اختارت له اسما حتى انتهاء العاصفة .

* وقالت ضاحكة : يمكن اسميه عفره ! .

تحليل النموذج :

بدأ المحرر هذا التقرير بمقدمة رسم فيها صورة للحدث الذى دار حوله التقرير ، وهو تلك العاصفة الترابية العنيفة التى لم تشهدها مصر من قبل .. رياح مجنونه وصلت سرعتها الى ١١٠ كيلو مترات فى الساعة ، وأخذت تعبث فى قسوة بالأشجار ونوافذ البيوت وتحطيم الزجاج هنا وهناك ... ثم انتقل المحرر الى (صلب التقرير الحى) فقام بوصف الحدث والظروف المحيطة به والمناخ الذى تم فيه ، والناس الذين ارتبطوا به ، وعرض تجاربهم ، وأفكارهم ، ومشاعرهم ، ورؤيتهم الخاصة له .. وجعل الناس يتكلمون بأنفسهم ويرسمون بتعبيراتهم الخاصة صورة الحدث كما وقع وكما تصوروا وقوعه : أطاحت الرياح بثمار الأناناس من على عربة بائع الفاكهة المتجول على محفوظ ، وأسرع يجرها فى ذهول وقال : عليه العوض ومنه العوض ... ده غضب ربنا على الناس .. باين القيامة هاتقوم كما وصف الكاتب بعض المشاهد التى رآها بنفسه بوصفه شاهد عيان عاش الحدث وكذلك التى تضمنتها البلاغات الى الجهات المختصة ، ومن أشخاص لهم صلة بالحدث .. ولم ينس الكاتب أن يقدم وصفا لحالة الجو بعد انتهاء العاصفة المثيرة التى لم تستمر اكثر من ساعة ، ثم بدأت الأحوال الجوية فى التحسن الطفيف وان بقيت الأتربة عالقة فى الهواء ....

وكل ذلك جعل القارىء الذى لم يشهد كل جوانب الحدث ، وكأنه قد عاش الحدث بكل تفاصيله وكأنه شارك فى رؤيته بنفسه ..

وبصفة عامة يمكن القول ان هذا النموذج للتقرير الحى ، قد تحققت فيه كل مواصفات (التقرير الحى) الناجح .. حيث انطبق عليه تمام الانطباق المفهوم الدقيق للتقرير الحى .. وقد أدى الوظائف التى يقوم التقرير الحى بأدائها ، والتى عرضناها فيما سبق .. كما تم كتابته بطريقة قالب الهرم المعتدل الذى يتكون من مقدمة ... وصلب .. وخاتمة واعتمد فيها جمعيا على التصوير الحى للوقائع والأحداث .

* * * * * * * *

وبعد ذلك ننتقل الى الحديث عن النوع الثالث من أنواع التقرير الصحفى .. وهو (تقرير عرض الشخصيات) وذلك فى الفصل التالى :

* * * *

الفصل التاسع

تقرير عرض الشخصيات [1]

يهتم (تقرير عرض الشخصيات) بالتعرض لشخصية من الشخصيات المرتبطة بالأحداث ، أو التى تقوم بدور بارز فى المجتمع المحلى ، أو المجتمع الدولي وقد تكون تلك الشخصيات طبيعية ... وقد تكون اعتبارية أو معنوية مثل الهيئات والمنظمات وغيرها ، فمثل هذه الشخصيات قد لايكتفى الصحفى بكتابة تقرير إخبارى عن تلك الأحداث المرتبطة بها ، ودلالاتها ، ونتائجها ... الخ وأنما يتجه الصحفى لكتابه تقرير صحفى يعرض ويحلل تلك الشخصية المرتبطة بالحدث ، وتاريخها السياسى ، وملامح شخصيتها وفكرها السياسى والاجتماعى ومدى طموحاتها للمستقبل .... الخ .

وقد يبدو للناظر من الوهلة الأولى وجود تشابه وتطابق بين الحديث الصحفى وبين تقرير عرض الشخصيات ... ولكن فى الحقيقة توجد فوارق جوهرية بين النوعين .. فالحديث الصحفى يقوم على لقاء يتم بين الصحفى وبين شخصية عامة فى المجتمع المحلى أو العالمى ... وهو لقاء قد يستهدف الحصول على أخبار ومعلومات وحقائق جديدة أو شرح وجهات نظر معينة ، أو تصوير جوانب طريفة ، أو مسلية في حياة هذه الشخصية .. الخ .

أما التقرير الصحفى الذى يعرض الأشخاص ، فهو لايهتم بالدرجة الأولى فى اجراء لقاء مع الشخصية كما هو الشأن فى الحديث الصحفى وأنما يهتم بالدرجة الأولى بالرسم المتقن لملامح هذه الشخصية والتعبير الصادق عن فكرها ، ومدى طموحاتها المستقبلية ..الخ .

---

(١) راجع فى ذلك المرجع السابق ص ١٦٧ - ١٦٩ (ويقصد بذلك الشخص الطبيعى (Natural Person) وهو فرد انسان طبيعى ... والشخص الاعتبارى أو المعنوى Artificial Person وهو عبارة عن مجموعة من الأفراد أعطاها القانون حقوق الشخص الطبيعى ومنها المنظمات والهيئات والشركات .

وقد يجرى كاتب تقرير عرض الشخصيات لقاء مع الشخصية موضوع التقرير ، ولكن اللقاء يجيء فى المرتبة الثانية أو الثالثة فى الأهمية .. لأن الصحفى فى هذه المقابلة يركز على أخذ فكرة عن ملامح هذه الشخصية ، وطريقة تفكيرها ، وأسلوب حياتها وغير ذلك ، وان كان هذا لايمنع الصحفى من الاستفادة بأقوال أو تصريحات هذه الشخصية ، اذا كان مضمونها يخدم موضوع التقرير .

وظائف تقرير عرض الشخصيات :

ويقوم تقرير عرض الشخصيات بأداء الوظائف التالية :

١ - الرسم المتقن للشخصيات المشتركة فى الأحداث اليومية الجارية سواء منها المحلية أو الدولية ، والتعبير الصادق عن أفكارها ، وأسلوب حياتها .

٢ - تصوير عملية الصراع التى يخوضها الانسان من أجل الشهرة أو المجد أو المال ... الخ .

ويكتب هذا النوع بطريقة الهرم المعتدل مثل التقرير الاخبارى ، والتقرير الحى ...

نموذج لتقرير عرض الشخصيات الطبيعية :

ونقدم فيما يلى نموذجاً لتقرير عرض الشخصية الطبيعية وهو يدور حول " مسيرة هيكل فى بلاط صاحبة الجلالة " نشرته جريدة (الأسبوع) بمناسبة ذكرى ميلاد الكاتب الصحفى محمد حسنين هيكل بعنوان (بدأ طموحاً ثم صنع من الأهرام نموذجاً) (١) وفيما يلى نص هذا التقرير بقلم محمد عبد الله الذى عرض فيه ملامح شخصية (هيكل) وطموحاته كما أهتم بالرسم المتقن لتفكيره الصحفى وأسلوب حياته الصحفية ...

عندما تتداخل الكلمات وترخص المعانى وتصبح الحقيقة مسخا باهتا وتفقد الألفاظ مصداقيتها ويضيع الهامش الرفيع بين الصدق والزيف يكون الصمت هو ابلغ الرسائل وعندما يصمت " الأستاذ " يجب على الجميع أن يعلم أن هناك شيئا مافى الأفق .. فصمته غير كل صمت وسكوته عن الكلام هو بمثابة " نقطة نظام " تعيد التاريخ إلى صحيح حركته . هيكل .. نجم من طراز مختلف .. فإذا كانت النجوم تبهت بمرور السنين فإن نجمه يزداد لمعانا وبريقا مع تقدمه

---

(١) جريدة الأسبوع العدد (٣٢) بتاريخ ٢٢ سبتمبر ١٩٩٧ ص ١٢ وقد نشر هذا التقرير ضمن (ملف خاص) بمناسبة ذكرى ميلاد محمد حسنين هيكل الذى يوافق ٢٣ سبتمبر ١٩ .

فى العمر.أما محاولة الاقتراب من تاريخه فتبدو أمرا أشبه بمحاولة احتضان الأهرامات أو الاعتقاد بإمكانية اغتراف مياه النيل فى رشفة واحدة .. ومع كل هذا سنحاول .

البداية

كان قلم هيكل - ولايزال - دائما وزيره المفوض ورسوله الذى لايخطىء هدفه .. يسلب الناس تركيزهم اذا تحدث ..ملامحه مشحونة بالانفعال متقدة بكم هائل من الاطلاع وشغف المعرفة حديثة سريع ناعم .. مستمر ومتدفق .. ولأن هذا التدفق هو سمة اساسية لحياة " هيكل " فقد جاء دخوله بلاط صاحبة الجلالة وهو فى سن الثامنة عشرة فى توقيت تحيطه أحداث متلاطمة ومتدفقة كافكاره التى اعتاد ان يزلزل بها سكون عجلات التاريخ . بدأ هيكل حياته الصحفية محررا بجريدة " الاجيبشيان جازيت " التى كانت مملوكة لعائلة " فينى " وتعلم وتأثر باثنين من أكبر محرريها وهما " سكوت واطسون " و " هارولد ايرل " وعمل لمدة سنة كمساعد محرر بقسم الحوادث ثم انتقل ليعمل مراسلا حربيا بعد أن اقترح عليه " هارولد ايرل " أن يذهب الى العلمين لتغطية اخبار الحرب . ويقبل هيكل هذه المخاطرة .. يشجعة على قبولها اعجابه بواطسون وتجربته فى الحرب الاسبانية وبعد فترة يتلألأ فى مكتب هارولد ايرل نجمان من نجوم الصحافة المصرية هما محمد حسنين هيكل وأستاذ الرواد محمد التابعى ويقترب التابعى من هيكل ويسأله عن مستقبله وكيف يراه .. ورغم أن هيكل يتصور أن مستقبله فى الصحافة الأجنبية وفى الجازيت .. إلا أن التابعى بعين الصقر والتى لاتخطىء هدفها يرى أن مستقبل هذا الصحفى الشاب فى مجلة " أخر ساعة " التى كانت وفدية التوجه .

لذلك كانت معظم مصادر هيكل من الوفديين .. وبعد خروج الوفد من الحكم بإقالة ٨ اكتوبر ١٩٤٤ تحولت " آخر ساعة " الى مجلة معارضة لائتلاف أحزاب الأقلية الذى شكله أحمد ماهر ، وتمضى الشهور وتلمع فى الأفق مدرسة جديدة للصحافة هى مدرسة " اخبار اليوم " التى اثرت على توزيع جميع المطبوعات .. ويبيع التابعى " أخر ساعة " لآل أمين " بعد أن تعثرت بسبب مشروع التطوير ، ووقع الاختيار على هيكل ليصبح سكرتير تحرير " أخر ساعة " بعدها سافر لمحافظة الشرقية لتغطية وباء الكوليرا الذى انتشر هناك ويفوز بجائزة الملك فاروق للصحافة العربية وكانت جائزة لها قدرها فى ذلك الوقت خاصة بين الصحفيين الشبان وفاز بها ثلاث مرات بعد رحلاته الخارجية وفى ١٩٥٢ عين رئيسا لتحرير " اخر ساعة " ويعود هيكل للمخاطرة عام ١٩٥١ ليغطى اخبار المقاومة ضد الأحتلال فى القناة .

المشاركة

لم يكن هيكل بعيدا عن دوائر صنع القرار طوال مشواره الصحفى إلا أن أول موقف شارك فيه فى صنع حدث ملموس كان مع نجيب الهلالى باشا بعد تكليفة بتشكيل الوزارة عام ١٩٥٢ وكان هيكل قريبا منه . وعندما استشاره الهلالى باشا فى اختيار وزير الحربية اختار هيكل محمد نجيب إلا ان نجيب لم يلق قبول الملك فاروق وشهدت الأشهر الستةالتى سبقت ٢٣ يوليو

فترة قلق سياسى شديد انعكس فى تغيير خمس وزارات ولم تكن هذه هى المرة الأخيرة التى يشارك فيها هيكل فى اتخاذ قرار أو اختيار فلقد لقى تحليله لامكانية وقوف الانجليز بجانب الملك فى حالة قيام الجيش بحركة تطهير - صدى واسعا فى عقل " البكباشى " جمال عبد الناصر وكانت كلماته بمثابة صك الضمان الذى كان يبحث عنه عقل الثورة . ومنذ اللحظات الأولى للثورة كان هيكل بجانب رجالها لحظة بلحظة يشارك فى صنع قراراتها وتكون له بصماته الواضحة فى تغيير وجه التاريخ فى المنطقة كلها .

الاهــــرام

وتستمر مسيرة هيكل الصحفية ونجاحاته تغرى الكثيرين بمحاولة استقطابه لها .. ففى ١٩٥١ يعرض عليه على الشمسى باشا رئيس البنك الأهلى ورئيس مجلس ادارة الأهرام أن يكون مساعدا لرئيس تحرير الأهرام إلا أنه يعتذر . ثم يكرر اعتذاره عن رئاسة تحرير نفس الجريدة فى عام ١٩٥٥ وفى العام التالى يرى على الشمسى أن دار الأهرام شاخت وتحتاج لشاب مثل هيكل يطورها وينقذها من خسائرها وكان هيكل يرتبط وجدانيا بالأخبار التى كان رئيسا لتحريرها منذ ابريل ١٩٥٦ بعد ان دخلها أول مرة فى عام ١٩٤٦ ويعتذر هيكل للمرة الثالثة بعد عاصفة من المشاورات بينه وبين على أمين وفى ٦ من ابريل ١٩٥٧ وبعد جلسة طويلة مع على الشمسى عرض هيكل هذه المرة ان يكون رئيسا لتحرير الأهرام وانتهى مساء هذا اليوم بتوقيع عقد رئاسته لها ولتتغير بعدها صورة الاهرام ومعها صورة الصحافة العربية وتبدأ رئاسة هيكل لتحرير الاهرام فى أول اغسطس ١٩٥٧ ليحل إسمه محل احمد الصاوى محمد وعزيز ميرزا ، وتمضى السنوات والنجاحات فى الأهرام تتوالى ويتم تعيينه رئيسا لمجلس ادارة الاهرام فى ٨ من اغسطس ١٩٦١ ثم رئيسا لمجلس ادارة مؤسسة الصحافة العربية التى كانت تضم الاهرام واخبار اليوم فى ١٧ من اكتوبر ١٩٦٥ .

مواقـــف

لم يكن هيكل صحفيا او سياسيا فذا فقط ولكنه كان دائما مع قضية الديمقراطية واستقلال الصحافة والصحفيين وتسبب ذلك فى تأثر علاقته برجل كان بمثابة الشمعة التى التفت حولها الجماهير تستلهم منها بشائر الغد ... إنه جمال عبد الناصر .. ومع ذلك كان رجلا صلبا يقف مع رفاق الدرب يساندهم ويشد من أزرهم حتى يتجاوزوا المحن .. وبعد أن تمت اعادة تشكيل مجالس ادارات المؤسسات الصحفية عام ١٩٦٠ وقف بجانب على ومصطفى أمين بكل قوة حتى أن ذلك اثار عليه صديقه جمال عبد الناصر وفى عام ١٩٦٥ تثبت الأيام ان هيكل هو الصحفى الذى أرسى قواعد الأصالة والانسانية ففى لفتة انسانية يستجيب وبلا تردد لنقل على أمين الى مؤسسة " الاهرام " بعد أن ضاق ذرعا بما كان يحدث فى " اخبار اليوم " ويعمل على أمين مراسلا لـ " الاهرام " فى أوربا ومركزه لندن وفى نفس العام تظهر أزمه جديدة لآل أمين فيتم اتهام مصطفى أمين بالتجسس لصالح

الولايات المتحدة ويبدأ الكشف عن قصته المشهورة مع بروس تايلور أوديل مستشار السفارة الأمريكية . ويثبت هيكل انه رجل المواقف الصعبة فيرفض طلبا باستدراج على أمين من لندن لتتم محاكمته مع شقيقة مصطفى .

ومثلما كان موقفه مع الرجال كان موقفه مع المهنة ذاتها فمنذ دخوله " الاهرام " أحدث داخلها ثورة صحفية وعلميه، فمن مبنى صغير الى مبنى ضخم يضم عددا من المطابع وأنشأ مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية ومركز الحاسب الألى ومركز التنظيم والميكروفيلم وتحتـل " الاهرام " فى عام ١٩٧٠ المرتبة التاسعة على مستوى الصحف العربية والعالمية ، وتحتفظ مكتبة الكونجرس باعداد ميكروفيلمية لـ " الاهرام " بفضل شخصية هيكل وطموحه غير المحدود فى خلق صحافة متقدمة .

وكما ادخل التطوير على المبانى كان هناك تطوير فى الجانب المهنى ، فقد استطاع استقطاب المع الكتاب والصحفيين للعمل والكتابة لـ " الاهرام " التى اصبحت مثل البستان يحتوى زهورا اصبحت فيما بعد أعمدة الصحافة المصرية والعربية .

هيكل و الوزارة

ومثلما كانت مواقفه صلبة كانت رؤيته للصحافة أصلب فقد عارض قرار تاميم الصحف وكان موقف خلاف مع جمال عبد الناصر وكان هيكل يطرح بديل الملكية التعاونية كبديل للملكية الفردية التى كان يرفضها عبد الناصر وفى مارس ١٩٧٠ رأى عبد الناصر أن يكون هيكل وزيرا للأرشاد القومى وأبدى هيكل اعتذاره ، إن المنصب الوزارى مع استمراره كرئيس لمجلس ادارة " الاهرام " يجعل فى يد فرد واحد من اسباب القوة السياسية مايمكن أن يحوله إلى مركز قوة ، وهو يرى أنها اساءة للنظام .. لكنه يحرج من اصرار عبد الناصر ويقبل المنصب ويبقى فيه حتى يرحل الزعيم ... ويشارك هيكل فى اختيار رئيس مصر ويشارك فى ضبط ايقاع الحركة السياسسية فى مصر بعد رحيل عبد الناصر وفيى يوم ٣ من اكتوبر ١٩٧٠ قدم هيكل استقالته من وزارة الارشاد مفضلا موقعه فى " الأهرام " ليكون بعيدا عن الصراعات ويشارك ايضا فى اختيار وزراء السادات وفى ٣١ يناير ١٩٧٤ يختار السادات هيكل مستشارا له ولكنه يقيله من رئاسة مجلس ادارة " الاهرام " ويكتب هيكل اخر مقال له فى الأهرام " بعنوان " ظلال وبريق " فى أول فبراير ١٩٧٤ ليختتم ٧٣٤ مقالا وتحقيقا صحفيا بالاضفة إلى ٢٦٢ محضرا رسميا لجلسات محادثات الوحدة الثلاثية بين مصر والعراق وسوريا .

وبعد أن ترك " الاهرام " توالت اسهم الهجوم عليه حتى بلغت مساحة الهجوم عليه فى الصحف خاصة عام ١٩٧٧ فى جريدة " الأهرام " ١١٦٤ سنتيمترا وبلغت ١٤٧٣ سنتيمترا فى الجرائد الأخرى من العام نفسه وهذا على سبيل المثال لا الحصر .

ومع بداية ١٩٧٥ بدأ هيكل يكتب سلسلة مقالات تنشر فى عدة صحف عربية خارج مصر ، وألف عددا من الكتب اعتبرها السادات اكبر مصدر لنزع شرعيته فزاد من حملته ضد هيكل عن طريق استكتاب العديد من حملة المباخر وتلفيق اتهامات واهية له وتنتهى هذه الصدامات باعتقاله فى ٥ من سبتمبر ١٩٨١ ويفرج عنه بعد ثلاثة أشهر .

نموذج لتقرير عرض الشخصيات المعنوية :

وفيما يلى نقدم تقريرا عن عرض شخصية معنوية أو اعتبارية عن حركة المقاومة الاسلامية الفلسطينية (حماس) والتقرير بقلم خالد محمد على تحت عنوانن (فيش وتشبيه حماس)(١)

•• وفيما يلى نص التقريرر الذى حرص فيه الكاتب على التركيز على تصوير ملامح شخصيــة (حماس) ومدى تأثيرها فى مجال الصراع الفلسطينى مع اليهود .

فيش وتشبيه حماس

تقول قراءة البصمة الأولى لحماس إن الشيخ المريض احمد ياسين حاول أن يملأ فراغ المزاج الوطني الفلسطيني عندما بدأت انتفاضة اطفال الحجارة فى عام ٨٧ كان همه تحويل كل طفل فلسطينى إلى جنرال كبير يقلق مضاجع اليهود المحتلين .. وتعرضت هذه الرؤية لاختيار شديد القسوة عندما اغتال العدو عقلا مفكرا لكل حلقات النضال الفلسطينى هو ابو جهاد فى ابريل ١٩٨٨ .. وكان الأوطان تطويها الأحزان على أبطالها ولكنها لاتموت كمدا عليهم فقد استمرت الانتفاضة واشتد عودها واحدثت متغيرات جديدة على الساحة .

ذهب أحمد ياسين الى ساحة الشعب الفلسطينى وتحديدا فى غزة ليستخرج شهادة ميلاد لحماس فى ١٤ / ١٢ / ١٩٨٧ وحملت شهادة الميلاد بنودا صاغتها تجربة " العراك " مع اليهود فالجهاد فقط هو طريق وحيد لعودة احتضان الوطن ومتعة الصلاة بامان فى أولى القبلتين وثالث الحرمين ، ولأن العدو كان قاسى المراس ويمثل رأس الحربة لاغنياء الكون فى حربهم .. أن يكونوا دائما اغنياء ولأن انظمة العرب لم تعد تؤمن بصوت البندقية ودانه المدفع ولكنها ارتقت الى لغة الشجب والأدانة فكان أمام احمد ياسين إما الانضمام إلى جيوش العرب التى تحارب اليهود باطلاق قبضة الوعيد فى الهواء وإما البحث عن جيش من الجن ولكن من الذين امنوا ، فاهتدى إلى قطاع من الناس يعشقون الموت اكثر مما يعشق اليهود الحياة ، ويعلمون تفاصيل طبقات الأرض

---

(١) جريدة الأسبوع العدد (٣٣) بتاريخ ٢٩ سبتمبر ١٩٩٧ ص ٦ .

كثر مما يعلمون عن الطرق والكبارى ولأن عز الدين القسام جمع القومى بالدينى فى مقاومته لاغتيال فلسطين فقد اختار احمد ياسين لجناح الحركة العسكرية اسم " كتائب عز الدين القسام" حتى يعلم اليهود ان الموت لن يقتل المقاومة .

أما حديث البصمة الثانية فى دفتر احوال حماس فقد كشف عملية الهروب الكبرى التى نجحت بها كتائب القسام فى الافلات من خطيئة ذبح الشقيق أو طعن الصديق ولم تسجل بيانات العملية " روحا " عربية واحدة ازهقتها ايدى حماس ولكن الذين اسقط الوطن وثائق انتسابهم إليه عندما ارتضوا احتساء دماء ابنائه على " شرف " العمالة لمشروع الاغتصاب فهؤلاء وهؤلاء فقط لاحقتهم رصاصات حماس ولكن بعد ان رفضوا رسائل التوبة وكان لابد من تنظيف الطريق فى عامى ٨٧ ، ٨٨ قبل تنفيذ عمليات كبرى تدق أجهزة الانذار فى تل أبيب وواشنطن وربما فى كل عواصم الغرب ، وقد كانت الخطوات واثقة وكانها قد عزلت اذانها وأبصارها عن سماع أو رؤية المعلقين والمنظرين الذين أقسموا أن نهرا أحمر بلون الدم الفلسطينى سينفجر مع تشريف عرفات وشرطته بيتادقهم الإسرائيلية إلى غزه المعقل الأول وغرفة القيادة الكبرى لحماس .

ولكن وصية أحمد ياسين الأخيرة قبل اعتقاله فى مايو ٨٩ ظلت دائما جهاز تنبيه فى بيانات الجناح السياسى وفروا كل رصاصاتكم للهيود ولليهود فقط . وعندما دخل عرفات وصحبته غزه كان شيوخ وشباب حماس فى الصفوف الأولى لمستقبليه وكما تمنى شيمون بيريز أن يصحو من النوم ليجد غزه فى عرض البحر بعد فشل أجهزته فى ملاحقة نشاط ، حماس راهن وتمنى مخططو السياسة الصهيونية أن تحترق ورقة حماس من الشجرة الفلسطينية تحت لهب عرفات المتعطش للسلطة على ارض بعيدة عن المنافى ، ولكن حديث الواقع وتفصيلات البصمة الثالثة تسللت إلى عزيمة عرفات كل أوراق الشجر فى حارات وفضاء الخليل تنتمى لحركة المقاومة وإن وجدت بعض صقور فتح بين أغصانها .

وعندما طلب عرفات منحه فرصة اختبار النوايا اليهودية بعد أوسلو ٩٣ سلمت حماس المزاج الفلسطينى لعرفات طوال العام وعندما تكشفت نوايا " تفسير بنود " أوسلو حول الانسحاب من الأراضى أو من " اراضى " اطلقت حماس قنابلها البشرية الأولى فى ابريل ٩٤ معلنة عن تطبيق سياسة تفتيت اجساد الطهر للململة اشلاء الوطن .

وكان الرد الثانى فى ابريل ايضا على مقتل ٢٩ مصليا فى الحرم الابراهيمى وتتوالى بيانات الأجساد الملغومة نقاط ضوء وزهو أعوام ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ وكانت العمليات الأخيرة فى نهاية يوليو هذا العام وبداية سبتمبر قد أعلنت تحدى أعتى أجهزة الأمن فى العالم عندما فشلت الـ C. L. A والموساد فى التنبؤ أو كشف منفذى العمليات حتى بعد الادعاء الأخير الذى اعلنه نتنياهو ليكون مبررا لعرفات كى ينفذ الطلب اليهودى الأمريكى وضرب المزاج الوطنى للشعب الفلسطينى ، ولكن

رئيس المخابرات اليهودى السابق ذكرنا أن حماس ليست حركة أو حزبا سياسيا ولكنها مزاج يهدأ ويلتهب وفقا للمخاطر التى تحوطه . مع ذلك لم يتوقف الصهاينة عن مؤامراتهم الجبانه لاغتيال القادة سلسلة نورانية من الأسماء يحاولون زيادتها كل يوم : ابو جهاد ... فتحى الشقاقى ..يحيى عياش .. ولأن الحرب الصهيونية القذرة ضد حماس لاحدود لها فقد حاولوا ايضا اغتيال خالد مشعل فى الأردن عبر عملاء كنديين .. هذه الاغتيالات لاتهز احدا وإنما تتدفق عبرها دماء جديدة تبقى على النضال الوطنى الفلسطينى فتيا لايقهر .. لو علموا أن كل يحيى عياش يقتلونه ينبت الف يحيى عياش جديد لتوقفوا عن ممارسة غبائهم .. الحركة الأن تتعرض لاختيار جديد على يد عرفات وسلطته .. عرفات ينفذ مطالب أمريكية لحرق البنى التحتية لحماس .. وحماس تلبى نداءات اعمق وأبقى .. الوطن - الانتماء - الله .

* * * * *

قائمة المراجع

أولا : كتب

* ابراهيم إمام (دكتور)

- دراسات فى الفن الصحفى (القاهرة - مكتبه الأنجلو المصرية ١٩٧٢)
- الاعلام والاتصال بالجماهير (القاهرة - مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٥)

* ابراهيم عبد القادر المازنى .

- صندوق الدنيا (القاهرة - دار الترقى للطبع والنشر ١٩٢٩)

* ابراهيم عبده (دكتور) .

- روز اليوسف سيرة وصحيفة (القاهرة مارس ١٩٦١)
- تطور الصحافة المصرية وآثرها فى النهضتين الفكرية والاجتماعية (القاهرة ١٩٥١)

* أحمد أمين

- فيض الخاطر - الجزء الأول

* جلال الدين الحمامصى

- المندوب الصحفى (القاهرة - دار المعارف ١٩٦٣)
- من الخبر الى الموضوع الصحفى (القاهرة - دار المعارف ١٩٦٥)
- الصحيفة المثالية (القاهرة - دار المعارف ١٩٧٢)

* جمال الدين العطيفى (دكتور)

- حرية الصحافة - الجزء الثانى (القاهرة ١٩٧٤)

* حسنين عبد القادر (دكتور)

- الصحافة كمصدر للتاريخ (القاهرة ١٩٥٨)

* دار الشعب ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر .

- الموسوعة العربية الميسرة (القاهرة - الطبعة الثانية ١٩٧٢)

* عبدالعزيز البشرى

- فى المرآة (القاهرة - طبعة دار الكتب المصرية ١٩٢٧)
- المختار

* عبد اللطيف حمزه (دكتور)
- المدخل فى فن التحرير الصحفى (القاهرة - دار الفكر العربى - الطبعة الرابعة ١٩٦٧) .
- أدب المقالة الصحفية فى مصر / الجزء الثالث
* فاروق أبو زيد (دكتور)
- فن الكتابه الصحفية (القاهرة ١٩٨١) .
* الفيكونت فيليب دى طرازى
- تاريخ الصحافة العربية (أربعة أجزاء) بيروت ١٩١٣ - ١٩١٤ - ١٩٣٣ .
* كارل وارين (ترجمة عبد الحميد سرايا)
- كيف تصبح صحفيا (القاهرة ١٩٦٥) .
* محمد فريد محمود عزت (دكتور)
- جريدة الكشكول المصور - رسالة ماجستير خطية - مقدمة إلى قسم الصحافة كلية الآداب - جامعة القاهرة ١٩٧١)
- دراسات فى فن التحرير الصحفى / فى ضوء معالم قرآنية (جدة - دار الشروق ١٩٨٤)
- قاموس المصطلحات الاعلامية / انجليزى - عربى (جدة - دار الشروق ١٩٨٤) .
* محمود أدهم (دكتور)
- أسماء على الصفحات (القاهرة ١٩٨٨)
* محمود فهمى (دكتور)
- الفن الصحفى فى العالم (القاهرة - دار المعارف ١٩٦٤)
* نعمات أحمد فؤاد (دكتوره)
- أدب المازنى

ثانيا: جرائد ومجلات

* جريدة أخبار اليوم

- اعداد مختلفة بتاريخ ٦ / ٤ / ١٩٩٧ - ٣ / ٥ / ١٩٩٧ - ١٣ / ٩ / ١٩٩٧ .

* جريدة الأسبوع

- اعداد مختلفة بتاريخ ٥ / ٥ / ١٩٩٧ - ٢٢ / ٩ / ١٩٩٧ - ٢٩ / ٩ / ١٩٩٧

* جريدة الأهرام

- اعداد مختلفة بتاريخ ١٠ / ١١ / ١٩٩٢ - ١١ / ٣ / ١٩٩٧

* جريدة المدينة المنورة (السعودية) بتاريخ ٢٩ اكتوبر ١٩٨٩ .

* مجلة الثقافة

- اعداد مختلفة بتاريخ ١١ / ٤ / ١٩٣٩ - ١٦ / ٥ / ١٩٣٩ .

* مجلة الرابطة الاسلامية بتاريخ أغسطس ١٩٩٠ .

* مجلة روز اليوسف (اعداد مختلفة خلال عام ١٩٢٨) .

* مجلة الشباب (اعداد مختلفة بتاريخ مايو ١٩٩٥ - مارس ١٩٩٦ - يوليو ١٩٩٦ - نوفمبر ١٩٩٦ م .

* مجلة الكشكول المصور (اعداد مختلفة اعوام ١٩٢١ و ١٩٢٨)

* مجلة اللطائف المصورة اعداد مختلفة عام ١٩٢١

محتويات الكتاب